



لا يفرق
وربما ضي
على وح
وفقاً لل
وهذا
عليه .
وك
موقف
الصلة
أو هذا
نجد
logical
تقع في
(حساب
وك

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد الرابع والثمانين

١٦ ذي الحجة سنة ١٣٥٢

١ أبريل سنة ١٩٣٤

العلم والفلسفة

كان عهدُ وكانت المعارف الانسانية قليلة التنوع . ففي عصر الاغريق الاقدمين ، كان حكامهم لا يفرقون بين الرياضة والمواليد والسيكولوجيا وأدب النفس فكانت طائفة كبيرة منهم فلاسفة ومصلحين ورباضيين وطبيعيين في آن واحد . بل وكانوا ساسة وجنوداً ومهندسين وتجاراً كذلك ، وهذا يدل على وحدة المعرفة في عصرهم ، بل على وحدة المعرفة والعمل . حتى التعليم في «الأكاديمية» و«الليسيوم» كان وفقاً للتقاليد الموروثة عن فيثاغورس تعليمًا عامًّا يتناول المبادئ والاصول في الغالب دون التفصيلات . وهذا لا ينبغي ان بعض المفكرين في تينك المدرستين حاولوا الانقطاع لفرع واحد من فروع المعرفة والتوفر عليه . ولم تنفصل العلوم بعضها عن بعض وتتحيز مباحثها الا في عهد مدرسة الاسكندرية وبعدها وكان من الطبيعي ان تكون المعرفة وحدة غير مجزأة ، لما كانت العلوم في مهدها . بيد ان موقف الاغريق نحو وحدة المعرفة ، يعدو هذه الظاهرة السطحية . ذلك انه يقوم مثلاً واضحاً على الصلة الوثيقة بين ارتقاء الرياضة والعلم من جهة والفلسفة من جهة اخرى . وفي مكنتك ان تتبين ازدهار الصلة خلال العصور التي تلت عصر الاغريق الى عهد قوبرنيقوس وكبلر ونيوتن . ثم اننا نجد مكتشفات ديكارت الرياضية والعلمية أساساً لاسلوبه الفلسفي ، بل ان نظريته الكونية Cosmological والبيولوجية اوحى الى الفيلسوف سبينوزا برهاناً هندسياً لنواهي الضمير . ثم انت تقع في فلسفة لينتز على فكرة «المتناهي في الصغر» فتجدها كسمط العقد تنظم رياضته العالية (حساب التفاضل) ونظريته في المادة وفلسفته النفسية والادبية وفقهه الديني وكانت فلسفة كانت باعنا على فتح الهوة بين العلم والفلسفة في القرن التاسع عشر . فاصبح العلم متصلاً

او ثبوت اتصال بالعقل المجرد قائماً عليه . اما شؤون الحياة اليومية وما يلازمها من اقامة الاوزان الادبية فتركت لاحكام العقل العملي والخبرة ، وهذا أسبغ ظلاً من الريبة على مكانة المسائل الفلسفية من العلم . فلما تمّ للعلم ، القائم على العقل المجرد ، سلسلة من الانتصارات الباهرة قامت مدرسة الوضعيين وهبطت مكانة الفلسفة . فتمهّد السبيل حينئذٍ ، لتفسير الكون والحياة تفسيراً ميكانيكياً مادياً . وساد الرأي بأن الحقيقة متصلة بالمادة من حيث ان الشيء لا يكون حقيقياً الا اذا كان كالمادة ، بما تدركه الحواس ولو ادراكاً نظرياً كادراك الذرات واما ما عدا ذلك ، فتخبط في عالم من الاشباح . وغدا حتماً على كل باحث عن الحقيقة ان يحملها الى اجزائها ويصفها بما تتركب به من الجزيئات والذرات ومن العجيب ان التماذي في هذا التحليل قضى على « الحقيقة » كما نشدها هؤلاء المفكرون

أما وقد اصبحت المادة خليطاً من المكان والزمان والامواج ، فالاساس الذي قام عليه علم القرن التاسع عشر قد انهار . أما وقد زالت الضرورة القاضية بأن حقيقة الشيء يجب ان تنطبق على صفات الاشياء التي تدرکها الحواس ، فليس ثمة حائل الاّن ، دون حسابان ، ما يوحى به الاختبار الديني او حسّ الجمال ، في عداد الحقائق . وكذلك تمهدت الطريق لاعادة النظر في تفسير الكون تفسيراً فلسفياً جديداً . وكانت النتيجة الاولى ، لهذا الاتجاه الجديد ، تقريب الشقة بين العلم والفلسفة . فعلماء الطبيعة اخذوا يبحثون عن حلول لمشكلاتهم الخاصة ، في المناطق التي وراء علم الطبيعة كما كنا نعلمه . والفلاسفة في اهتمامهم بمباحث العلماء هذه استرعتهم اساليب العلوم ونتائجها ، وهبطوا يبحث « ما وراء الطبيعة » الى دور الامتحان . ثم ان فلكيين وطبيعيين من مقام ادلغتن وجيز وبلاذك واينشتين ، اصبحو لا يحسبون عالم المادة ذا كيان مستقل عن العقل . وموقفهم هذا نقض موقف اسلافهم في اواخر القرن الماضي ، اذ كان اولئك يحسبون المادة وحدها حقيقة ، وكل ما عداها شبحاً من الاشباح . بل ان هذا الانقلاب يبدو لك ابعث على العجب ، اذ تعلم ان المادة كانت في نظر الاسلاف خاضعة خضوعاً اعمى للنواميس الميكانيكية . ولكنها في نظر المعاصرين متصفة بنوع من حرية الارادة ، وفقاً للمقتضيات التي ينطوي عليها مبدأ هيزنبرج في عدم التثبيت . ويعلق الفيلسوفان الكماليان هويتهم ورسلاً ، بهذه الناحية من صفات المادة شأنًا خطيراً

ومن نتائج هذا التعاون في علوم الحياة ، ان الحياة لا يمكن ان تكون نتيجة لافعال المادة الجامدة ساورة سيراً اعمى وفقاً للنواميس الميكانيكية . بل هي شيء اساسي مبدع ولها قصدها الخاص . ومن هنا نشأت فلسفة تعرف بفلسفة التطور المبدع ، تتخلق الحياة بمقتضاها ، اشياء جديدة خلقاً متصل الحلقات . حتى الذين لا يسمون بالتفريق الاساسي بين المادة والحياة ، يعمدون الى فلسفة البروغ (Emergence) كهويتهد والكسندر ومورغن او الفلسفة الكلية Holism كسمطس وانداده فالتعاون بين العلم والفلسفة آية الحياة الفكرية في هذا العصر . ولا يسعنا الاّن ان نحسب احدهما وحدة قائمة بذاتها منفصلة عن الاخرى . بل هما عضوان حيّان في جسم حي هو جسم المعرفة الانسانية

اصلاح اشكال الحكم

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

هاجتنا الى التجانس

ليس من مصلحة بلادنا في شيء ان نطلب لها الحكم الديموقراطي قبل ان نحصل على رحي اجتماعية نلحن بها الجماهير العربية فنجعلها متجانسة ونزيل من بينها هذه الفروق التي تجعل وحدة الرأي فيها بعيدة التحقيق ، ومن العبث ان نسوس البلاد بالتعاون والاشتراك والسود منا يعتقد مثلاً ان الادارة الكاملة هي ادارة القرون الوسطى . والمخرج الوحيد من البلاء الذي نعانيه هو اتحاد كلمة النخبة المنتخبة منا ولم شعبها لتتمكن من جرّ الدهاء الى الامام بالقوة ، وحسبنا مثلاً نحتذي به الاقلية الفاشستية والنازية والكمالية في بادئ أمرها فهي هي التي انتقدت ايطاليا والمانيا وتركيا من الانحلال ومن سلطة المجالس النيابية الجوفاء واضاعتها أثمن الاوقات في القال والقال على غير جدوى ولعلّ حكومة الاقلية او حكومة القاهرين ستمثل دور الانتقال من حكومة الغوغاء الى الحكومة الشعبية التي يتغنى بها منذ اجيال رواد الحكم النيابي الصحيح ، لان الديموقراطية الحققة المشروحة في كتب السياسة والتي قلما احسنت استخدامها الامم هي في التحليل النهائي الحكم الذي رضيه العقول الراجحة وتقبله التربية العالية . فتكون حكومة القاهرين والحالة هذه هي الرحي الاجتماعية المنشودة التي تجعل اجتماع كلمة الشعب على الشؤون الطارئة اقرب منالاً ووحدة الرأي اقرب الى التحقيق — حتى بين المذاهب الدينية المتشاكسة — وتصرف جهود الناس على انواعها في سبيل السعادة العامة والهناء المشتركة . ثم ان الحرية الفردية التي تلازم الادارة الديموقراطية عادة لا تقتضي في الشعوب الراقية الخلط والخلج والجموح والاشتغال بالسفاسف كما ذكرنا سابقاً بل تعني التعاون يقدمه الفرد بحسب ملكاته ومزاياه . وقد تمثل لنا ذلك على اتمه في الادوار العصبية التي جازتها انكسرت في الازمة العالمية الحاضرة ، فان حزب العمال لم يظهر كفاءة ولا انسجاماً ولا كان له من الزعماء من قبض على الشؤون بيد من حديد نخسر الثقة التي تمتع بها وزل عن دست الحكم من غير جلبة ولا ضوضاء ولا قعقعة . ذلك لان الامة الانكليزية اولت المحافظين تأييداً لم يسبق له مثيل حتى كاد يكون اجماعاً فتولوا الحكم والقوا الوزارة القومية الحاضرة على اهون سبيل

ولا جراء ان الوضع النيابي في البلدان التي استعدت له هو اداة تمكن اصحابها من تكوين الزعامة الفردية وهي زعامة لا تسيطر الشعوب عادة الا وراءها، وعلى قوتها تتوقف صلابة البناء السياسي جميعاً، بيد ان هذه الاداة نفسها تجعل الزعماء - على ما يجب ان يتحلووا به من حرية واستقلال في الرأي - خاضعين للرأي العام ثم ان الفرد من الدهاء عند ما تحجز حريته او يتخيل المظلمة نازلة به يشعر بانحراف الحكومة وضرورة اصلاحها، ولكنه يعرف في نفسه انه عاجز عن وصف العلاج الشافي، فاذا لم يكن عائشاً في كنف حكومة نيابية ثار في وجه الاوضاع السياسية للخلاص منها او سقط في شرك الدجالين الاخصائيين في استجلاب العوام او اصبح العوبة بيد ارباب المذاهب السياسية المستحدثة التي تدعي ان لديها الطلسم الشافي من جميع الاوصاب. وبخلاف ذلك لو كانت الحكومة نيابية ديمقراطية فان لمثل هذا الفرد من حق الانتخاب ما يمكنه من استنابة الرجل الاقوى على ايجاد المخرج الذي ينقذه من الضيق. لا جرم ان الحكومة الديمقراطية الصحيحة بالشروط التي اشترطناها هي اقرب الحكومات الى الحيلولة دون الثورة ذلك لانها تجعل الاهلين اجمالاً على اتصال بالسياسة التي تدير عليها الدولة وتجعل لهم علاوة على ذلك شيئاً من السيطرة على هذه السياسة. فلا يجد الشعب نفسه في حالة من الغبن تحمله على الالتجاء الى العنف واستخدام الشدة، ويكفي لاسقاط حكومة المستر مكدونالد مثلاً أن يقترح مجلس النواب عليها، ولكن اسقاط موسوليني او هتلر او مصطفى كمال يحتاج الى ثورة، ذلك ان ايطاليا والمانيا وتركيا ليس فيها مجلس نواب بالمعنى الديمقراطي الاصلي بل اعضاء يرقصون على النغمة التي يدندن بها الدكتاتور. وللديموقراطية شأن آخر خطير وهو ما تفسد به من المجال لارباب المذاهب السياسية والكفآت الادارية فقد دل الاحصاء على ان الاكفاء يجدون الفرص السانحة لظهور مواهبهم في الحكومات النيابية اكثر مما يجدونها في الحكومات الاستبدادية، ذلك لان طموح الدكتاتور مثل جمال الحسنة يأبى ان يرى له منافساً

على ان الباب اذا فتح للاكفاء في الديموقراطيات فهو ويا للأسف لا يوصد في وجه الدجالين ايضاً لما في مقدورهم من استجلاب طبقة من النواب لا تختلف عن العامة كثيراً الا في جلوسها على مقاعد النيابة. يستجلبونهم بعزف الانعام المبتذلة التي يطربون لها عادة، ولا نعرف وضعا اجتماعياً اسى استعماله في الشرق العربي لغايات سياسية حزبية مثل الدين وحجاب المرأة، وتكاد تكون كل رجعى قائمة على التظاهر بما يدعيه خصوم الانتقال من وجوب الدفاع عن العقائد والاعراض ومحاربة البدع التي يزعمون وجودها في الاوضاع المستحدثة. والعامة واشباه العامة من الناس اذا لم ترسخ في اذهانها القواعد الاولى التي يجب ان تتمشى عليها سياسة الدولة، ولم تتعلم ان تفرق بين الدعايات الباطلة والصيحات الصادقة سارت على غير هدى وانقادت لكل ناعق، وقد تفعل فيها الترهات فعل السحر في الاقوام الابتدائية

هذا بعض ما للديموقراطية وما عليها ذكرناه بشيء من التفصيل للشأن الكبير الذي له في التطور السياسي العالمي الحاضر ، وقد حاول الفاتحون بعد الحرب العظمى ان يحصروا قضية البلدان العربية الملوخة عن الدولة العثمانية في تزويد الاهلين بالمجالس النيابية ظناً منهم ان « الديموقراطية » التي ناض الرئيس (ويلسن) غمار الحرب لانقاذها من ايدي (الهنس) العسكريين الاتوقراطيين كلمة نسحرنا وتبهر عقولنا ، ولكن لو كان لنا اختيار ولم زغم على وضعنا السياسي الحاضر بقوة الحديد والنار و « هيام » المنتدين بنا — لفضلنا الف مرة مجلساً نيابياً مؤلفاً من رقاصين يدندن لهم الزعيم الوطني القاهر على هذه المجالس النيابية الكريمة . ومع كل اعتراضنا على مثل هذه المجالس النيابية في البلدان العربية فنحن نعتز ان نتائج الانتخاب لم تكن لترضي المندوب السامي في كثير من الاحيان ، ولو زادت حرية هذا الانتخاب قليلاً لكان اول قرار يصدره المجلس النيابي الخلاص من الختلين بعضهم وقضيضهم ، ولا يكون مثل هذا القرار مستغرباً لان دفع الموت الاكيد مقدم في البحث على سائر الاعتبارات ، ومهما بلغت الدهاء في شعوبنا من الغفلة عن الواجب والاسترسال في سخافات القرون الوسطى فهي شاعرة على التحقيق بالهلاك الذي يحيق بها من الاحتلال والاستعمار وكيف كان الأمر فيجوز للبلدان العربية التي لم تتجهز بعد بوسائل الانقاذ التي توسلت بها الامم الحية منذ ثورة اميركا في القرن الثامن عشر الى ثورة بولونيا في القرن العشرين ان تشتغل مؤقتاً بالوضع النيابي و « بالمناورات » البرلمانية الى ان تحين ساعة العمل ، وما من شيء يقرب هذه الساعة الخطيرة في تاريخ كل قطر من هذه الاقطار مثل تضافر النخبة المنتخبة من ابناءه لخدمة المصلحة العامة ، ثم على هذه النخبة المنتخبة ان تفهم الافراد ان قيمة الواحد منهم تقاس بنشاطه واشتراكه في تحمل التبعة وان من وقف موقفاً سلبيّاً من الامة وعاش كلاً على جهودها هو طئيلي اجتماعي بالمعنى الحيوي ، وقد انقضى الزمان الذي كان يجوز للفرد فيه ان يمدح على عزله بل دلنا الاستقصاء العالمي على ان العزلة هذه عرض جوهري من الاعراض الدالة على بعض الامراض العصبية الوييلة . وقد اجاد الاشتراكيون بقولهم « صوت واحد للعامل الواحد » ليستثنوا من هذا الخط تلك الخشب المسندة التي لا قيمة لها في القسطاس البشري لانها ليس لها عمل ايجابي في المجتمع ثم ان المصالح الاجنبية التي طرأت على البلدان العربية مزقتها وقسمتها على نفسها لتسهيل ابتلاعها ولم تحرم هذه المصالح من نفر من اهل البلاد ايدها اما لما يضمنون لانفسهم من المنافع الخاصة بهذا التزيق واما لما في ذهنيهم من ترهات قروسطية بالية ورثوها ممن استغلوا العقيدة الدينية البريئة ، فعلى العاملين ان يسترشدوا بما زرعه (هيجل) في الامة الالمانية من الطموح الذي سهل بناء الامبراطورية الجرمانية وذلك بما بثه من تلك الروح السامية التي ذهبت بالفوارق العرضية بين اجزائها . وليس بالمتعذر على الباحث ان يبين المنافع التي تجنيها الاقطار العربية من تعاونها وتوحيد اتجاهها بلوغ غاياتها المنشودة

ولا يفوتنا هنا ان نعتذر عن تأييدنا سياسية اليد القاهرة الحكيمة لادارة البلدان العربية المستقلة ، فهذا الاستبداد الذي نوافق عليه انما هو لاجل الحرية التي ننشدها ، ونحن نقادي بحرية بعض الافراد الممتازين الغالية مؤقتاً في سلامة مجموع الامة من التناحر والفوضى ، ولو كان مجتمعنا في المنزل السامية التي يتمناها كل مخلص امين ما فضلنا على الديمقراطية شكلاً آخر من اشكال الحكم لادارته ، وقد جاهدنا في سبيل الدستور على العهد العثماني جهاداً يذكره ابناء وطننا ولكن الحمية التي اصابنا البلاد العثمانية من نقص تربيتها السياسية وعدم استعدادها ايدت هذه النتيجة التي وصلنا اليها . ونحن نعتز هنا والاسى آخذ منا مأخذه ان الحكم القاهر يقتضي الشدة ووضع الحواجز والقيود على الافراد ، وغني عن البيان ان الادارة المملوءة بالنواهي والمحرمات وسائر انواع « التابو » او « اللامساس » هي ادارة وضعت في الاصل لعصر غير عصرنا ، وتعي في التحليل النهائي ان المجتمع الذي تطبق عليه مؤلف من افراد لا يعرفون ما لهم وما عليهم ، وان الطبيعة الحيوانية فيهم متغلبة على سائر الطبائع فيجب ان يساقوا بالقوة ويقرعوا بالعصا ، وهذا لعمرى اثر من اثر العقائد التي تحسب الانسان متمرداً قد افسدته وهدمت اخلاقه الخطيئة الاولى التي ارتكبتها في الجنة فهو والحالة هذه شرير بالطبع . ولو جاز للوالد ان يحسب اهل بيته اشراراً بالقطرة وان تربيتهم يجب ان تبتدىء على هذا الاساس النظري لرجعنا القهقري الى حالة الاسرة في العصر الغابرة اننا نعتز بكل ذلك ولكن ما العمل وحكم القاهرين هذا هو السبيل الوحيد للنجاة من التفكك والتفسخ والانشقاق ؟ لقد ايدنا الحكم الاستبدادي العادل للقطر العربي المستقل لاننا اهتمنا بانقاذ مجموع الشعب اكثر مما اهتمنا بانقاذ الفرد ، وقد يتبادر الى الذهن ان هنالك تناقضاً لازماً بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، حتى ان بعض ارباب المذاهب الفردية افراطوا في اظهار هذا التناقض ، ولكن التبعات الاجتماعية دأبت اهل البحث على ان الفرد في الحياة المجتمعة المؤلفة تأليفاً صحيحاً يحقق فرديته تحقيقاً اتم وذلك بما يكتشف فيها من الفرص الملائمة التي تظهر ميزاته ، يعني ان الفرد الذي يعيش في عزلة لا يجد من المجال لبيان ما امتاز به ومن المشجعات على ملكاته الخاصة شيئاً يعادل الفرد الذي يعيش في المجتمع ، وكلما كانت الفرص سانحة ومتنوعة في الحياة المشتركة وكان الطلب حثيثاً على بعض المزايا ظهرت هذه المزايا في شخص من يسمى « النابغة » او في شخص « رجل الساعة » ظهور البضائع المرغوب فيها في الاسواق التجارية . فلا عجب ان تأتينا الازمات والانقلابات وسائر انواع الشدائد بالنبغاء الجدد بل بأشبه النبغاء ومن هم دونهم وذلك للاسواق الجديدة التي فتحت في طلبهم . وقدما عرف علماء التاريخ ان الثورات تخلق « رجال الساعة » وفي جميع ذلك ما يدلنا على وجوب فتح المجال للافراد في الدولة كي يظهر النبوغ المستتر فيهم . وهذا ما جعل التعليم الزامياً في البلدان الراقية وفتح الابواب على مصاريعها للطلاب ليكون للفرد الواحد من الحظ ما يتيح له الفرص التي تظهر مزاياه الكامنة . قال (كونكلين) انه

ليرتفع الواحد منا ان يفكر كيف نمجا (اسحق نيوتن) بشق النفس من ان يكون فلاحاً بسيطاً او (فاراداي) من ان يكون مجلداً لا-كتب مجهولاً او (باستور) من ان يكون دباغاً قروياً . ويجب ان يكون في التاريخ الكثيرون من امثالهم في النبوغ ممن فاتتهم الفرص السريعة التي سنحت لهؤلاء . ومن عادتنا ان نظن ان العلماء لم يظهروا الا في فترات متباعدة ولكننا مع ذلك نعلم ان الازمات الكبرى تكشف عن العطاء دائماً . افلا يعني هذا الكلام ان الرجال جاهزون وانما يحتاجون في الظهور على المسرح الى هذا المنبه الجديد ؟ والميزات التي زهبا من الآباء والجدود كافية لمعظمنا بل هي اكثر مما نتصور ، وكذلك القابليات الكامنة في صدورنا هي عظيمة ولكنها قلما نجد لها ميداناً تتجلى فيه ^(١) . والعمل المهم الذي تقوم به الحياة الاجتماعية المشتركة لاجل تقوية الفردية هو انما تبحث عن الميزات الشخصية المطلوبة في الاحوال الطارئة على المجتمع كما تبحث الاسواق التجارية عن البضائع التي يكثر عليها طلب التجار ، فالرواج يكون معنوياً كما يكون مادياً ، وقد تنوع تلك الميزات المرغوب فيها تنوع هذه البضائع ، لذلك يجد النبوغ مهما كان نادراً وغريباً هواة « يشترونه » ، والرواج يخلق البضاعة المطلوبة خلقاً ويأتي بها ولو من الصين

لا جرم ان اتساع المجتمع اليوم وتفرعه بالقياس الى ما كان عليه في الماضي والارتقاء الذي تم له في البناء الذي يقوم عليه والعلائق الدقيقة التي يماسك بها كل ذلك لا يزيد فقط في طلب النبغاء بل يلحف كثيراً في تنويع النبوغ الذي يتجلى فيهم

وحسبنا من هذه التوطئة التي قدمناها ان نلفت الانظار الى خطأ الذين يحاربون الفكرة العربية العامة ويتطرفون في « اقليميتهم » ، ومن ادعى دواعي الاسف ان يكون اكبر عدد منهم — على قلته — في القطر المصري وهو القطر الذي يجني اطيب الثمرات من الفكرة العربية مادياً وادبياً ، ويديهى اتناكلما وسعنا مجتمعنا العربي ونوعنا اقاليمه فتحننا اسواقاً جديدة للنبغاء منا او لمن كانت فيهم قابلية النبوغ كامنة ، وشتان بين من يخدم قطراً فيه ثلاثة ملايين او اربعة ملايين من البشر كسورية او العراق وبين من يخدم عالماً عربياً يمتد من المحيط الى المحيط ، وكما ان القرية الصغيرة لا تنمي الخبراء من اهل الاخضاء لانهم لا يجدون فيها الزبائن الكافين « لشراء » فنونهم كذلك القطر الصغير يمت النبوغ لانه عاجز عن تحمل نبوغهم وتغذيته بالمال والاقبال. ولا هون على الاقاليم القطبية الجليدية ان تربي الطاووس من ان تنمي (بريدة) او (عنيزة) او (ينبع) المهندس او الكيموي

مكومة الزهر

لقد ايدنا حكومة القاهرة في المعنى السياسي الاجتماعي الحديث لتسير بالناس الى الامام بالقوة ونحول دون تفتتهم وتطبع في نفوسهم احترام الدولة لكننا لا نرى شراً من اقتصار اعمال الحكومة على زجر الرعية فقط ، ولا يسعنا في الختام ان ننهي هذا المقال من غير ان نستنكر الخطط

العقيدة البالية التي تسير عليها بعض الحكومات في العالم العربي سواء كانت حكومات مستقلة او زائفة ، فهي من اساسها قائمة على نظرية الزجر فقط بحيث لا يتورع بعضها من ان يتدخل في شؤون الافراد الخاصة، حتى ان زبانياتها ليكسرون صفائح المقول على رؤوس مستمعيه في زاوية الدار التي يسكنونها، وفي نظرنا ان اعظم تحول طرأ على الحكومات الحديثة هو خروجها من هذا الموقف السلبي — موقف الزجر والحظر و « التابو » و « اللامساس » — الى الموقف الايجابي ، موقف تشجيع الافراد والاخذ بناصرهم ، ويتجلى ذلك حتى في اشد الحكومات الحديثة استعباداً كالفاشستية والنازية . والاكثر من الزجر والتشديد بدلاً من الاكثر من الارشاد والتشجيع عمل يستند الى فكرة سخيفة فخواها ان تغيير طبائع الافراد محال فواجب الحكومة والحالة هذه ان تحول دون شر الرعية فقط واما السعي لتحسينها فهو عقيم ولا محل له في منهاجها ! ونحن وان اعترفنا بان المدنية لم تغير بعد تغييراً جوهرياً في طبيعة السواد من الناس في العالم المتمدن ولا سيما في ساعة الغضب والانفعال الا اننا من اشد انصار التربية الايجابية، ولا شيء نسخر منه مثل الاعتراف بالعجز عن الاصلاح، ولئن اعجبنا (ابو العلاء المعري) كثيراً برقة شعوره في التبرم من الخلق وتشاؤمه من فساد فطرتهم فقد اعجبنا الاستاذ (توماس هكسلي) اكثر بتفأله بالاصلاح وامله بالتغيير حين قال « يمكن عمل الشيء الكثير لتغيير طبيعة الانسان، فالادراك الذي حوّل الكلب وهو اخو الذئب الى حارس القطعان الامين يجب ان يكون قادراً على عمل شيء لاختضاع الغرائز الوحشية في الانسان المتمدن »^(١) ومن المؤسف الممض ان نكون في شؤوننا الشرعية والاخلاقية والاجتماعية لانزال متمسكين بالعتيق في حين ترانا في صناعتنا وعلومنا العملية كما قال الاستاذ (بايندر) على احدث طراز فاذا ما دخلت مصنعاً من المصانع الراقية او مخبراً من المخابر الفنية راعك ما فيه من المستحدثات لكنك لا تجد اصحابه يختلفون في عقائدهم اختلافاً جليلاً عن زملائهم في القرون الوسطى ، وكم رأينا عاملاً متفناً او خبيراً من اهل الاخضاء لا تختلف نظريته في الخليقة وتاريخها عما خلفه البابليون في سفر التكوين ، وسخافات « العظاء » اشهر من ان تذكر . ومن المهم جداً ان يكون للعالم العربي حكوماته الوطنية تعمل بوحى من عندها لان الارتقاء الذي يحصل عليه الشعب بتطوره الداخلي هو الارتقاء الثابت الذي لا يكون عرضة للتقلب السريع . ولت المنتدين في الشرق وغيرهم من المستعمرين الذين يتظاهرون بالافراط في خدمة المصلحة الشرقية فيتدخلون في كل شيء ينصتون الى قول الاستاذ بايندر حين قال « لقد دلّ التاريخ على ان الانسان لا يمكن ان يدار من الخارج كائنه ما كانت القوة التي تحاول ذلك . بل هو يدبر نفسه بيده وذلك حين يقوم امام عينه مثل اعلى للاحتذاء فيجده مناسباً له ومتصلاً به اتصالاً صحيحاً . وتجذبه الى اخوانه من بني الانسان حاجته الى التكامل ٣٣٦ وتحمله هذه الحاجة الى العمل بطريقة تربى فيه ذاتية يحتفظ بها سليمة غير منقوصة »^(٢)

العلم والحياة الجنسية

مناظرة علمية اجتماعية

[هذه المقالة ملخص مقالين نشرتا في مجلة السينتفك اميركان المعروفة عند قراء المقتطف بمقامها ورزاتها . وقد كتب محررها في تقديمها ما مؤداه : هذه مجلة علمية وموضوع الجنس موضوع علمي تتناوله في الحين بعد الحين من دون تردد . فالمقال الاول للدكتور بارشلي الاستاذ في علم الحيوان ومؤلف كتاب : (علم التناسل الانساني - نواحي الجنس البيولوجية) وهو يحسب بين العلماء ثقة في موضوع تناسل الاحياء . ويتناول في مقاله موضوعاً خاصاً تدور حوله الاحاديث وقلمنا تكتب عنه كتابة علمية . اما المقال الثاني للدكتور اغناطيوس كوكس وهو قس واستاذ لادب النفس في جامعة فوردهام الاميركية . وفي تقديم السينتفك اميركان غنى عن اي تقديم آخر من قبلنا]

- ١ -

لست أعرف موضوعاً أوثق صلة بحياة الانسان الخاصة من موضوع العلاقة الجنسية، ولا اجابة اصعب من الاجابة عن السؤال الذي وجهه الي محرر هذه المجلة وهو : هل الاتصال الجنسي ضرورة فسيولوجية ؟ فهو سؤال ، لا بد أن يجيب عنه ، كل على منواله الخاص . لانه لا يحق للانسان ، كائناتاً ماكان - طبيباً او قسيساً او عالماً بالحياة او شرطياً - يحافظ على الامن العام والآداب العامة - ان يملئ رأيه على غيره في هذا الموضوع . لذلك كان الشعور الاول الذي احسست به عند توجيه السؤال الي ، ان اعتذر ، أو أن اصالح الموضوع ، من ناحية الحيوانات الدنيا دون غيرها . قلت لنفسي كيف يستطيع انسان ان يجيب عن هذا السؤال ، الخاص بحياة كل انسان الخاصة ، وهو في موضوع تضاربت فيه الآراء ، ولم نظفر بعد ، بالحقائق الوافية التي تمكننا من الحكم فيه حكماً فاصلاً . ولكن هذه الاعتراضات ، زالت قوتها لما تبين لي ، اننا نستطيع اليوم أن نعالج هذا الموضوع معالجة مجردة من ناحية ما يقضي به العقل ، لا من ناحية ما يلبسه من الخرافات والاهوام . ثم اننا لأول مرة في تاريخ الحضارة ، نملك الآن من الحقائق البيولوجية ما يمكننا من وزن الموضوع في ميزان علمي ، لا نقول انه الميزان النهائي ، وانما هو على الاقل السبيل الى حكم مستدير فلننظر اولاً في الحقائق البيولوجية التي يقوم عليها البحث في هذا الموضوع الخطير

ان جسم الانسان ، بحكم مكانه في عالم الحيوان ، مجهز بوسائل التناسل واخلاف النسل . أي ان النوع الانساني مؤلف من جنسين او شقين يتم احدهما الآخر ، هما الذكر والانثى . والبناء الفسيولوجي والنفسي ، في هذين الشقين ، يجعل عمل الشقين معاً ، عملاً لا بد منه لاختلاف النسل

وحفظ كيان النوع . ففي الانساني بشقيهِ ، كما في جسم الحيوانات الثديية ، أجهزة عصبية وعضلية وغددية ، دقيقة التركيب مرهفة الحس ، تشترك جميعاً في هذا العمل الخطير . ومن السهل على من يدرس التشريح والفسولوجيا من ناحية المقابلة أن يبين ، كيف يقابل كل جزء من هذه الاجهزة في جسم الانسان ، جزءاً مثله في اجسام الثدييات العليا ، ولكننا لسنا بحاجة الى هذه المقابلة ، لان كل من له المام بالموضوع لا ينكر هذه الحقيقة

غير أن ما يهمننا بوجه خاص هو مسألة السلوك والتصرف . لانه اذا سلمنا بأن اجهزتنا التناسلية ، شبيهة بأجهزة الثدييات ، فهل تصرفنا او سلوكنا التناسلي ، شبيه بتصرفهم او سلوكهم ؟ الانسان يختلف عن سائر الثدييات ، في انه لا يعتمد طوال حياته على فعل الغرائز ، بل هو يثقف عقله بالتعليم ويحيط حياته بألوان المؤثرات الثقافية . ولكن مع ذلك لا ينكر عالم فسيولوجي ، ان تصرفنا التناسلي لا يختلف في قليل ولا كثير عن تصرفها هي ، وهذا مما لا يعرف بوجه عام ، وان هو عرف فقد تتكرر له التقاليد الاجتماعية

العوامل القوية التي تؤثر في تصرف الحيوان - ومنه الانسان - هي عوامل الجوع والجنس والخوف ، أو هي بكلمات اخرى ، الحاجة الى الطعام ، والمزاوجة ، والحماية . فالحيوان من دون الطعام ، يموت . ومن دون المزاوجة ينقرض . ومن دون الحماية لا يجد سبيلاً الى اكفاء الباعثين الاولين . فهذه البواعث هي قوى تدفع بالحيوان الى تحقيقها ، لانها اساس الحياة ، ولا حياة له من دونها . وكذلك نرى ان الدافع الجنسي ، في النوع البشري ، كما هو في غيره دافع قوي ، ويستحيل قمعهُ او كبته في انسان سوي . واذكر ايها القارئ ، ان هذه القوة المكتسحة ، ليست غريزة غرضها التماسل ، او رغبة في الاولاد والنسل ، بل هي الرغبة في المزاوجة ، ليس الا ، لان الحيوان اذا احس بهذه الرغبة لا يفكر في حفظ النوع ولا في النسل . وهذه الناحية من الموضوع نسلم بها حالاً ، اذا نظرنا الى الحقائق المشاهدة ، وصرفنا النظر عن التقاليد ، ولا بد من ان نحسب لها حساباً في كل نظر معقول الى الموضوع

ان البحث الحديث في الحيوانات الثديية يبين بوجه عام ، ان الباعث الجنسي او المحرض التناسلي ، يتخذ شكلين ، هما بحسب ما دعاها بریفو Briffault الباعث التناسلي ، والباعث التزاوجي . ففي اكثر الحيوانات لا نرى أثراً للباعث الثاني ويقصد به ادمان ذكر واحد لانهى واحدة مدة طويلة . اما الباعث التناسلي الذي يظهر في المزاوجة بين ذكر وانثى ، ينفصلان بعدها ، فهو القوة الطبيعية العامة التي اشرنا اليها . فبعد ان يكفي هذا الباعث ينفصل الذكر عن الانثى ، حتى يحين فصل المزاوجة التالي ويشتد هذا الباعث من جديد . واذاً فالاسرة بين الحيوانات تتألف من الام واولادها . ومدى أسرة من هذا القبيل ليس طويلاً لان الاولاد ، لا يلبثون حتى يشتد ساعدُهم ويروح الذكر يبحث عما يكفي الباعث التناسلي فيه ، والانثى كذلك

أما في رتبة الرئيسات (البريمات) — أي القردة والانسان — فتختلف الصلات بين الذكر والانثى عنها في الحيوانات التي دون ذلك في سلم التطور. ذلك ان الصلة بين الذكر والانثى في حيوانات هذه الرتبة، تنقسم بسمة من الاستقرار الى حد ما. وتعليل ذلك بسيط، ذلك ان الحيوان في ارتقائه اضاف الى الباعث التناسلي الباعث الزواجي، من دون ان يضعف الثاني، الاول

وصحيح ان الانثى في حيوانات هذه الرتبة، تحتاج الى حماية الذكر مدة اطول من مدة الحماية التي تحتاج اليها الانثى في الحيوانات التي دون ذلك، لان مدة الحمل اطول، وكذلك مدة الطفولة. ولكن من الخطأ ان نحسب، ان استقرار صلة الذكر بالانثى، الناشئ عن هذه الحقائق البيولوجية سببه نوع من الغيرية او المحبة الوالدية. والذي يربط الذكر بأنثاه في هذه الرتبة انما هو استعداد الانثى للزواج في جميع الاوقات بوجه عام. ففي الحيوانات الدنيا، لا تكون الانثى مستعدة للزواج إلا في فصول معينة وأما في حيوانات هذه الرتبة فاستعدادها لذلك يكاد يكون دائماً

وكذلك ترى ان الباعث الثاني، من باعثي «بريفو» أي الباعث الزواجي انما هو وسيلة اختراعها الطبيعة لا كفاء الباعث الاول، بطريقة مستقرة. وهو قائم كما تقدم على خاصة فسيولوجية في الانثى، ويظهر في مظهر تعدد الاناث التي يتخذها الذكر لنفسه، ويدفع عنها رغائب ذكر غيره، ما استطاع الى ذلك سبيلاً. والافتناع بزوجة واحدة او اتخاذ اكثر من زوجة، لا علاقة له بالبيولوجيا، لانه يقوم على عوامل اجتماعية واقتصادية كالحرب والطعام والتوزيع الجغرافي وغير ذلك. والاسرة التي من هذا القبيل كائنة بين طوائف من القردة، كما درسها زوكرمان، وفي النوع الانساني. بل ان هذه الاسرة، هي الخطوة التي تقدمت نشوء الاسرة الانسانية بمعناها المعروف، التي تبدو فيها الظاهرات الانسانية، كالحب الابوي، والحب العائلي، والمحبة الخيالية، واشكال الزواج على اختلافها وقبل ان نترك موضع الصلات الجنسية في الحيوانات التي دون الانسان، يجب ان نذكر، ان مظاهر الباعث التناسلي في الانسان، هي في القردة، إلا قليلاً منها، لا محل للتبسط فيه هنا.

بل ان العالم ملر، قد أثبت وجود الشواذ التي تتصف بها العلاقة الجنسية الانسانية في القردة واذن يتضح، ان جهاز الانسان التناسلي، وتصرفه او سلوكه التناسلي كذلك لهما أساس بيولوجي قديم يمكن الارتداد به الى الحيوانات التي دونه، فالحيوانات التي دونها في سلم التطور. وعليه لا يمكن ان تنظر في هذا الموضوع، على انه موضوع خاص بالانسان دون غيره من الحيوانات اذا شئت ان تنظر الى الموضوع نظراً علمياً

فاذا التفتنا الآن الى موضوع مظاهر الباعث او المحرض الجنسي في الحضارة الغربية يجب ان نذكر، ان الانسان ليس مخلوقاً قائماً بذاته، منفصلاً عن سائر الاحياء، ومحرراً من القوى العنيفة التي تدفع تلك الاحياء الى عمل ما تعمل. وليس للانسان مصدر وحي لا يخطيء، يقول له ما يجب ان يفعل، او كيف يفعله، بل على الضد من ذلك أن تصرف الانسان في هذه الناحية، سببه قوى بيولوجية

يشارك فيها مع الحيوانات الاخرى حتى في التفصيلات ، واغضاء النظر عن هذه الحقائق أفضى الى اقامة الحواجز والقيود ، دون هذا الفعل الطبيعي ، وقد بلغت هذه الحواجز والقيود أشدها واعلاها في أوائل القرن الماضي ثم بدأت تنهار وتنحل بتقدم العلم وانتشاره

بعد كل ما تقدم نستطيع الآن ان نعود الى السؤال الاول فنحاول الاجابة عنه اجابة ترضى عنها الحقائق العلمية . كل الرجال والنساء ، الا القلائل الذين ليسوا أسوياء الاجسام ، يحتاجون الى التنفيس او الاعراب عن الباعث التناسلي ، كضرورة فسيولوجية . وليس ثمة أي جواب آخر ، يمكن ان نجيب به ، اذا اعتبرنا حقائق التشرح والفسيولوجيا ، وطبيعة الانسان البيولوجية . ولا ريب في ان هذا التنفيس او الاعراب ، ليس بضرورة — لا يستغنى عنها عاجلاً — لاجل حفظ الكيان الانساني ، كضرورة الطعام وحماية الجسم من أعدائه الخفية والظاهرة . ولكن لما كان الباعث الجنسي ، ذا شأن عظيم في فعل التطور ، ومتصلاً اتصالاً عميقاً بفسيولوجية الجسم وسيكولوجيته ، فقمعه او كبته ، قمعاً او كبتاً مطلقاً متعذراً ، ومحاولة قمعه او كبته مدة طويلة ، قد يفضي الى ضرر فسيولوجي او اضطراب سيكولوجي

أنا اعلم ان هذا القول قد يجحد من يعترض عليه ويتحداه ، لانه ليس القول الذي تعودنا سماعه من الذين اتخذوا « ادب النفس » نبراساً لهم في الحياة ، ولكنني اعتقد انه يعرب عن الحقيقة — الحقيقة كما أثبتتها البحث العلمي الحديث ، وكما تؤيدها الخبرة الانسانية على مدى العصور ان التقاليد الاجتماعية والادبية الباسطة ظلها على اجتماعنا ، وتقضي على طوائف من الناس بالحرمان الطويل تناقض الاعتبارات العلمية التي بسطناها في هذا المقال ، وتقيم في وجودها مشكلة اجتماعية خطيرة . ولا أريد ان اتناول هنا بعض الجماعات التي يختار أفرادها رجالاً ونساء ، ان يكبتوا الباعث الجنسي فيهم بارادتهم . ولكننا اذا نظرنا الى الذين تعدوا سن المراهقة ممن عدا تلك الجماعات الخاصة ، وجدنا طائفة كبيرة من الذكور والاناث الاصحاء الذين لا يستطيعون الزواج لسبب من اسباب كثيرة متعددة ، ولسنا زري في غير التسليم بالرأي الذي يقضي به العلم مخرجاً لهم من مأزقهم . اذ ذاك تصبح العلاقة الجنسية — في ما خلا الاولاد — علاقة خاصة كل الخاصة

— ٢ —

حكم الاستاذ پارشلي في مقاله المذكور بأن « كل الرجال والنساء ، الا القلائل الذين ليسوا اسوياء الاجسام ، يحتاجون الى التنفيس او الاعراب عن الباعث التناسلي كضرورة فسيولوجية ، وليس ثمة اي جواب آخر يمكن ان نجيب به اذا اعتبرنا حقائق التشرح والفسيولوجيا وطبيعة الانسان البيولوجية ، ولا ريب ان هذا التنفيس او الاعراب ، ليس بضرورة عاجلة لاجل حفظ الكيان الانساني كضرورة الطعام وحماية الجسم من أعدائه الخفية والظاهرة ، ولكن لما كان الباعث الجنسي ، ذا شأن عظيم في فعل التطور ومتصلاً اتصالاً عميقاً بفسيولوجية الجسم وسيكولوجيته ،

فقمعه او كبتة ، قمعا او كبتا مطلقا متعذر ، ومحاولة قمعه او كبتة مدة طويلة قد يفضي الى ضرر فسيولوجي او اضطراب سيكولوجي »

وقد بحث الدكتور كوكس بالاسئلة الى الاطباء البيولوجيين وعلماء النفس وأطباء العقل يستطلع آراءهم في الموضوع . ثم عمد هو ومعاونوه الى الكتب التي تعالجه يستنطقها ، والنتيجة التي وصل اليها ، مع ان الردود جميعها لم تصله حين كتابة مقاله ، هي ان معتقدات الاستاذ بارشلي ليست قائمة على العلم وان محاولته التوحيد بين هذه المعتقدات والعلم ، عمل صبياني او على الاقل غير علمي

حاول الاستاذ بارشلي ان يبين الشبه بين الحياة التناسلية في الحيوانات الثديية العليا وفي الانسان وعلى هذا الشبه بنى كثيرا من ادلته . ولكن القس كوكس عمد الى كتاب حديث اشترك في تأليفه جماعة من الثقات بعد ما بحثوا عشر سنين بحثا دقيقا في موضوع « الجنس والغدد الصم » وفيه يقول احد المؤلفين ان البحث في مقابلة حياة الانسان التناسلية بحياة الحيوان الثديي ، تحتاج الى دقة عظيمة في تحديد التجارب والسيطرة عليها حتى لا يتسرب اليها الخطأ لكثرة الفروق في بناء الاجسام والبيئة المحيطة بالفريقين ولقلة الحقائق المعروفة عن فعل التناسل نفسه في الانسان »

ثم يقول الدكتور كوكس : وما يدل على ان الدكتور بارشلي لم يعن بجميع نواحي الموضوع قبل اخراج حكمه المشار اليه انه ناقض نفسه بنفسه ، ومهما تعدد وجوه الشبه بين حياة الثدييات التناسلية ، وحياة الانسان التناسلية ، فلا ريب ان هناك فرقا طبيعيا يقتضي التفكير ، وهو ان حياة الثدييات التناسلية ، ليست خاضعة لسيطرة الارادة الحرة . اما حياة الانسان التناسلية فمخضعة لهذه السيطرة وحتى الاستاذ بارشلي نفسه لا ينكر ان الاعراب عن الباعث الجنسي خاضع بعض الخضوع للارادة . وانما هو يذهب الى ان اخضاع هذا الباحث اخضاعا كاملا (اي قمعه) للارادة الحرة يفضي الى اضرار فسيولوجية وسيكولوجية . بيد ان الطبيعة لا تخلق شيئا سدى أو على غير هدى او لغرض . فهي لم تخضع دورة الدم وفعل القلب لارادة الانسان الحرة . فاذا هي اخضعت الفعل التناسلي لسيطرة الارادة الحرة ، فانما هي تقصد ان يتم الاعراب الجنسي بإرشاد الارادة مستنيرة بالعقل . وهنا موضع التناقض في حجة الاستاذ بارشلي . فهو آنا يقول ان الانسان تحيط به عوامل ثقافية متنوعة فيتأثر بها ويتحول طبقا لفعالها ، وهذه العوامل تتوقف على الذكاء والعقل . وفي جملة ثمانية يقول بوجود الغاء العقل في الحياة التناسلية ، وتنسيق تلك الحياة على مثال الحياة التناسلية في الحيوانات التي لم يبلغ فيها العقل ما بلغه في الانسان من درجات الارتقاء

والغرض الاولي الذي رمت اليه الطبيعة ، من اخضاع الفعل التناسلي للارادة الحرة ، هو ان يستعمل ارادته ، في تدريب الباعث التناسلي وتنظيم فعله ، فيوفق بذلك بين التيارات النفسية المتعارضة . فتقصير الاستاذ بارشلي ، في اقامة وزن ما ، لما رتب الطبيعة في اخضاع الفعل الجنسي

للارادة ، حالة انها لم تفعل ذلك في الحيوان ، يزيل كل اساس لوجه الشبه ، الذي بينه وبين حياة الحيوان التناسلية وحياة الانسان

هذا شيء من الناحية البيولوجية . فالعلم في رأي الدكتور كوكس لا يؤيد وجهة النظر التي اوردتها الدكتور بارشلي . فلننظر الى الموضوع من الناحيتين الفسيولوجية والسيكولوجية . يقول الدكتور بارشلي « ان الفعل الجنسي متصل اتصالاً عميقاً بفسيولوجية الجسم وسيكولوجيته ، فقمعه او كبحته قمعاً او كبتاً مطلقاً متعذر ، ومحاولة قمعه او كبحته مدة طويلة قد يفضي الى ضرر فسيولوجي او اضطراب سيكولوجي »

أما الدكتور ارثر جاكوبسن وهو عالم ومحرر لمجلة التيمس الطبية — « مديكال تيمس » — فقد ردَّ على سؤال وجهه اليه الدكتور كوكس في هذا الصدد بما يأتي : « أنا واثق بأن كبار النقات في هذا الميدان يترددون في الحكم او التحكم في موضوع هل الحرمان الجنسي مضر ؟ اننا اذا راجعنا كتاب كلبن في موضوع التقدم الحديث في الامراض العصبية السيكولوجية وجدنا اشارة الى فرويه فيقول اننا قبل ان نستطيع ان نسند حالة عصبية ما الى الباعث الجنسي ، يجب ان نتأكد ان الحالة العصبية نفسها ليست معقدة ، لانها اذا كانت معقدة ، فأسبابها تكون متعددة ولا يمكن الجزم بأن الباعث الجنسي هو وحده سببها ، فاذا أضفت الى ذلك قول ستيكل — وهو ثقة في هذا الموضوع — ان الحالات العصبية النفسية لا تكون الا معقدة ، فهمنا ان الحكم في اسناد احدي هذه الحالات الى بواعث جنسية فيه شيء كثير من التحكم

اما الاستاذ توماس بريانت ، وهو من جراحي بريطانيا الكبار ، ومؤلف كتاب « الجراحة » فيقول : ان الطالب يجب ان يتذكر ان وظيفة الخصية ، كوظيفة الثدي والرحم قد تتوقف عن العمل مدة طويلة ، او مدى الحياة ، ولكن بناءها الحيوي يبقى سليماً ، فتقوم بوظيفتها قياماً طبيعياً اذا اثيرت اثاره صحية . وهي تختلف عن سائر الغدد ، في انها لا تضعف ولا تحول بقلة الاستعمال ثم ان الدكتور هنتر مؤلف كتاب « الاضطرابات في الوظيفة التناسلية » يقول صفحة ٢٦٢ ان « العفة لا تضعف الصحة ، لا من الناحية الفسيولوجية ولا من الناحية السيكولوجية » ذلك « ان اعضاء التناسل مبنية بناء يختلف عن بناء الاعضاء الاخرى في الجسم ، فهي مبنية لكي تقوم بوظائفها في فترات متقطعة ، وقد تتوقف عن عملها توقفاً لا حد له ، من دون ان ينالها ضرر ، في تشرىحها (اي بنائها) او فسيولوجيتها (اي قيامها بوظائفها)

ويقول الدكتور جيمس فشر سكوت في كتابه « الغريزة الجنسية » : — « وثمة فكرة خاطئة بأن القيام بالفعل الجنسي ضروري للاحتفاظ بالصحة » ثم يقول « ان الفسيولوجيا التي تعلم ان استعمال الاعضاء التناسلية ضروري للاحتفاظ بالنشاط العقلي والفسيولوجي لهي فسيولوجيا خبيثة ونصف

علمية . ويقول الدكتور ليونل بيل الاستاذ بكلية الملك في لندن ، في كتاب له موضوعه « ادبنا والمسألة الادبية من الناحية الطبية خاصة » ما يأتي :

ان القول بأنه اذا لم يكن الزواج ، فلا بد ، لاسباب فسيولوجية ، من شيء يحل محله ، قول خاطيء ولا اساس له . ولا يستطيع ان ابالغ في القول بأن اتم درجات الاعتدال والعفة ، تتفق والنواميس الفسيولوجية والشرائع الادبية في آن واحد ، وان الاستسلام للشهوة لا يمكن تسويغه بالنواميس الفسيولوجية كما لا يمكن تسويغه بالشرائع الادبية . ويقول السر جيمس بايحت ، وهو جراح بريطاني كبير « ان العفة لا تضر بالجسم ولا بالعقل ... والزواج يمكن ان يتأخر من دون اي ضرر » ثم يقول الدكتور كوكس ، ان احد المؤلفين الذين اعتمد عليهم الدكتور بارشلي نفسه يقول القول الآتي : « ورغمما من هذا يؤكد بعضهم ان العفة قبل الزواج ، نوع من التقليد او الفرض الادبي ، وانها مخالفة لحقائق العلم ومقتضياته ، وأنه يجب ان تلغى من المجتمع . وهؤلاء الذين يقولون هذا القول ، يبنون موقفهم على قراءة ما قيل عن مذهب فرويد . انهم قد تغاضوا عن الحقائق الاساسية فاذا اردنا ان نقول في الموضوع كلمة بسيطة ، قلنا ان الاضطرابات العقلية والعصبية ، الناشئة عن الحرمان الجنسي ، لا يمكن أن تشفى بالوصال »

وفي سنة ١٩٠٢ اجتمع مؤتمر دولي في بروكسل من الاطباء والعلماء للبحث في هذا الموضوع فأصدر بياناً وقعته ١٥٩ طبيباً ومما قالوه فيه : « ان الشبان يجب ان يتعلموا ان العفة لا تضر ، بل ان ممارستها اقوى حصن للصحة » ويؤيد ذلك اثنان من اساتذة باريس يدعى احدهما فيريه Féré والأخر هنسار Hensard في كتب لهما مطبوعة ومنشورة . وقد اورد الدكتور كوكس من هذا القبيل أقوال علماء وأطباء كثيرين ثم قال : « وانني لا عجب كيف يستطيع الاستاذ بارشلي بعد كل هذا ان يدعي ان كل العلماء الذين يحق لهم الحكم في هذا الموضوع سواء أكانت آرائهم هي الآراء التي يبدونها في اجتماعاتهم الخاصة ام في كتبهم ورسائلهم المطبوعة يؤيدون النتائج التي وصل اليها هو ثم ختم مقاله بقوله ، انه حاول ان يرد على الاستاذ بارشلي ، في الميدان الذي اختاره لبحثه أي الميدان العلمي ، فأثبت ان رأي العلم في الموضوع ليس كما يقول ، وأنه اجتنب البحث في الموضوع من ناحية الفلسفة الادبية ، ومن ناحية تعاليم المسيح ، معتمداً على أقوال علماء ثقات ، ليس بينهم كاثوليكي واحد ، حتى يمكن ان يتهم بأن عقيدته الكاثوليكية لوّنت تفكيره في هذا الموضوع ، وان الانسانية في خلال سيرها الطويل من أيام الهمجية الاولى ، الى القرن العشرين ، قد أثبتت بالتجربة والامتحان ، ان التقاليد الخاصة بالعفة والزواج وما اليهما ، هي خير الوسائل للاعراب عن الباعث الجنسي ، وقد قبلتها ، لا لانها كانت حياً هبط عليها من السماء ، بل لان فائدتها ثبتت لها بالتجربة ، ولولا ذلك لما ثبتت على كثر القرون . والنتائج التي وصل اليها الاستاذ بارشلي ، اذا سار بها الشبان والشابات الى نهايتها المنطقية ، اي اذا نفذوها أضرت بهم ضرراً حسيّاً ونفسيّاً ، وبالمجتمع كذلك

السيكلوجية الحديثة

التحليل النفسي — مسمر وبرور

ليفتوب فام

نبت التحليل النفسي في عالم الطب . وانتقل منه الى دائرة السيكلوجية الحديثة على يد فرويد
أبي التحليل النفسي بلا منازع

في النصف الاخير من القرن التاسع عشر كانت مدرسة نانسي ومدرسة باريس تعالجان الامراض
العصبية وفي حوالي ذلك الوقت (سنة ١٨٧٠) اكتشف مسمر Mesmer التنويم المغناطيسي ، فأخذته
المدرستان واستعملته في معالجة بعض الامراض العصبية مثل الهستيريا والملائخوليا ، وقد تم
لها بعض النجاح في هذا المضمار وذهب فرويد الى تينك المدرستين ليدرس وسائلهما في معالجة
هذه الامراض

وفي ذلك الوقت أيضاً كان برور Breuer الطبيب النمساوي يطبق طرق نانسي وباريس على الحالات
التي كان يعالجها ، وبالطبع لجأ الى التنويم المغناطيسي فيما لجأ اليه من الوسائل ، وذهب اليه فرويد
ايضاً وأخذ يتلقى عليه ويعينه في معالجة تلك الحالات ، ولكن برور اكتشف شيئاً غايه في الغرابة
أحدها اصبح حجر الزاوية في التحليل النفسي والثاني غير وسائله وطرقه كل التغير وكان من شأنه
ان برور نفسه أعفى نفسه من الموضوع كله وأقام حاجزاً متيناً بينه وبين هذا الضرب من العلاج

اكتشف برور اولاً ان المريض بمرض عصبي يشفى من تلقاء نفسه اذا ما ترك ليقص ما يضايقه
على الطبيب ، وبعبارة اخرى اترك المريض في حالة راحة وطمانينة ، واطلق له العنان ليتحدث فيقول
كل ما يخطر بباله من الامور الخطيرة والتافهة، العظيمة والسخيفة، واغلب الظن انه يشفى بما هو مصاب
به من الامراض العصبية . قد يسرد المريض ما يحب ويكره من الاطعمة والملابس وما أشبه ، وقد
يروى لك احلامه التي تلازمه بعض الليالي ، وقد يتحدثك عن بعض اختبارات في الطفولة ، وقد يشكو
لك أخاه او امه او أباه ، وقد يمدحهم ويفرط في مدحهم او مدح بعضهم ، او قد يسرد عليك ما

بالمثل وهو يجلس أمامك ، او ما تشير زيارته لعيادتك من الخواج والمشااعر النفسية . قد يفعل هذا او شيئاً يقرب او يبعد منه ، ولكنه سينطلق في الحديث على كل حال وسوف يقص عليك شيئاً ما وفي جميع هذه الحالات سوف يفيد المريض من هذا الكلام ، وقد يشفى مما هو فيه وقد لا يعود اليه المرض مطلقاً

اكتشف برور هذا ، وهو كما نفهم أساس التحليل النفسي ، او هو التحليل بذاته ، وهو بذاته ما يطلبه كل طبيب نفسي من مريضه الى الآن ، لا بل لا يطلب الطبيب من المريض شيئاً غير هذا في جميع الحالات ، وبالطبع فصل فرويد هذه الطريقة تفصيلاً ووضع لها قواعد وحدوداً وغايات وأغراضاً ، ثم وضع لها نظريات تركز عليها وتحتمي فيها عند ما يناقشها العالم العلمي ، ومع كل ما عمله فرويد وأضافه اليها ما زال في أساسها عين الطريقة التي اكتشفها برور ولكن برور وجد شيئاً آخر كان من آثاره ان قطع الصلة بين هذا الطبيب وتلك الطريقة ، وبعبارة اخرى اكتشف شيئاً مزججاً له مربكاً قضى على كل صلة بينه وبين مواصلة البحث في طريقة التحليل النفسي كأساس لمعالجة الامراض العصبية

كانت الطريقة التي اتبعها هو وفرويد انهما اذا ما عرضت لهما حالة تستدعي العلاج بالتحليل النفسي ، ان ينوما المريض ، ويطلبا اليه وهو في حالة الذهول هذه ان يروي لهما ما يعن له من الخواطر والاحساسات والمشااعر قبيحها وجميلها . يروي كل هذه من غير حرج او تفكير في الآداب الاجتماعية او في قواعد السلوك والعرف ، ولكنهما اكتشفا انهما لم يكونا يستطيعان تنويم جميع المرضى ، فان بعض الافراد لم يكن ليتمكن تنويمه بأي حال من الاحوال . وبالطبع اذا استعصى التنويم على احد المرضى فقد استعصى العلاج على الطبيب ، لان من مستلزمات هذه الطريقة ان ينعدم كل زوع او ارادة عند المريض في اثناء العلاج

كانت هذه صدمة كبيرة لبرور وفرويد ، لانها لم تكن تعني الاً الاخفاق المحقق الذريع يواجهه الطبيبين ويسد عليهما المنافذ ويفسد عليهما عمهما ويضيع عليهما جهودهما ، ومع كل هذا لم تكن تلك هي الصدمة الوحيدة في هذه السبيل ، وانما تلتها اخرى واخرى بحيث قضت على برور ان ينسحب من هذا الميدان انسحاباً تاماً

كان المريض عند ما يستعصى عليه النوم يظل مالكاً لجميع حواسه متقيداً بالعرف والاوزاع الاجتماعية بعيداً عن ان يستسلم للخواطر يتلوها كما تتوارد في نفسه من غير بحث او غربلة . فكان يلتقي منها ما يصح ان يذكره من غير حرج ومن غير ان تتقزز نفسه لذكره ، واما ما كان يخجل منه او ما اصطالح الناس بينهم وبين أنفسهم على ان لا يذكره للغير ، فهذا بالطبع كان المريض

يخفيها على الطبيبين ويحاول ان يتملص او يهرب من ذكرها، وبالطبع كان من شأن هذا التصرف ان يعطل عمل الطبيبين ويشلّ منهما الحركة ويفوّت عليهما العلاج الذي كان يمكن ان يتقدما به ، هذه هي الصعوبة الثانية التي اعترضت برور وفرويد في عملهما

واما الصعوبة الثالثة — ثالثة الاثافي — تلك التي قضت على برور ان يخرج من هذا الميدان خروجاً لا رجعة فيه فهي هذه — عند ما ينام المريض ويتحلل من قيود الشعور *Consciousness* يطلق لنفسه العنان فيذكر بعض الحوادث التي كانت السبب الاصيلي في ظهور العقدة او المرض ، نقول بعد ان يسرد هذه الاسباب سرداً مستطيلاً ذا كراً بعض التفاصيل التي كان يتردد من غير شك في ذكرها فيما لو كان مالكا لوعيه ، بعد ان يفعل كل هذا ويكشف عن العلة في مرضه وبعد ان يشفي او يكاد ، بعد هذا كله اكتشف برور انه في معظم الحالات تتركز عاطفة المريض في الطبيب نفسه ، ويصبح عاشقاً له معتمداً عليه ، ميالاً اليه ، او كارهاً له مغيظاً منه — وبعبارة اخرى تتوجه عواطف المريض نحو الطبيب توجهاً غزيراً فياضاً متدفقاً يكاد يغرقه ويسد عليه منافذ العمل والحركة ، فكان المريض قد شفي من مرض نفسي ليرتد في مرض آخر ، وكأنه تخلص من عقدة ليقع في غيرها ، فبعد ان كان موزع النفس ، مشتتها ، او في حرب مع نفسه او مع الجماعة ، اصبحت كل قوى نفسه متجهة الى الطبيب ، واصبح الطبيب ذاته هو المرض

هذه الظاهرة الغريبة ، هي ظاهرة نفسية بالطبع ، هي فرع من المرض النفسي يستدعي ان يستقصيه الباحث ، وينقب فيه علته يتوصل الى فهمه وادراك كنهه ، فهذه ليست ظاهرة طبيعية يصح ان توجد في الانسان السليم العادي ، وانما هي في الواقع مظهر للمرض او هي نوع آخر من المرض اذا لم يتحلل منه المريض فكانه لم يعالج ولم يشف — هذا من ناحية

واما من الناحية الاخرى فهي مربكة للطبيب محرجة له كل الاحراج ، متعبة لا يستطيع معها ان يلتفت لعمله كل الالتفات ، اذا ما هو شأن الطبيب في هذه المسألة حتى يصبح فيجد نفسه موضع حب ملتهب حار يتبعه كظله يسعى وراءه مصرّاً على تحقيق غايته ؟ امرأة متزوجة تذهب الى الطبيب لتعالج فتصبح محبة لهذا الطبيب مفتونة به ، هذا كثير على الطبيب لا يستطيع ان يحتمله ، وهذا بالفعل ما حدث لبرور فاضطرّ ان يفرّ من هذا الميدان لانه ميدان خطر حافل بالمفاجآت التي لا يستطيع ان يحسب لها حسابها ، والتي تزمع ان تتصل باعماله فتفسدها ، فليس من مصلحة الطبيب ان يكون موضع افتتان النساء اللائي يعالجنه

الى هنا وانتهت قصة برور ، فعند هذه النقطة انقطع برور عن ممارسة علاج الامراض العصبية بطريقة التحليل النفسي ، ومن هذه النقطة استأنف فرويد العمل بمفرده فاستقامت له الزمامة في

هذا الميدان وتتمازج عليه كثيرون وأسس مدرسة التحليل النفسي كما هي معروفة في وقتنا الحاضر وهي مدرسة حديثة قوية لها اتباع اقوياء نشروا مبادئها في كل صقع ، ودخلوا بها الى معظم الجامعات الكبيرة في الدنيا ، فالفرويدية مذهب في التحليل النفسي يتمسك به كثير من علماء النفس ويدرسه ويبحث فيه جميع علماء النفس منهم من يؤمن بها كل الايمان ، ومنهم من يقاومها كل المقاومة ، ومنهم ايضا من يبحث فيها بهدوء وعقل من غير ان يقيم وزناً للعاطفة او للعيول وليس هذا فقط ولكن تفرّع عن هذه المدرسة مدرستان اخريان ، اسسهما تلميذان لفرويد ، احدهما مدرسة ادل والاخرى مدرسة يونج ، ولكل منهما قصة لذيذة يصح ان نسردها عند ما يأتي اوانها ، ولكل منهما نظرية اساسية ، يصح ان نشرحها في حينها ، ولكن من المستحسن هنا ان نقول ان التحليل النفسي Psychoanalysis عند بعض علماء النفس ، معناه فقط فرويد ومدرسته وعند البعض الآخر معناه فرويد وادل ويونج ، هؤلاء الثلاثة مع ما بينهم من الفروقات الاساسية والاختلافات الجوهرية . فالسيكولوجية الاكاديمية تضع هؤلاء الثلاثة في موضع واحد وتحت باب واحد وهو التحليل النفسي ، واما الثلاثة انفسهم فلا يقبلون هذا الوضع لا بل يحاربونه ويشورون عليه ، ويريدون على الضد من ذلك ان يؤكدوا التباين في وجهات النظر بينهم ومحسن بي هنا ان انبه الى اني شخصياً اتبع السيكولوجية الاكاديمية لاسباب مهمة سأذكرها في سياق الكلام ، ومن هذه الاسباب بالطبع ميلي الى وضع هذه المدارس الثلاث بعضها مع بعض لانها جميعاً تستعمل طريقة واحدة لا تتغير وان كانت لكل منها وجهات نظر خاصة بها في تفسير الظواهر النفسية التي تعرض لها

نستطيع ان ندعو التحليل النفسي سيكولوجية التصرف او السلوك ، وان كانت تختلف كل الاختلاف عن النظرية المسلكية التي شرحناها في عدة مقالات على صفحات هذه المجلة ، ولا ندعوها بهذا الاسم اعتباطاً او تعنتاً ولكننا راه ينطبق عليها من وجوه كثيرة - ذلك لان التحليل النفسي يعنى العناية كلها بدراسة سلوك المريض وتصرفاته ، ويحاول في نفس الوقت ان يرد هذه التصرفات الى دوافعها الاصلية

ويدعونها هم سيكولوجية الشعور Feeling Psychology ، ذلك لانها - في رأيهم على اقل تقدير - تبحث في المشاعر التي كانت السبب في ظهور الامراض العصبية ، تتعقد هذه المشاعر وتختلط في بعضها ، فتعود لا تضع صاحبها في الوضع الصحيح فيما يختص بنفسه ، او تطفئ بعضها على البعض وتحكم بعضها في البعض فيفقد الانسان توازنه النفسي وتسلط عليه بعض الامراض العصبية ، لو قد تختلط نفسه وتتعدد مشاعره فلا يعود قادراً على وضع نفسه في وضعها الصحيح من هذا

النظام الاجتماعي الذي نعيش فيه فيصبح عاجزاً عن ان ينظر الى الناس كما ينبغي للانسان العادي ان ينظر ، او يضع نفسه بينهم بحيث لا يشعرون بخلاف جوهرى بينهم وبينه ، ومن غير ان يكون هنالك شذوذ ظاهر وفرق في وجهات النظر الى الاشياء محسوس يجعلهم يتجنبونه لانه مغاير لجميع الناس العاديين

او يدعونها سيكولوجية الاعماق Depth Psychology لانها في رأيهم أيضاً تغوص في اعماق النفس البشرية ، وتندس في اغوارها الداخلية فتقلبها ظهراً لبطن ، وتنتشر خباياها وتمزق الحجب التي تحجبها عن اعين الناس وعن عيني المريض نفسه ، وهي تزعم بذلك ان تصرفات الانسان المريض او العادي منبعثة عن دوافع ونوازع تخفى في جميع الحالات عن الانسان نفسه ، فقد يظن الانسان انه يعرف الدوافع لتصرفاته ، والحال انه لا يمكنه ان يعرف ذلك ، لان واعيته اذا تولت الكشف عن تلك الدوافع لا تفعل شيئاً سوى انها تبرر التصرفات بأسباب واهية مقنعة لا اصل لها ولا وجود ، وكل ما تفعله الواعية انها تتطوَّع بالتستر على اللا شعور او العقل الباطن ذلك الذي يملك دون سواه الاسباب الحقيقية للتصرفات ، ان شاء كشفها للعالم وان شاء حجبها واستخدم الواعية في انتحال الاعذار واختراع الاسباب ، من هذا اطلق اصحاب هذا المذهب النفسي هذه التسمية على مذهبهم ، وهم يحبون ان يعرفوا به

وما قصدنا ان نطيل الوقوف عند الاسماء الا لانها من ناحية تساعدنا على فهم نظرية هذه المدرسة عند ما نتناولها بالشرح والتفصيل ومن ناحية اخرى اردنا ان نمهد لشرح النزاع القائم بين هذه المدرسة من علم النفس وبين المدارس الاخرى التي لا تتفق معها في وجهات النظر

ويحسن بنا في ختام هذا المقال ان نوجه نظر القارئ الى ان مدرسة التحليل النفسي لا ترى فائدة ولا نفعاً في السيكلوجية الاكاديمية التي تدرس في معظم جامعات الدنيا ، كما انها لا ترى نفعاً في دراسة سيكلوجية الحيوانات كما تفعل الجستالت Gestalt والنظرية السلوكية ، والسيكلوجية التجريبية على العموم ، ثم هي تحتقر المعامل السيكلوجية وترى انها عبث لا طائل تحتها وهو اطفال . وانما هي تعني بأعماق النفس وخباياها كما تزعم ، وترى ان معظم السيكلوجيات الاخرى لا تستطيع ان تلتقي ضوءاً على هذه المسألة

هذه مقدمات نظرية التحليل النفسي ، اجملناها اجمالاً لضيق المجال ، وأما نظرية التحليل النفسي ذاتها ، وأما فرويد حجر الزاوية من هذه النظرية فسوف نعالجه مرة اخرى اذا سمحت الحال لنا بذلك

الحرير وتركيبه الذري

الاشعة السينية تنفذ الى أسرارها

التعليل الجزيئي لتجعيد الشعر الدائم

رسم لنا علم الفلك الحديث كما تناولته اقلام ادلغتن وجيز وغيرهما من كبار الكتاب صورة نبعث العجب والرهبة في النفوس ، قوامها كون رحيب مترامي الاطراف ، تقع فيه حوادث عظيمة من دوران المجرات وتفرقها الى انبعاث الشمس وانحلالها الى انطلاق الطاقة في أرجاء الكون وتحولها . وفي الجهة المقابلة نرى رذرفورد وانداده قد اخترقوا الذرة الى صميمها واستنبطوا النواميس التي تجري عليها اجزاؤها . والذرات كما تعلم متناهية في الصغر حتى اذا أخذت قطرة ماء وضخمتها حتى تصير بحجم الكرة الارضية ، لم يفق حجم الذرات التي تتكون منها على هذا القياس حجم كرات البلياردو . والعناية التي تثيرها فينا هذه المباحث الذرية ليس منشؤها ، صغر الوحدات التي تتناولها فحسب ، بل ثيرها فينا معرفتنا بأن كل الاشياء المادية من الماء الذي نشربه الى الكواكب المنيرة والمجرات العظيمة مؤلفة من ذرات . على ان الافتتان بدرس الطبيعة لا ينحصر ، في الاجسام المتناهية في الكبر كالشموس والسدم والمجرات ، ولا في الاجسام المتناهية في الصغر كالذرات والكهارب وما إليها ، بل هناك منطقة وحداتها اكبر من الذرات واثق صلة بحياتنا اليومية منها . الى هذه المنطقة انضى العلم الحديث ركائبه ووجه مصابحه فكشف فيها العجب العجيب

ما الفرق بين الذرات atoms والجزيئات molecules ؟ الذرات هي الوحدات او اللبنات الاساسية في بناء الاجسام المادية وثمة اثنان وتسعون نوعاً من الذرات ، او قل اثنين وتسعين عنصراً . وذرات كل عنصر متشابهة في خواصها . اما الجزيئات فطوائف مجتمعة من الذرات ، كل طائفة منها تتصرف تصرف وحدة كاملة التركيب . وقد تقطع اوصال الجزيئات ، فتفرقها الى الذرات التي زكبت منها ثم تعيد تركيبها . والواقع ان تفريق الجزيئات الى ذراتها ثم اعادة جمعها في طوائف جديدة ، هو ما يمنح الطبيعة تلك القدرة العجيبة على تغيير الاشكال . فالذرات تشبه حروف الهجاء والجزيئات تشبه الكلمات التي تؤلف منها . فأنواع الجزيئات لا تحصى مع ان انواع الذرات لا تعدو اثنين وتسعين نوعاً . كذلك كلمات اللغة لا تحصر مع انها تتألف من حروف لا تزيد على ثلاثين على الاكثر ويغلب في بناء الكلمات من الحروف اننا نستعمل بضعة حروف اكثر من غيرها . كذلك الطبيعة

تستعمل ذرات بعض العناصر اكثر مما تستعمل ذرات غيرها . ان نصف الذرات الداخلة في تركيب الارض وما عليها ذرات عنصر الاكسجين ، والرابع ذرات عنصر السلكون . فالحجار تكاد لا تحتوي الا على ذرات الاكسجين والايديروجين لان اتحادهما يولد الماء . اما الصخور فهي في الغالب مركبة من ذرات الاكسجين والسلكون لان معظمها سيلكات او اكاسيد

هذا في الجوامد . اما الاجسام الحية فمركبة في الغالب ، من ذرات الاكسجين والايديروجين والكربون والنتروجين ، يضاف اليها مقادير يسيرة جداً من ذرات بعض العناصر الاخرى . ومن عجائب التركيب في الاجسام الحية ، كثرة استعمال الكربون ، لانه قلما يدخل في تركيب الاجسام الجامدة . فالارض والهواء والماء لا تحتوي الا على قدر ضئيل من الكربون . اما اجسام الاحياء من نبات وحيوان خافلة به . وكذلك ترى ان جزيئات الاجسام الحية مؤلفة من ذرات هذه العناصر الاربعة ، يضاف اليها في احوال خاصة ، مقادير يسيرة من الحديد والكلسيوم والفسفور واليود وغيرها ، لتأدية اغراض معينة . وافعال الحياة من ناحية كيميائها حل متواصل للجزيئات او طوائف من الجزيئات ، ثم اعادة بنائها في اشكال جديدة

من اهم الجزيئات في جسم الحيوان ، جزيء البروتين . وهو جزيء معقد التركيب يختلف الاشكال . فالعضل والعصب والشعر والصوف والقرن ، جميع هذه تُسجج حيوانية مركبة من انواع متباينة من جزيئات البروتين . اما ان تكون جزيئات البروتين كثيرة الاشكال فليس بالامر الغريب لانها تدخل في تركيب نسج مختلفة كالعصب والقرن ، بل ان الفرق بين شعر سبط وشعر جعد يسند الى فرق طفيف في جزيئات البروتين التي يتركب منها كل صنف . حالة ان علماء الكيمياء يبنوننا بان جزيئات البروتين متشابهة في بعض خواصها الاساسية ، رغم ما تجده بينها من التباين حتى ليصح ان نجعل كلها في طائفة واحدة من الجزيئات ، يطلق عليها اسم واحد ، هو « جزيء البروتين »

ظل الكيماوي عاجزاً عن معرفة ترتيب الذرات في جزيء البروتين حتى جاء الطبيعي الى نجاته . عرف الكيماوي ان الكربون والنتروجين من العناصر الاساسية في هذا الجزيء . وانه يحتوي على الاكسجين والنتروجين كذلك ، وبعض العناصر الاخرى احياناً . واثبت انه جزيء معقد التركيب يحتوي على عشرات من الذرات . غير ان الكشف عن ترتيب هذه الذرات في بناء الجزيء كان متعذراً عليه او كان صعباً على الاقل . ويجب ان نذكر ان الكيماوي كان يحاول معرفة تركيب الجزيء ، بحله الى اجزائه او باضافة اجزاء جديدة اليه وهو لا يستطيع ان يرى الجزيء لصغره ، فيضع الجزيئات جنباً الى جنب ، او يحلها في الماء او اي سائل آخر ثم يراقب تجمعها ، فيحكم بذلك على التحول في خواصها . وكذلك توصل الى وصفها ، بل بلغ في وصف بعضها مبلغاً من الدقة حتى كأنه يراها . وقد كان من الطبيعي ان ينال جزيء البروتين جانباً عظيماً من عناية الباحثين لما له من الشأن الكبير في بناء

الاجسام الحية، والافعال الفسيولوجية، كهضم الطعام وتمثيله، ونمو الاجسام وفعلها في الصحة والمرض على ان العلم لا يقرُّ بالعجز، بالغة ما بلغت العقبات التي تقوم في وجهه، وقد استنبطت في العهد الاخير، وسيلة جديدة فعالة للبحث في بناء جزيء البروتين وما اليه. قلنا ان الكيماوي لا يستطيع رؤية الجزيء. وسبب ذلك ان الميكروسكوب لا يستطيع ان يجلو الجزيء للعين البشرية، لان امواج النور التي نرى بها الاجسام، بانعكاسها عنها، اكبر من الجزيء، فهي لذلك لا تنبئها. ولكن الاشعة السينية اقصر امواجاً من اشعة الضوء التي نبصر بها. فقد نستطيع ان نرى بها ما لا نراه بامواج الضوء اذا كانت عيوننا تستطيع ان تتأثر بها. ولكننا لا نستطيع ان نرى الجزيء حتى ولو وجهنا اليه الاشعة السينية، لان عيوننا لا تتأثر بها. بيد ان الاشعة السينية تؤثر في الالواح الفوتوغرافية

وليس بالامر اليسير وصف الطريقة التي تجلو بها الاشعة السينية، شكل الجزيء، في مثل هذا المقال الموجز. وانما نكتفي بالإشارة اليها. فنحن زبد مثلاً ان نتناول درس جزيء البروتين، وهو عنصر اساسي في بناء الحرير الطبيعي—وعلى ذكر الحرير الطبيعي يجب ان ننبه القارئ الى ان الحرير الصناعي، ليست مادة بروتينية، بل هو مصنوع من السلولوس (المادة الخشبية) ويجب ان يوضع في صف المواد القطنية—فناخذ قدراً معيناً من الحرير، ونوجه اليه شعاعاً من الاشعة السينية ونضع وراء الحرير، لوحاً فوتوغرافياً يتلقى الاشعة السينية بعد اختراقها للحرير. فاذا حمضنا اللوح الفوتوغرافي وثبتناه، وجدنا عليه رسوماً من شكل معين، كل رسم منها مؤلف من نقط. فعلياً حينئذ ان نقراً هذه الرسوم، كما يقرأ العالم بالاثار المصرية، حجراً نقش عليه كتابة هيروغليفية. وليس هذا بالامر السهل، وانما المراتة تأتي بالعجائب

لسنا هنا في مجال التفصيل وانما يجب ان نشير الى ناحيتين خطيرتين من نواحي العمل. (اولاً) ذلك اننا ما كنا لنجد رسوماً معينة على اللوحة الفوتوغرافية، لولا ميل الطبيعة الى تنظيم الجزيئات في اشكال هندسية نظيمة. حتى الاشعة السينية نفسها لا تستطيع ان «ترينا» جزيئاً واحداً. ولكنها تستطيع ان تجلو مجموعة نظيمة من الجزيئات. ومن حسنات الطبيعة انها تميل الى النظام التام. وقد يكون من آثار ميلها هذا نشوء تلك الكتل النظمية التي تعرف بالبلورات وأشهرها بلورات الحجارة الكريمة. غير انها في ميلها هذا لا تبلغ دائماً مرتبة البلورات الكبيرة التي يمكن رؤيتها بالوسائل البصرية المختلفة. وهي كذلك في الحرير. فبلورات الحرير اصغر من ان ترى بالعين ولو اسعفت بالمكروسكوب، ولكن الاشعة السينية تبصرها وترسمها على اللوح الفوتوغرافي

(ثانياً) ان الرسم الذي طبع على اللوح الفوتوغرافي مؤلف من نقط او بقع، فقوة كل نقطة حيال النقط الاخرى، بصرف النظر عن موقعها، يمكن العالم من فهم طريقة ترتيب الذرات داخل الجزيئات والوصول الى هذه المعرفة أعسر من الوصول الى فهم ترتيب الجزيئات في بناء البلورة

الاستعمار والحضارة

بقلم الكاتب الانكليزي ليونارد ولف

تلخيص وتعليق : لمعاوية نور

ينتمي ليونارد ولف الى رهط كرم من كبار مفكري الانكليز الاحرار في العصر الحاضر ، ذلك رهط الذي ينتظم فيه ولز وشو وبرتران رسل وهارولد لاسلكي وسدني ويب وانداهم من « الانتلجنسيا » ذات التفكير الحر . وانه لمن الدلائل الطيبة التي تذكر لهذا العصر ان بعض علمائه وفلاسفته ورجال الفنون فيه قد اهتموا بمسائله الاجتماعية وجعلوا لها نصيباً كبيراً من تفكيرهم وعنايتهم . فترى ولز القصصي الاديب في عهده الاخير لا يكتب حرفاً واحداً الا وهدفه الاصلاح الاجتماعي ، وترى برتران رسل يهجمه امر الثورة في الصين ويكتب في الشؤون الهندية مثل اهتمامه بالفلسفة الرياضية وسميات التفكير المجرد ، وننظر الى صديقنا العالم البيولوجي الفذ جوليان هكسلي يشتغل بالشؤون الافريقية ويمجد لها مكاناً رحيباً الى جانب الحديث عن التطور وخصائص الاحياء والوراثة وما اليها من الشؤون العلمية . فهذا عصر علماء اداء ، وأدباؤه علماء وفلاسفته يشتغلون بالصحافة ، وصحافته لا يفوتها الاشتغال بالعلم والرياضة ودراسة الفلك . ولعل هذه النزعة الانسانية الجديدة « New Humanism » هي من ارق ما تمخضت عنه الحضارة الغربية في طورها الاخير . هذه النزعة التي ترى العلم والفلسفة والسياسة والادب والصحافة وحدة انسانية من اسمى اغراضها خدمة النوع الانساني « Homo sapiens » والعناية بروح الانسان وجسمه . واذا كان للانسانية أن تلعو وللحالة الراهنة ان تبقى فهي بلا شك مدينة لهذا الروح الجليل ، الذي يذكى في اميركا « بابت » و« ممفورد » وفي انكلترا « هكسلي » و« ولز » وفي فرنسا « رومان رولان » وفي الشرق امثال « طاغور » . فهؤلاء الكتاب يعنيتهم شأن الانسان اكثر مما تعينهم شؤون اوطانهم الضيقة ، ويعنيتهم مستقبل الحضارات الانسانية اكثر مما تعينهم سيادة اوربا او اميركا ، وبهمهم ان تكون علاقات الشعوب بعضها مع بعض طيبة الاواصر ، خيرة الانتاج في احترام متبادل وعطف سام . فهم يخافون ويتوجسون شراً من بواعث المنافسة الرخيصة ، والعداء الجنسي والبغض ، وعوامل الظلم والجشع ، والاستغلال المادي القصير النظر ، وطغيان السياسات العمياء التي دفعت بالعالم

الى الحرب الكبرى وهي على وشك أن ترديه في حرب مثلها أو أهول وأخطر نتائج . فهو لاء الكتاب يكتبون الكتب، ويلقون المحاضرات، وينشرون المقالات في الصحف في هذا المعنى . وليس الآن مجال الحديث عن النزعة الانسانية الجديدة بالشرح والافاضة ، وانما نحن هنا بسبيل الحديث عن كتاب واحد كتبه مؤلفه حديثاً عن الاستعمار والحضارة ، عرض فيه لمشكلة الاستعمار الاوربي الحديث في قارتي افريقيا و آسيا ، وعلاقة ذلك الاستعمار بالحضارة الاوربية الراهنة وعلاقة تلك الحضارة في زيتها الصناعي المادي بسكان افريقيا و آسيا ، وتناول أسباب ذلك الاستعمار الحديث ومصاحباته ، وأخيراً بحث في ما نتج عنه وما أتى به من مساوئ ومشكلات، وما سوف يخلفه من متاعب وصعاب وما سيقود اليه العالم من خراب محقق ان هو استمر على خططه وأساليبه المعهودة . وقد اخترت هذا الكتاب بعينه للتحدث عنه لقراء العربية لعلاقته الوثيقة بأهم ما يشغل بالهم من المشكلات والحركات القومية ولكي يروا كيف يعالِم هذه المسائل ذهن عالم صافي التفكير ، ناصع الاسلوب مستقل الرأي غير متحيز لأمة أو ثقافة أو حضارة ، وانما همه الاكبر جلاء الحقيقة وعادة الحق كما يبدو له

يقول الكاتب ان الحضارة الاوربية الحديثة هي شيء مختلف كل الاختلاف عن كل الحضارات التي سبقت القرن التاسع عشر ، بعد أن تحطمت الحضارات التي كانت ترتكز اشد ما ترتكز على الملكية والارستقراطية من جراء الغباء الذي صحبها ومن جراء الثورة الفرنسية ثم الثورة الصناعية التي قامت عليها الحضارة الراهنة حضارة الديمقراطية الحديثة والنظم البرلمانية ، والمعمل والآلة والقاطرة والطيارة والنور الكهربائي . فتضخمت الصناعة في اوربا ، واشتد التنافس بين دولها لما ضاقت بهم سبل التوزيع والنجاح المادي . فاضطرت تلك الحضارة ان تبحث عن اسواق جديدة لصناعاتها وجلب المواد اللازمة للانتاج والعمل . ومن هنا شعرت اوربا بحاجتها الى سائر العالم اذا كان لها أن تنجح في نظمها الجديدة ، فتنافست الدول الاوربية في الاستئثار بالاقطار الاسيوية والافريقية لتجعلها ملاحق لتجارها وصناعاتها . وساعدها على ذلك سرعة المواصلات التي سهلت امر اختراق البلدان النائية وربط العالم كله ببعضه ببعض . وهذا من اهم الاسباب التي اسبغت على الحضارة الراهنة اهم خصائصها . فقد كانت صعوبة المواصلات في الماضي تحول دون اي حضارة مهما كانت قوية متمتزة ان تحتاج بقية الحضارات او تجبرها على الاخذ بها فكانت العزلة تامة بين اسيا و افريقيا من حيث اساليب العيش وسبل الحياة والتطور الذي وقع في اوربا بين عامي ١٧٥٠ و ١٨٥٠ وهذا تطور عظيم هائل لم تشهد مثله البشرية في كل تاريخها المعروف . ولعله اعظم قفزة قفزها الانسان

ولما كانت الحضارة الراهنة حضارة صناعية في صميمها ، كذلك كان الاستعمار الحديث اقتصادياً صناعياً في دوافعه وموجباته ، ولم تستطع اسيا او افريقيا ردأله لانه اتاها فجأة بقوة ووسائل ليست في طاقتها ولا هي تدخل في دائرة معرفتهما واختيارها . فهي في الواقع حضارة استعمارية غازية

بمعداتها الحربية الجديدة وطرق مواصلاتها السريعة . وقد كانت الوسائل الاولى في ذلك الاستعمار عن طريق التجار واصحاب رؤوس المال والشركات المختلفة يعزز من مركز مقامها دول حربية قوية ، ويقول المؤلف ان حادث الاستعمار هذا لعله اعظم حادث عرف في التاريخ من حيث السرعة والشمول . ففي خلال مائة عام اي من ١٨١٤ - ١٩١٤ استطاعت اوربا ان تخضع القارة الاسيوية والافريقية وجنوب امريكا لسلطانها الذي لا يتنازع

وقد كان الاعتقاد السائد في اوربا ان هذا الاستعمار هو الشيء الطبيعي وانه في صالح الشعوب الاجنبية اكثر منه في صالح اوربا الى ان وقفت الحبشة امام الطليان في عام ١٨٩٦ فدافعت عن ارضها دفاع الابطال وهزمت الطليان شر هزيمة ثم تلا ذلك حادث تغلب اليابان على روسيا عام ١٩٠٥ ومن هنا ابتدأ التشكك في قيمة الحضارة الاوربية عند بعض الاوربيين . فان انتصار اليابان على روسيا يعد نقطة تطور كبير في تاريخ الاستعمار الحديث ، اذ فهمت اوربا لأول مرة ان فتحها وغزوها لعالم باجمعه قد تلاه رد فعل قوي من العالم باجمعه ، ثم جاء نجاح اليابان وارتفاعها الى مستوى الدول الاوربية الكبرى حافزاً لأهلب حماسة العالم الاسيوي والافريقي ودفع به الى التنقص من امر هذه الحضارة الجاحدة حقوقه التي فرضت عليه فرضاً واستعرت عوامل البغض والكراهية ضد الحضارة الاوربية وسبلها المختلفة . ويمكن ان يقال انه الى مستهل القرن العشرين لم تقم حركة قوية تناهض الاستعمار الاوربي . غير اننا نرى الآن ان معظم البلدان الاسيوية قد تحررت او كادت تتحرر من السلطان الاجنبي ، فتركيا والصين والعجم هي الآن في ثورة ناجحة ضد الاستغلال الاجنبي ، وفي الهند اضطراب قوي رغم كل الاصلاحات الدستورية والحركة الهندية الآن لا ترضى بأقل من الاستقلال التام

وقد رفض الوفد في مصر بأباء منحة استقلال زائف وما زال يطالب باستقلال البلاد استقلالاً تاماً ، وفي فلسطين حركة عربية واسعة النطاق . وفرنسا تجدد المصاعب الدائمة في تونس ، وسوريا تنهب حماسة وثورة ضدها . وقصة عبد الكريم وقيامه ضد فرنسا واسبانيا في الريف ما زالت ماثلة للذهن . وفي افريقيا نشأ شعور قوي ضد الاستقلال الاجنبي والسلطات الاوربية . والمؤلف يعتقد ان سبب كل ذلك هو تصادم الثقافات ، وعنده ان مشكلة الاستعمار الحديث انما هي مشكلة نزاع عنيف بين حضارة صناعية آكية لا بد لها من الاستعمار في نجاحها وبين حضارات لا تريد القضاء فيها والشيء الجديد في هذا النزاع ان العالم لم يشهد نزاعاً في الحضارة بلغ من الشدة والطغيان مثل ما هو عليه الآن . وذلك لان من خصائص الحضارة الاوربية الراهنة انها تطغى على كل النظم والمؤسسات الاجتماعية في الحضارات الاخرى ولا تعرف التساهل او الهوادة في فرض امرها واتباع سبلها . وهي تقوم على القوة الحربية في اساليبها والتنافس الاقتصادي العنيف في نسيجها

ويعتقد ليونارد ولف ان الذين يقولون بأن النزاع الحالي بين اوربا وبقية العالم انما هو نزاع جنسي او ديني او وطني انما هم على خطأ واضح ، ذلك لان العوامل الجنسية والدينية والوطنية غالباً ما تظهر على انها عوامل هامة في هذا النزاع لظهورها ، والحقيقة ان ليس الجنس ولا الدين او الوطنية العامل الاول ولا العامل المهم في هذه الظاهرة . انما يقول طغيان الحضارة الاوربية واساليبها في الاستعمار والاستقلال هو الذي اذكى نار الثورة في الصين والقوقل في الهند ومصر والتجديد في الدولة التركية وبغض العالم الاسلامي لدول اوربا جميعاً . والذين يخيل اليهم انهم يستطيعون تفسير تاريخ الشعوب والحروب والحركات الانقلابية وتفوق بعض الشعوب على البعض الآخر بلون الجلد والبشرة يستحقون الاستخفاف والريبة ، فاليابان بعد ان اصبحت دولة مستقلة لا تراها تستقر بمثل هذا العداء للرجل الابيض الذي يشعر بمثله الرجل الصيني . اليابانيون يكرهون الامريكيين لان بينهم خصومة استعمارية دائرة على توازن القوى الحربية في المحيط الباسفيكي . والنزاع الجنسي ما هو الا ظاهرة سطحية يوجدها الشعور بالغنى والسيطرة الاقتصادية وليست هي في نفسها بذات قيمة . وكل من يدقق النظر في الحوادث التي تقع الآن في الشرق الاقصى يرى ان السبب الجوهرى فيها نزاع بين الحضارات

فالحضارة الاوربية الراهنة في مظهرها الاستعماري الحربي الاقتصادي قد هددت حياة تلك الشعوب ورخاءها وسبل عيشها وعلاقاتها الاجتماعية بالزوال . وليس عجباً ان تدافع تلك الحضارات الهادئة التي لا تعتبر المادة ولا ترى رأينا في المنافسة الصناعية وقوة المال ضد المعتدين عليها . ومهما اتخذت تلك الثورة من ألوان الوطنية او زى الجنس والدين فان مصدرها بلا جدال هو اختلاف يسير في اسلوب الحياة ارادت الحضارة الراهنة القضاء عليه

يجب ان لا يعزب عن البال ان كيان الحضارة الاوربية الراهنة يقوم على التنافس الاقتصادي الصناعي ، والتنافس الاقتصادي لا يعرف سوى مبدأ الربح المادي للفرد سواء في اوربا او في آسيا وافريقيا . غير ان مثل ذلك الاستغلال غير ممكن في اوربا لقرب مستوى شعوبها في الوسائل والطرق بعضها من بعض . وأوروبا لا تحس بوطأة مساوىء حضارتها لانها متجاسنة قريبة بعضها من بعض . ولكن آسيا او افريقيا تحسنان بها احساساً يهدد حياتهما ويكاد يفنيهما . والحضارة الراهنة التي انجبت الاستعمار في آسيا وافريقيا وخلقت مصاحباته ومشكلاته هي بعينها التي خلقت مشكلات الحروب البشرية والاقتصادية بين الدول الاوربية نفسها

فساوىء الحضارة الاوربية قد ابتدأت اوربا نفسها تحسها في هذا مع ان سكان اوربالم يشهدوا جوانبها المبتذلة مثل ما شهد سكان آسيا وافريقيا . وهذا الفرق في الحضارة الصناعية الآلية قد يقود في اوربا الى نزاع عنيف بين انجلترا وفرنسا مثلاً اذا كانت الاولى قوية جداً في وسائل

الصناعة ومعدات الحرب وكانت الاخرى لا حول لها ولا سلطان من كل ذلك . فالمشكلة اذا ليست مشكلة جذسية ولا دينية ولا قومية . وانما هي مشكلة من صميم الحضارة الراهنة وسبلها ووسائلها . وفكرة الوطنية نفسها هي من نتاج الحضارة الاوربية الحديثة فهي غير معروفة في آسيا وافريقيا بمعناها الحديث . فاذا كانت الشعوب الاسيوية والافريقية تستعملها فانما كان ذلك كذلك لانها تستعمل وسائل هذه الحضارة وسبلها للتحرر منها . كما وقع في اليابان وتركيا مثلاً

وقد عقد الكاتب فصلاً عن تصادم الثقافات فيما قبل القرن التاسع عشر وتكلم عن الحضارة الرومانية والاستعمار الروماني فابان الفرق الشاسع بين الاستعمار الروماني والاستعمار الحديث . ففي ذلك الاستعمار لم ترغم روما بقية العالم على أخذ حضارتها والعمل بمقتضاها، وانما كانت تترك لهم كامل الحرية في معظم طرق معيشتهم وحياتهم ذلك لان حاجة الرومان الى الفتح لم تكن اقتصادية صناعية وانما كان دافعها الاول هو حب الفتح ومطامع الملوك في السلطان والتوسع الحربي وليس معنى ذلك ان الحضارة الرومانية لم تبرز بالحضارات الاخرى او تؤثر فيها ، وانما كان يأتي ذلك تدريجياً وفي رفق وهوادة ، حتى ان الرومان أخذوا من الحضارة الاغريقية الشيء الكثير ، مع انهم كانوا الغزاة الفاتحين

والحضارة الاغريقية ايضاً مثل آخر نسوقه ، فقد بلغت تلك الحضارة في اوج مجدها مستوى رفيعاً في الاجتماع والنظم السياسية والاقتصادية والفنون ، وفتحت معظم شعوب العالم ، فكان لها فارس في الشرق ، ومصر في الجنوب والشعوب اللاتينية وفيذيقيا في الغرب ، واتصلت بحضارات تلك البلدان وأثرت فيها غير أنه لم يقم نزاع عنيف بينها وبينهم ، ولم تتلاش أية حضارة في تلك الحضارات من جراء ذلك الاختلاط ، ذلك لان الاغريق لم يحاولوا توحيد امبراطوريتهم الواسعة المختلفة الاشكال والثقافات ، في شؤون السياسة الاقتصادية أو النظم الاجتماعية الاخرى . فقد كانت الحضارة الاغريقية متساهلة كثيرة التساهل مع الشعوب الاجنبية التي دانت لها . وكذلك كان استعمار عصر الإحياء والنهضة « الرينسانس » كل غايته التبادل التجاري في المحصولات وفتح الاسواق الاحنبية ، وأخذ المواد الخام ، وقد كانت تلك العلاقة الاقتصادية سلمية لم يعقبها أي فتح حربي ، فلم يقع نزاع بين الحضارات ، لان اوروبا لم تكن في معداتها الحربية بأعظم شأنًا من الهند أو الصين كثيراً

اما قصة الاستعمار الحديث في اسيا فهي معروفة مشهورة ، ابتدأت في اول الامر بالمعاهدات التجارية بين الدول الاوربية والامراء الآسيويين كما حصل في الهند ويتضح تصادم الثقافات جلياً ناصعاً في الحركة الهندية الاخيرة التي ابتدأت تشتد بعد اوائل

القرن العشرين ، فهي في الواقع ثورة واسعة ضد الحضارة الاوربية ونظمها الاستعمارية فغاندي ينفخ في امته تعاليمه الهندية لاكتشاف الروح الهندي الصميم والرجوع الى الحضارة الهندية واصلاحها والسمو بها الى اوج الحضارات الرفيعة . وقد استعمل الشباب الهندي المتعلم في نزاعه هذا كل أساليب الحضارة الاوربية في محاربتها والتخلص منها . ومن الغريب حقاً ان تحمل الحضارة الاوربية نفسها بذور حتفها وهلاكها

وقد ابتدأت الحركة التركية بالدعوة الدينية ، الاسلامية ، ثم قامت بحركة التجديد الغربية لكي تتحرر من العبء الاقتصادي والسياسي الذي لحقها من الحضارة الغربية . يقول المؤلف «ومن نتائج هذا النزاع ان اسيا اصبحت الآن تعبد فكرة الوطنية السياسية ، وهي فكرة غربية بلا جدال وقد دفعت هذه الفكرة باوروبا الى الحرب الماضية ، فاذالم تعمل اوروبا كل ما في وسعها لمساعدة هذه الشعوب الاسيوية للتخلص من طور الاستعمار الى الاستقلال التام من غير عنف ولا نزاع فان العالم سيدشهد موجة وطنية كبرى تتلوها كارثة عظمى ، تصبح بجانبها كارثة الحرب الكبرى شيئاً تافهاً قليل الاثر »

اما استعمار افريقيا فقد ابتداءً عام ١٨٨٠ وكانت الدوافع اقتصادية من غير شك ، وكان الرحالة الاوربي او الوكيل التجاري لشركة من الشركات يذهب الى اواسط افريقيا ومعه الوان من الهدايا والمنح يقدمها الامير الافريقي ثم يطلب منه امضاء معاهدة لا يفهم لغتها ، مع الشركات التجارية ، ويفهم ان هذه المعاهدة ستدر على شخصه وبلاده الرخاء والثروة ، وقد تم استعمار معظم بلدان افريقيا الوسطى على هذه الطريقة الخادعة ، فستاني حينما قام بالنيابة عن ملك البلجيكي بامضاء مثل تلك المعاهدة فاصبحت الكونجو مستعمرة بلجيكية وبهذه الطريقة استولت انكلترا وفرنسا على مستعمراتها في اواسط افريقيا وحينما نشب النزاع بين الدول الاوربية على تحديد اراضي مستعمراتها اتفقوا فيما بينهم على ان كل من امضى معاهدة مع امير من امراء افريقيا على جزء من الشاطئ الافريقي ، فمن حقه الارض الموازية لذلك الشاطئ في داخل القارة الافريقية ، وهنا يقول المؤلف :

« ان الطريقة التي اتبعت في الاستيلاء على تلك الاراضي الافريقية كانت في معظم الحالات وحشية موهلة في الوحشية ، وان تلك الطرق المبتذلة ، قد تركت من غير شك أثرها السيئ في العلاقة الراحنة بين سكان افريقيا وأوروبا ، فان تلك السبل الدنيئة ان دلت على شيء ، فهي تدل على ان الحضارة الاوربية تعامل الرجل الافريقي مثل معاملتها لاي حيوان ابكم ، ذلك لان الرجل الاوربي يعتقد انه له الحق في الاستيلاء على ارض الافريقي بالقوة او بالخداع »

معجزات السفانة

او صناعة السفن

الباخرة نورمندي ومعدات الكهربية العجيبة

ينتظر ان تقلع الباخرة نورمندي الفرنسية البالغ تفرغها ٧٥٠٠٠ طن في الربيع القادم ، راحلة رحلتها الاولى من برّ فرنسا الى برّ امريكا ، مستخدمة القوة الكهربية لتحريك رقباساتها الضخمة ذات القوة التي تعادل مجموع القوى البخارية التي تستخدمها البواخر الكبرى الثلاث وهي: لقيانان، وماجستيك ، وايل ده فرانس. ومتى ازمنت نورمندي الاقلاع ، قامت آلاتها الكهربية بجرحها لها ، ورفع مراسيها من ثغر الهاجر الذي ينتظر ان تبصر منه . ثم توجيه سكانها الى الجهة المقصودة ، مقلة ٣٥٠٠ راكب وملاح . يخدمهم الف خادم كهربائي تسهر على جميع وسائل راحتهم وطمانينتهم وستستوفي نورمندي المعدات الكهربية ، مما لا نظير له في اية باخرة حتى اليوم فتسير بالقوة الكهربية الضخمة ، معتزة بها على زميلاتها المسيرات مباشرة بقوة البخار ، قاطعة المحيط الاطلسي ، في اقل زمن فتفوز بالسبق وقد كان معقوداً لواؤه حتى سنة ١٩٠٧ لزمرة من المراكب التي تدير بالقاطرات ذوات الكبساس الطرددي العكسي Reciprocating engine الحركة

ثم طفق السفّانون — صانعو السفن — يزيدون قوة القاطرات شيئاً فشيئاً كلما مسّت حاجة الناس الى صنع بواخر اكبر واسرع من النوع الميسّر بذلك الضرب من القاطرات . فابدلوا القاطرة « البسيطة » ذات الاسطوانة الواحدة التي لا تزيد قوتها على بضعة مئات من الاحصنة البخارية ، بقاطرات مركّبة من ذوات الاسطوانتين والثلاث الاسطوانات حتى بلغوا ذروة السرعة البخارية اذ صنعوا قاطرات قوتها ٤٠٠٠٠ حصان بخاري. وكان ذلك لتسيير الباخرة المسماة — ويلهم الثاني ودأب مهندسو البواخر في تحسينها ، وزيادة قوتها وسرعتها ، فاستخدموا لنيل غايتهم التربينات البخارية

﴿ عصر التربينات البخارية ﴾ فبدأوا بالتربينات التي تبلغ قوتها ٧٠٠٠٠ حصان بخاري لتسيير الباخرة المسماة « موريتانيا » المشهورة وجعلوا تلك التربينات متصلة باعمدة الرفاسات اتصالاً مباشراً فتمكنت الموريتانيا من قطع المحيط الاطلسي بين اوربا وامريكا بسرعة تفوق ٢٧ ميلاً بحرياً في

الساعة . فاسفر ذلك الاختراع عن احداث انقلاب في السفانة — صناعة السفن — كان حافزاً للسفانين من ذلك الحين على اتخاذ التربينات البخارية اساساً لصنع البواخر الكبرى
 ﴿بريمن واوربا﴾ تُسير كل من تينك الباخرتين المشهورتين بتربينات قوتها ١١٠٠٠٠ حصان وقد امتلكتنا ناصية السرعة في المحيط الاطلنطي حتى فافتحها الباخرة ريكس التي تسير بتربينات بخارية قوتها ١٢٠٠٠٠ حصان بخاري

وتربينات تلك البواخر الثلاث العظمى متصلة برافساتها بتروس تتحكم فيها Reduction gears وتمثل هاتيك التربينات ارقى واعظم الآلات المسيّرة للبواخر التي اخترعت حتى اليوم
 ﴿نورمندي﴾ بلغت نفقات صنع نورمندي ٣٠ مليوناً من الريالات — وستكون وسائل الراحة فيها ، والحذق في قيادتها ، وتفوق سرعتها ، وسهولة تسييرها ، منقطعة النظير في البواخر قاطبة — وستصير باخرة فريدة في مياه شمال المحيط الاطلنطي تبرز كل ما سبقها . وتمتاز نورمندي بتربيناتها الاربع الضخمة التي تدير مولدات كهربائية بدلاً من ادارتها الرافسات مباشرة او بواسطة التروس . ومتى دارت تلك المولدات ولدت كهربائية وهذه تدير اربعة محركات ضخمة متصلة باعمدة الرافسات . وتتراوح قوة نورمندي بين ١٦٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ حصان بخاري ، تنطق من عقالها متى ضغط المهندسون البحريون الازرار الكهربائية المهيمنة عليها — وبهذه الوسيلة تستطيع نورمندي زعيمة السرعة في البحار قطع المسافة من ثغر الهافر الى ثغر نيويورك في زمن اقل مما تستغرقه اسرع البواخر التي تمخر عباب المحيط حتى الآن

ولا غرو فقد قضى مهندسو شركة ألتوم Alsthom الكهربائية بمدينة بلفور بفرنسا وشركة الكهرباء العامة في امريكا عدة سنين في وضع الرسوم الخاصة بنورمندي وفي صنعها فأضحت سيدة البواخر العصرية بلا جدال . وتستخدم فيها انخر وانفس الاجهزة الكهربائية التي اخترعت حتى اليوم لاستخدامها في البر والبحر

وتؤلف القوة المحركة لنورمندي من اربعة محركات صنعت لها خاصة — وقوة كل منها تفوق ضعفي قوة اي محرك صنع لاية آلة برية — وتزيد على سبعة اضعاف قوة اعظم قاطرة بخارية تم تركيبها في اي زمن من الازمان . ولما كان تزويد تلك المحركات بالضخمة بالتيار الكهربائي يقتضي عملاً هندسياً اعجب مما تقدم وصفه ، لان ادارة المحركات باقصى سرعتها ، يتطلب مولداً يولد قوة كهربائية عظيمة جداً ، انشئت لتلك الغاية اربعة مولدات كهربائية ذات تربينات ، بلغت قوة كل منها ٢٧٥ كيلو واط لسد حاجات تلك المحركات

وتقوم الكهرباء في نورمندي بالاضاءة والتدفئة والتبريد وتجديد الهواء والطهي وادارة المصعدات والآلات الرافعة للبضائع والمراسي وبتقديم التيار اللازم لمئات من شتى الاجهزة الكهربائية التي تمهد سبل الطمانينة وتوفر وسائل الراحة في سيدة باواخر العالم العتيدة

فلا فندق من الفنادق العصرية ، ولا شركة من الشركات تستطيع مفاخرة سيدة البواخر فيما حوته من المعدات الكهربائية الشاملة — التي تقوم بأدائها ستة مولدات كهربائية اضافية ذات تربينات عندما اشرفنا اليها قبلاً — تولد قوة ١٨٠٠٠ حصان بخاري

ومتى تأهبت الباخرة نورمندي لرحلتها الاولى ، غدت أعجوبة البواخر الكهربائية ، بل نموذجاً كاملاً لجميع ما اخترع حتى اليوم من وسائل الانتفاع بالكهربائية في الخدمة البشرية

﴿ الباخرة ملكة برمودة ﴾ ويجدر بنا وقد وصفنا نورمندي ان نذكر بعض عجائب أختها التي سبقتها الى السيادة ونعني بها (ملكة برمودة)

وملكة برمودة احدث باخرة تجارية تم صنعها في السنين الاخيرة . وهي تسير بالقوة الكهربائية ايضاً وتحتوي على أنحر معدات الراحة واعظم المخترعات الكهربائية التي ابتدعها العلم حتى اليوم ومع ذلك فان نورمندي ستسبق ملكة برمودة بمراحل

قال الكاتب الاميركي منشئ هذا المقال : — قصدت مشاهدة الباخرة (ملكة برمودة) فأثرت ان استرشد عند زيارتها بمعلومات المهندسين والكهربائيين العلميين بصناعة البواخر الحديثة ، فانصحبت فئة منهم . وما وصلنا الى ملكة برمودة عند مرساها ، حتى قادني مرشدي الى مكان يسير لي فيه رؤية رفاستها متحركة ، وبيوت ابرها الجيروسكوبية مدوّمة ، وابوابها المسبكة (١) تفلق باشارات لاسلكية تسيطر عليها من بعيد . حيث رأيت اوساقها ترفع والاطعمة تطبخ في الفرن ضخمة ، وسكانها العظيم يدعون لنبضات كهربائية تصدر اليه من مرقب أو مراقبة (٢) السفينة وملكة برمودة خالية من مجموعات انايب البخار التي يضل المرء طريقه اذا شاء تقصيرها وهي التي لا تخلو منها باخرة عصرية اذ حلت محلها اجهزة دقيقة للانارة والحرارة وغيرها من الاعمال التي تقتضيها سلامة الباخرة . وكلها تدار بالقوة الكهربائية الموصلة اليها باسلاك نحاسية

واتفق ان كانت زيارتي اياها في صباح اقلعها من الفرضة الواقعة فيها اذ كانت ضباط ظهرها والمهندسون المشرفون على تسيير آلاتها على وشك ادارة محركاتها استعداداً للرحلة المقصودة يومئذ فرأيتهم يجربون الآلات المسيرة لتلك الباخرة ليستوثقوا من تمام صلاحها لعملها قبيل المسير . ثم زلت الى قاعة القاطرة وهي في جوف الباخرة حيث شاهدت لوحة كبرى نظيفة جداً مرصعة بالمفاتيح الكهربائية . وكان اذ ذاك كبير مهندسي الكهربائية ومساعد كبير المهندسين البحريين وفوج من مساعديهم مرتدين ميدطاهم (٣) واقفين كلهم استعداداً لتلقي اوامر المسير

(١) المسبك — يقال سقاء مسبك ومسبك بتشديد السين اي يمسك الماء ولا ينضج (٢) اخطأ بعض مراسلي الصحف اليومية بقولهم كبرى السفينة وهي ترجمة حرفية للفظ bridge الانكليزي لا معنى لها في هذا المقام (٣) المبدع او المبدعة او المبداعة . ما يضاف به الثوب وغيره — (المنجد) — والمبدع — ثوب يجعل وقاية لبده (فقه اللغة) . وهو عندي افضل ترجمة للفظ overalls الانكليزي

وما عتَمنا ان جاءتنا برقية من مرقبة البخارة احدثت لغطاً فاق حسيس التربينات الساكنة،
خواها (وجوب اتجاه رفاص البخارة الايسر الى الامام متتداً) فنقذ احد المساعدين الفنين ذلك
الامر. وكان احد العمال الكهربائيين يدير احدى العجلتين (الضخمتين المطليتين بالنيكل) رويداً
رويداً، وهما المسيطرتان (بواسطة جهاز مجدّد للتيار الكهربائي) على حركة التربينات بأجمعها وعلى
الحركات التي تسيرها ايضاً وبعد هنيهة عجلت ادارة التربينات فأدير المحرك الايسر ببطء ثم ارسلت
برقية الى مرقبة البخارة بأن عملية اعداد البخارة للابحار قد تمت. فوردت الارشادات التلفرافية
تتري على كل رفاص من رفاصات البخارة الاربعة فنفذت حاجلاً بسكينته

وحينئذ رأيت الرفاصات قد انعكست حركاتها بادارة عجلة صغيرة دورة ضئيلة. ولا عجب فان
ادارة الآلات كلها في تلك البخارة الكهربائية هينة لينة بحيث ان قوتها البالغة ١٩٠٠٠ حصان بحاري
يتاح لعامل واحد في ان يهيمن عليها برمتها اذا طرأ طارئ

وتقوم القوة الكهربائية في تلك البخارة المدهشة بكل لوازمها، فتتري في غرفة القاطرة الا لان
الآتي بيانها تدار بالكهرباء وهي: — مضخات الزيت — مضخات الصابورة — مضخات المياه —
وكلها مستعدة للعمل في اية لحظة — وتقوم الكهرباء ايضاً بفتح واغلاق الابواب المسبكة التي في
الحواجز الفاصلة لكل قسم عن الآخر من اقسام البخارة

وفي كل غرفة من غرف البخارة مراوح كهربائية ضخمة تجعل جوّها مريحاً على الدوام. ويدير
سكان البخارة بمهارة جهاز «تولد فيه الكهرباء بقوة الماء» وفي جوف البخارة ايضاً جهاز كهربائي
لتدوير جميع الفضلات والمواد البرازية وقذفها في قعر الم، محافظة على صحة ركبها

ويستدل على الزمن في جميع ارجاء البخارة بالكهربائية — وبها تطبخ الاطعمة وتدفأ وترطب
غرف الركاب، وتتلج الماء كولات والمشروبات القابلة للتلف وتغسل الملابس والبياضات ثم تكوي
وفي البخارة آلة رافعة — ونشات كهربائية — ورافعات للراسي والبضائع والحبال وقوارب
النجاة حيث تلقى في البحر وترفعها منه برافعات كهربائية. وتحتوي البخارة على جهاز اوتوماتيكي
منبه للحريق تبرز منه اشارات موقوتة تدل على اشتداد الحرارة في اية جهة من جهات المركب.
وفيها ايضاً جهاز كهربائي لمكافحة الحريق تواءم في اية جانب من جوانبها

وملكة برمودة مجهزة بتلغراف وتليفون لاسلكيين وبيت ابرة لاسلكي وآخر جيروسكوبي
وبجهاز تلغراف كهربائي في مرقبتها — وتشمل مقياساً كهربائياً لقياس الاعماق. وفيها ايضاً مقياس
كهربائي آخر لقياس سرعة سير البخارة. وبخاصة كهربائية من اختراع مكينيل — وهي العين
الكهربائية التي تكشف الاشياء الخفية على بعد اميال في الضباب. (وقد وصفتها في باب الاخبار
العلمية بمقطف مارس الماضي)

﴿ امثال نور مندي في بحرية اميركا ﴾ ومن المستغرب ان الباخرة الكهربائية نور مندي
الشبكة الظهور في المحيط الاطلنطي كاملة المعدات وهي من صنع السفانين الاوربيين ، قد سبق
المهندسون الاميركيون ان صنعوا امثلة لها في الاسطول الاميركي وفي مصلحة خفر السواحل
بالاتحاد حيث ثبت نجاحها وظهرت فوائدها

وكان المستر (نيقولا تسلا) المخترع الكهربائي المشهور في طليعة المحبذين لها ومن اشد انصارها .
وكان لمهندسي الشركة الكهربائية العامة في اميركا شأن يذكر في اتمام اختراع البواخر الكهربائية
وقد ادركوا ان تسيير البواخر بالقوة الكهربائية ذو مزايا لا شبیه لها في الوسائل الاخرى
المستخدمة لتسيير البواخر ولا سيما سرعة عكس دوران الرافسات بمجرد ادارة المفتاح الكهربائي
وكانت بحرية الولايات المتحدة قبل سنة ١٩٢٧ أسبق بحريات العالم جمعاء في صنع البواخر
الكهربائية لانها انشأت قبل ذلك التاريخ باخرتين ضخمتين هما Saratoga وليكسنتون Lexington
واستخدما لنقل الطيارات فكانتا اقوى واسرع جميع بوآخر العالم في ذلك العهد

وكانت مصلحة خفر السواحل الاميركية المحلية في ابتداء تسيير البواخر بالقوة الكهربائية
تأخذت بعملها هذا انقلاباً عجيباً في صناعة السفن اكسب البحرية الاميركية خبرة عظيمة جعلتها
تتجلبل نفع البواخر الكهربائية وسهولة تسييرها وزيادة قوتها الى حد عظيم عند الحاجة
واستصوب كبير المهندسين في مصلحة خفر السواحل الاميركية كهرة زوارق تلك المصلحة لكي
تستطيع الاضطلاع بوظائفها فرسم الخطة التي تتبع في ادارة الرافسات بالمحركات ، فنفذت الحكومة
الاميركية مقترحاته وذلك في ثلاث سفن ألحقت بالخدمة في خفر السواحل الاميركية سنة ١٩٢١
حيث كانت بمثابة نموذج احتذاه صانعو البواخر الكهربائية التجارية الحديثة

وكانت كليفورنيا الباخرة الكهربائية الاولى من حيث الفخامة اذ بلغ وسعها ٢٠٠٠٠ طن
واستخدمت في خط ينما الباسفيكي في يناير سنة ١٩٢٨ ثم حذت حذوها قبيل اوائل السنة التالية
باخرتان تسييران في ذلك الخط البحري نفسه بالقوة الكهربائية فكان نجاح هاتيك البواخر الكهربائية
مشجعاً لبريطانيا العظمى على صنع الباخرة حاكم الهند Viceroy of India وغيرها من البواخر
الكهربائية لقطع المسافات الشاسعة بين انكلترا والهند وبينها وبين اوستراليا

وقد صنعت في السنوات الخمس التالية سفن اخرى من هذا الطراز في اميركا وانكلترا ولكن
نور مندي تفوقها جميعاً تفريغاً وقوة وابداعاً في طرقها ومعداتا الكهربائية
(عن مجلة العام بتصرف قليل)
عوض جندي

صور التجديد

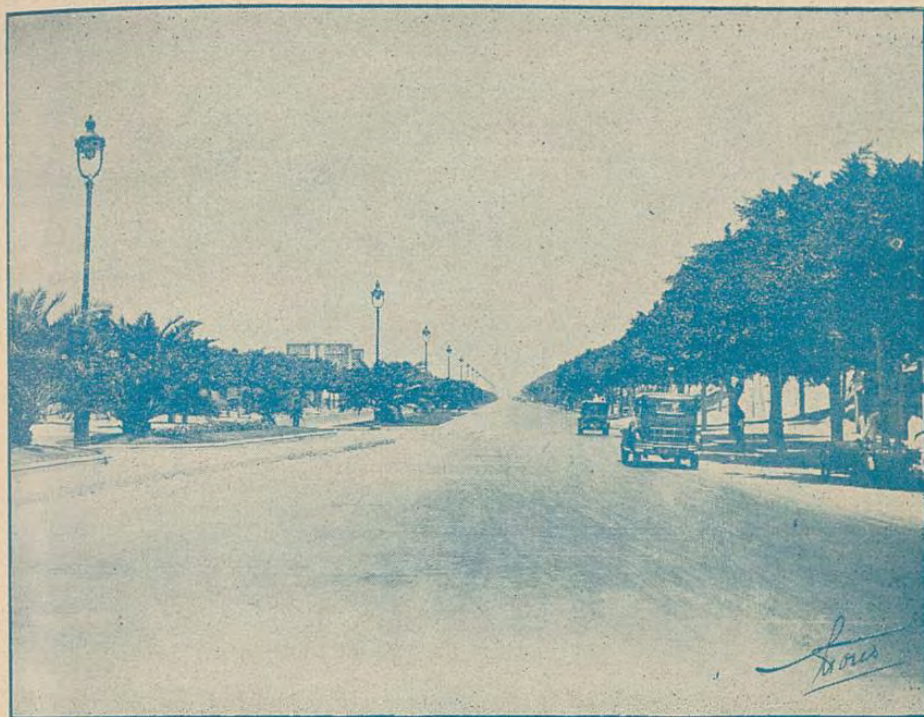
في الاسكندرية

أمثلة عليا لبعث حضارة مدينة قديمة على الطراز الاول

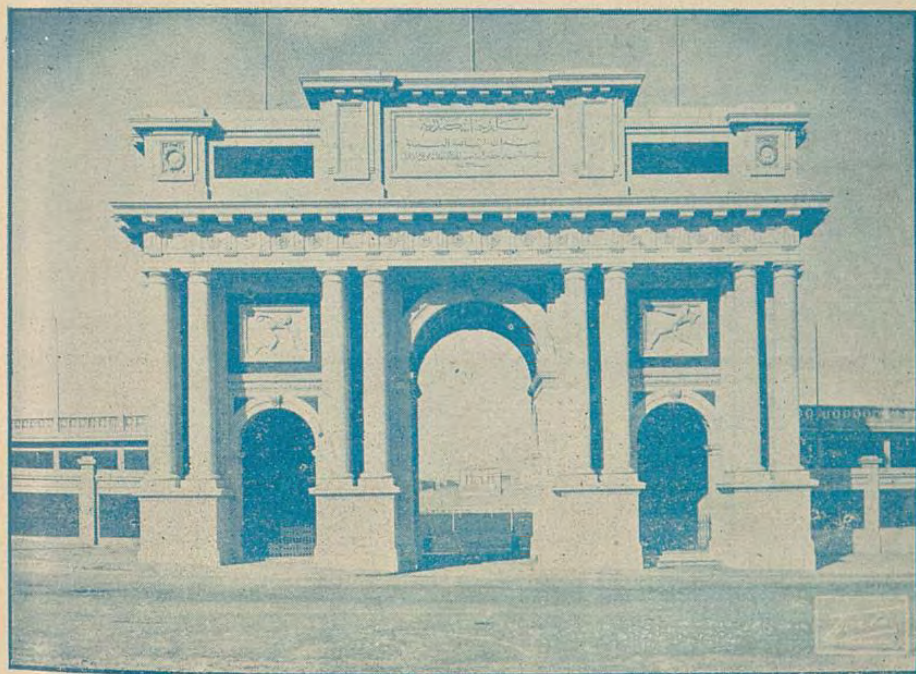
لنقول شكرى

من الطبيعي ان يكون امام الهيئة البلدية برنامج مفعم بمواد التجديد والتعمير والتجميل لمدينة عريقة في الحضارة التاريخية مثل الاسكندرية التي شهدت عظمة الرومان وجلال القيصرية، في شباب الدنيا وصبا العالم، والصفحات الاولى من مجد الانسانية . وان يكون ذلك الثوب الاغريقي الملقى على ساحل البحر الابيض كما وصفها « إسطرابون » موضوع اهتمام جميع اولئك الذين يعلمون ان المدن لا تعيش في الشرق الا مع العناية الكبيرة بهذيب الاشياء والناس وقد كانت الاسكندرية لعهد قريب لا تكاد تملك المركز اللائق بها بين حواضر الشرق، كانت المدينة التاريخية التي تحترم اطلالها للذكريات الخالدة التي ترجع الى عهد تلك النهضة العالمية التي قام بها فلاسفة الاغريق ولا تزال آثار ذلك العهد باقية الى اليوم . اما حضارة الاسكندرية التي ينبغي ان تبعث لخير الاجيال القادمة فقد كانت في ذلك العهد القديم مزيجاً من التهذيب والعمران وكانت حضارة تمتاز بكثرة وسائل اللهو والسرور، ونعتقد ان القائمين بتحقيق برنامج التجديد المستحدث في الاسكندرية لم تغب عنهم هذه الظاهرة في تاريخ الاسكندرية . ولعلمهم قد ادخروا في ذلك البرنامج امثلة جليلة يمكن ان يتحقق بها بعث تلك الحضارة القديمة

في ذلك العصر الذي ساوت فيه الاسكندرية مقام عاصمة العواصم في التاريخ القديم وصف احد الفلاسفة المثل الاعلى لمستقبل مدينة عظيمة جمعت كل عناصر المدنية بالمنارة التي ترسل اضواءها الى مسافات بعيدة وترشد اللاجئين الى النور . وتحت ذلك الجو الصافي الذي يحنو على امواج البحر الابيض وأصائل الشرق الحارة قدر لهذه المدينة التاريخية ان تبعث بعثاً جديداً على طراز مستحدث لعله اجمل وأروع طراز عرف في تعمير المدن أما امثلة ذلك العمران الذي تحقق بمجهود البلدية في اوقات كان لا بد فيها من الجهاد وبذل



منظر من شارع أبي قير



الباب الكبير لميدان الالعاب الرياضية التابع للبلدية

الهمم في سبيل القضاء على القديم وانشاء صور جديدة للعمران وخطط مستحدثة بعضها على طراز الخطط القديمة ، ونظم من التجديد ، وأفانين من التجميل ، وأساليب من بعث حضارة جليلة ذات أثر خالد في التاريخ ، فانها تتمثل في صور شتى بعضها تحقق خير الذريات الحاضرة والمستقبلة وهي تلك الامثلة التي سنعدددها واحدة فواحدة ، ونحن اذا ذكرنا هذه الجهود التي بذلتها البلدية لتحقيق تلك الامثلة العليا فلا نستطيع ان ننسى مع ذلك مساعي الهيآت التي تشارك البلدية في سبيلها العظيم لبعث هذه المدينة التاريخية . وسيظل ازدهار هذه المدينة آية في تاريخ العصر الحديث يدين بها الاخلاف زمنًا طويلاً تخليداً لذكرى الرجال الذين اشتركوا في تحقيق ذلك التجديد وعملا على انشاء ذلك البعث الكبير لحضارة لا نظير لها في التاريخ

وأول ما نذكر من امثلة ذلك التجديد الذي عني المجلس البلدي بانشائه على احدث طراز تلك الطريق التي شقها على الساحل فوهبها تلك الصورة القديمة التي كانت اجل مظاهر الابهة والعظمة في ذلك العصر التاريخي ، وكان الاهالي من الاعيان والطبقة الوسطى يتروضون على الساحل كما يتروضون اليوم ولا يكاد ينقص المعاصرين غير بألعات الزهر اللواتي كن في ذلك العهد القديم من صور التظرف والتأنق وغير تلك الزامرات والراقصات اللواتي كن ينتشرن بين المتروضين والمتروضات على الساحل . اذن في تنظيم هذا الشارع الذي اطلق عليه اسم طريق الكورنيش صورة جليلة من صور البعث لحضارة الاسكندرية واستحداث حياة اولئك البطارقة العظماء الذين عاصروا الفلاسفة وكبار العلماء في مدرسة الاسكندرية وكانت ميزة عصرهم انه كان مزيجاً من التهذيب واللبو بل الانهاس في اللهو . وقتئذ كان الذهب يجري على جانبي المدينة القديمة كما تجري الامواه ومثل آخر من أجل صور ذلك النهوض العظيم باحياء مدينة مندثرة شارع ابي قير وقد اشبه مع شارع الكورنيش جناحي الطائر يحنو على المدينة بخوافيه وقوادمه ، او الوادي الذي يضم صورة فذة من صور العمران . وكذلك اريد ان يكون للاسكندرية الطريقان القديمان ، طريق العربات الذي يدعى اليوم شارع ابي قير ولا تكاد تنقطع منه السيارات والعربات كأنما قدر له منذ تخطيطه ان يكون طريق حركة وضوضاء ، وقد احتضفته الاشجار الباسقة المخضلة حتى لا تفارقه الاقياء والظلال مع تلك النسائم المنعشة العطرة التي يستنشقها المارة بلا انقطاع . وطريق الترويض القديم وهو شارع الكورنيش الذي لا تكاد تفارقه ايضاً جماعات المتروضين ولا تكاد تغيب عنه تلك الشمس الحارة التي يلطفها هواء البحر ويهبها صوت الامواج وتكسرهما على الشاطئ نفعة رفيقة لعلها أعذب لحن يتطلب ان يستمعهُ عابر سبيل ولعل اجل ظاهرات تلك الطريق الاخيرة التي تعانق البحر بقوة كأنها تخشى ان يتدفق وهي

بالفعل تحول دون تدفقه ، ان الناظر الى آخرها اثناء الليل يحسب ان البحر طريق معبدة تجتازها العربات اذ ان اختفاء الحاجز الحجري يبيح ذلك التصور الكاذب ، وكذلك شارع ابي قير الذي تشبه حركة السيارات فيه عند الهزيع الاخير من الليل غواصاً يقلد بيديه ماسات وأحجاراً كريمة متألقة اذ لا يكاد الانسان يلمح فيه غير مصابيح تلك العربات

ومن أجل الامثلة ايضاً التي براد بها حماية عمران مدينة كأن الطبيعة نفسها تغار من ازدهارها وروائها حاجز الامواج الذي يظهر الفارق البعيد بين العصرين في طمأنينة حضارة المدينة ورقبها وسلامة الاهلين من اندفاق للبحر قد يسلب بعض ذلك الرواء والرونق وينال منه ، وقديماً لم يكن يخشى على عمران المدينة من امواج البحر رغم ان امثلة ذلك العمران القديم كانت مجاورة للساحل. ولعلنا نذكر مارواه المقرزي حين ذكر الاسكندرية عن تلك الآثار الرخامية التي طواها صدر البحر حيناً من الزمن ولعل تلك الآثار هي نفسها التي اشير اخيراً الى استكشافها في شاطئ ابي قير وقيل انها تشمل مقبرة الاسكندر

أما حاجز الامواج الذي تهتم البلدية بامتداده حتى يتحقق به الغرض فيما يختص بالمليلة بين البحر وعمران المدينة فإنه مثل مصغر يتعلق بالسلامة وحدها الآن ولما يتم بالنظر الى تكاليفه والى المناسبات الدقيقة التي تحول عادة دون تحقيق المشروعات الواسعة فإن ذلك التريث في مد الحاجز يرجع الى تفكير البلدية على ما نعلم في اقامة منشآت مستحدثة على صدر البحر تجاور ذلك الحاجز او يكون الحاجز جزءاً منها . ولقد كانت الاسكندرية القديمة مثلاً قريباً لذلك الحاجز . كانوا يحترقون به صدر البحر زرافات ، اذن فهو ايضاً صورة جلية من صور البعث لتلك الحضارة الخالدة في التاريخ القديم

ولو كانت الاسكندرية مثل تلك الثغور اليونانية التي يفتت فيها الرخام والمرمر كما تنبت الاشجار والازهار لكان من السهل تحقيق اثر لا بد منه لاستكمال مدينة عاصمة من أجل ثغور البحر الابيض المتوسط وهو الملعب او كما يسمونه «ستاديوم» . وكان القدماء يعنون بهذه الكلمة المسرح ايضاً او مكان اجتماع الشعب والخطابة . وقد كانت عناية البلدية ببناء ذلك الملعب لا تقل عن عنايتها بتحقيق سائر وجوه التجديد والتجميل في المدينة وان لم يضاع ذلك الملعب الذي أقامه «افيروف» في أثينا على رسم الملعب الاغريقي القديم من المرمر تخليداً لاجل اثر في تاريخ بلاده . على ان انشاء الملعب قد سد حاجة كبيرة من حاجات العصر ومستلزماته ، فالملعب البلدي ولو تصورناه بصورته الحاضرة لا يخرج عن كونه اسلوباً ظريفاً من اساليب بعث الحضارة القديمة في الاسكندرية

اما المنشآت الصحية المتعددة التي اهتمت البلدية اهتماماً جدياً بتحقيقها للعناية بصحة الاهلين

وسلامة الذريات في المدينة التاريخية فإنها من أجل ما تستحدثه البلديات في مدينة ذات موارد محدودة مثل الاسكندرية فان المنشآت الصحية تحتاج عادة عدا الجهود التي تبذل في سبيل تحقيقها الى نفقات مستمرة تناسب دوائر الاحتياج اليها . من هذه المنشآت الواسعة مساكن العمال . واذا قلنا مساكن العمال لا يكون هذا القول بالطبع مقصوداً على حجرات خاصة بالعمال بل نعتقد ان معناه العناية بصحة العمال وذرياتهم وحياتهم المنزلية واقتصادهم وبالاختصار بمستقبلهم . ولقد كان تحقيق هذا المشروع من أمثلة العمل بالمبادئ العصرية التي لم تغب فوائدها عن رجال البلدية . وقد اصبحت هذه المساكن اليوم تضم المئات من العمال في الاسكندرية . ونقول ان النظر الى هذا المشروع من بعض وجوهه المحلية البحتة يبدي لنا الظاهرة نفسها التي يتمثل فيها بعث حضارة المدينة القديمة فقد كان للعمال في الاسكندرية التاريخية حي خاص لا يتجاوزونه يدعى باسمهم كما كان للاعيان حي آخر منسوب اليهم

ثم تلك الحلقات المنتظمة الصحية كمستشفى الحيات ومغاسل الفقراء والعيادات الطبية المتعددة ومستشفى الولادة ومطعم الفقراء وما الى ذلك مما يشمل الاختصاصات الواسعة المتعلقة بالبلدية في شأن العناية بصحة الاهلين واطفالهم . اما مغاسل الفقراء فقد كانت الى الآن مرآة صادقة لارادة البلدية النبيلة في تحسين حالة الفقراء نوعاً ما وهو مجهود يستحق دائماً الاعتراف بالجميل للبلدية من تلك الطبقات الفقيرة التي تحتاج الى عناية مستمرة بصحتها ونظافتها . ثم مستشفى الولادة الذي يعد نظاماً مستحدثاً في دائرة الاهتمام بالصحة العامة وهو يعطي صورة صادقة من اهتمام البلديات في العالم المتمدين بالمواليد والامومة ومستقبل الاطفال . وفي اعتقادنا ان هذا المشروع الجليل يكفل الحاجة القصوى الى مثل هذه العناية بصحة الطفل . اما العيادات الطبية المنتشرة في المدينة فكلها منسوب الى البلدية وعنايتها القصوى بصحة السكان فإنها مثل صادق لجزء من المهام الواسعة الملقاة على عاتق البلدية فيما يختص بصحة المدينة والعناية بالاهلين وتخفيف اعباء الحياة وتيسير وسائل المعالجة والوقاية ، وهي من اجل ما ينبغي ان يسهل على السكان في مدينة متحضرة ذات حركة عملية مستمرة

وما يقال عن مغاسل الفقراء وفوائدها واثرها في الصحة العامة يقال ايضاً عن مطعم الفقراء الذي لا نستطيع ان نعدده مجرد صورة من صور الاحسان ومؤاساة الفقراء بل نعدده وسيلة عملية تعين تلك الطبقة على العمل والاعتماد على النفس . ولعل عناية البلدية الموجهة الى هذا الغرض من نوع العناية بالصحة والوقاية اكثر منها مساعدة الفقراء . وكذلك يمكن ان يتألف من مجموع هذه التنظيمات المستحدثة طراز بديع من بعث حضارة تاريخية ذات اثر خالد وان هذه المنشآت اذا عرضناها جملة كوتت اجمل صورة من صور العمران

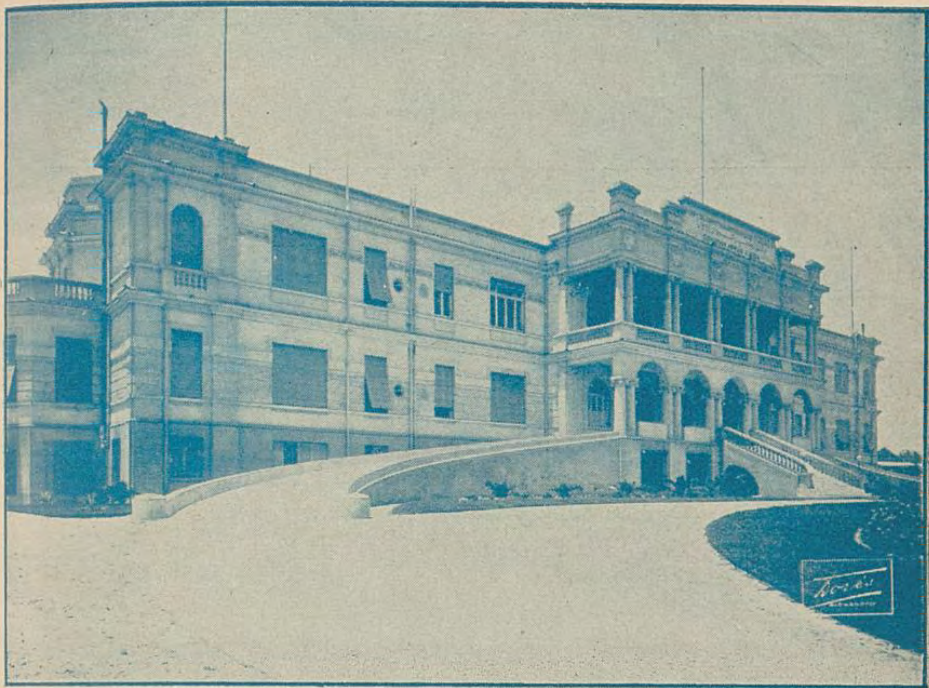
والظاهر ان البلدية بمقدار ما عنت بالمشروعات الجديدة المتعلقة بالصحة والامومة والاطفال ومساعدة الفقراء ارادت ان يكون للمدينة العصرية مظهرها الخاص البارز الذي يذكر بالعظمة الماضية ويكون اشبه بمرآة صادقة تبدي ما احتوت عليه من ضروب العمران وصور التجديد والتجميل وافانين النظرف التي تظهرها بعض الاماكن العامة فعنت عناية ذات شأن كبير في دائرة تجميل المدينة واستحدثها وجعلت هذه العناية وقفاً على ميدان المحطة الجديدة الذي تعمل في تنسيق الحدائق المنشأة امامه والتي تستقبل زوار المدينة وتودّع الراحلين عنها

ولا يمكن ان يستجلي المرء صورة تلك الحدائق والواجهة الضخمة للمحطة الجديدة سوى ان ثمة فكرة عليا للبعث والتجديد. والعمران تحرك همهم رجال البلدية. اولئك الذين يعول على جهودهم في بعث حضارة هذه المدينة، والى هذا الميدان العظيم يمكن ان نضيف في نسق التوسع والتجميل ما يحكيه او يضاهيه من الميادين المستحدثة وبخاصة ذلك الميدان الذي يحيط بحجى العمال بالقباري وتلك الحدائق المتعددة التي تتخلل الاحياء الوطنية لتغذيها بالهواء والضوء. هذا الى الوسائل المتعلقة بالصحة اكثر من تعلقها بمجرد التجميل وتلك المشروعات القيمة في دائرة تحسين صورة المدينة مثل توسيع حديقة الزهرة ومضاعفة المساعي المبذولة في تنسيق حديقة الطونيداس. كذلك نلاحظ ان البلدية قد شملت اهتمامها كل وجوه التنظيم والتجديد في المدينة وان موجة هذا التجديد قد فاضت حتى غمرت المدينة من اقصاها الى اقصاها وانها تشمل التأنق والنظرف في وجوه ذلك التجديد والاستحداث قدر ما تشمل التوسيع والانشاء وشق الطرقات الطويلة. وان البلدية قد آلت على نفسها ان تخرج من مجموعة هذه المشروعات امثلة عليا تؤلف في جملتها صورة للمدينة تحيي صورتها التي طواها التاريخ

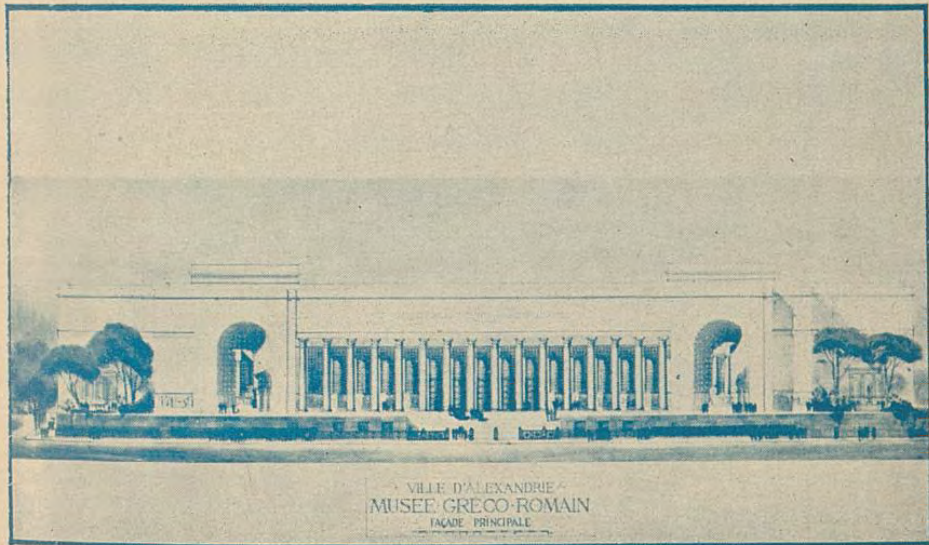
على ان البرنامج الذي يشمل مجموعة تلك المنشآت الجديدة للبلدية لا يزال يشتمل على اشياء اخرى في مثل مكانة المنشآت التي تحققت. من ذلك انشاء متحف جديد ومكتبة جديدة على طراز مستحدث كامل يمكن ان يعيد ذكرى تلك المكتبة الكبيرة التي تعد من مفاخر تاريخ الاسكندرية القديم وقد سبق لنا ان تكلمنا عن هذا المشروع واشرنا الى تقاليد الاسكندرية القديمة فيما يتعلق باقتناء الكتب وكيف كان البطالسة يبذلون الاموال الطائلة في هذا السبيل

وتنوي البلدية أيضاً ان يستكمل في برنامج تلك المنشآت مواضع احياء الحضارة القديمة في تاريخ الاسكندرية وقد تقرر انشاء مسرح بلدي واسع على احدث طراز ولعل البلدية تنشيء الى جانب ذلك المسرح ايضاً معهداً للموسيقى مثلاً ما دام الاهتمام بتشجيع الفنون الجميلة من مهامها ونحن نلاحظ ذلك في تبرعاتها لاصحاب المسارح ودور التهذيب العلمي والفني

ونذكر الى جانب ذلك الغرض الاسمي الذي تنظر اليه البلدية في توسيع بعض دوائر العمران في المدينة وتخطيط شوارع جديدة تزيد في رونق المدينة وازدهارها وبهاؤها. نذكر على سبيل



مستشفى الرمد



المتحف اليوناني الروماني كما تريد البلدية انشاءه

مقتطف ابريل ١٩٣٤

المثال شارع اسمعيل الذي يراد اختطاطه والعناية بنظامه واشكال بنيانه وتجميلها لانه سيكون طريق السياح الى قلب المدينة وحتى لا يقع نظر الاجانب الذين يفدون على المدينة الا على منظر يضاهي على الاقل ما القوه في المدن التي عاشوا فيها . ولهذا المشروع شأن كبير من هذه الناحية فقد مضى عصر طويل على تلك الطرقات التي يخترقها السياح دون ان يطرأ عليها أي تجديد او استحداث وأغلبها ينبو عنه النظر لقدمه وقبح طرازه . اذن قد عملت البلدية حقاً على سلوك السبيل الى العناية الصادقة بمنظر المدينة وأررها في نفوس زوارها وحتى لا يكون في دائرة ذلك الانشاء والتجديد نقص يلاحظ عليه . ولقد كان القدماء لا يتخلون عن منشآتهم في سبيل العمران وفصورهم الكبيرة دون ان يحيطوها بقرى واسعة من الحدائق والرياض كأن تلك القرى جزء ملازم للقصور الواسعة كما تلازم الامواج البحر أو كما يلزم بعض الخطوط الملونة اللوحات الجلييلة التي يعنى بها أئمة التصوير فان في تلك الخطوط اثر الإمامة والعبقرية . كذلك قررت البلدية ان تحيط تلك الدوائر الكبيرة للتجديد والعمران في الاسكندرية بشبه حدائق منسقة اختارت ان تفرق فيها تلك المنشآت كما تفرق القصور في الخضره المنبسطة او كما تطفو السفن الكبيرة في زرقه البحر . فأرادت ان تحتضن ذلك التعمير الجليل وتلك الصور الباهرة للتجديد سياج كبير من الخضره المونقة والزهرة وأفانين التنسيق للاشجار . وكان يقال في تاريخ الاندلس ان الوافد على فوطه كان يجتاز اكثر من خمسين قرية كلها قصور بيض في حدائق خضر وهو ما تنوي البلدية انشاءه عن قريب على مثال «جاردن سيتي» في القاهرة حتى يكمل برنامج التجديد والتأنق في تجميل المدينة . وحسب هذا دليلاً على الذوق المهذب الذي يعنى كل هذه العناية بجمال الاسكندرية العصرية

ولعلنا اذا نسبنا فضل هذا التجديد الى الاستاذ احمد بك صديق المدير العام للبلدية فانما يعد ذلك اعترافاً بالمواهب الكبيرة والصفات التي اجتمعت في هذا المدير والظروف التي كانت موفقة كل التوفيق في تحقيق هذا التجديد لتخليد اسمه الذي سيظل مقروناً بها

ولاشك اننا نستطيع منذ الآن ان نتلمس المستقبل الباهر المدخر لهذه المدينة التاريخية من مجموعة تلك الاصلاحات والتجديدات وما لا يزال يشتمل عليه برنامج البلدية من مواد الانشاء والتجميل . ولاشك اننا على قدر ما نلاحظ مظاهر هذا المستقبل ندرك قيمة التعجيل بتحقيق مواد هذا التجديد واثره في استحداث عمران مدينة لا تخلو من سحر الشرق القديم الغامض وارجحه المسكر الغريب . فقد كانت مهداً لاحلام رقيقة ينمىها ذلك التصافح البديع المؤثر بين الشرق والغرب ونمدها الذكريات الخالدة بفيض من المشاعر اللطيفة . وكانت ثانية عواصم الدنيا بعد روما

الدكتاتورية والرجل العظيم

لاندنر مورو

المؤلف الفرنسي المجيد

١١ سئل صولون ، هل منسح الاثينيين أفضل الشرائع ، أجاب :- «منحتهم اصلح الشرائع لهم
والعهد الحاضر» . وليس ثمة دستور كامل في ذاته ، مفصلاً عن عصره والاحوال التي نشأ فيها .
بل ليس ثمة رجل مفكر يستطيع ان يدعي بأن الدكتاتورية عدو للامة في كل الاحوال على الاطلاق .
ففي زمن الخطر المهدق والفوضى الشاملة اذ تقتضي المصلحة الوطنية اجتناب التفرقة والتشتت في القوى
الوطنية ، وتوجيهها الى غرض واحد معين ، قد يكون من الصالح قيام زعيم فرد . فبونايت في
منصب القنصل الاول اصلح فرنسا التي كانت الجمعيات التأسيسية قد أنضبت دماءها . اما السماح
لرئيس الدولة ان يكون في أيام الرخاء والسلام أقوى مما يجب ان يكون ، فقد يفضي الى الحق
والتهور . فهو كالألة انقوية التي تحتاج الى منفذ لطاقتها ، تراه مدفوعاً الى خاق الحاجات في قلوب
شعبه لكي يحس بغبطة تلبيتها وتحقيقها . في هذه الحالة تصبح الديمقراطية رغباً عما تنطوي عليه
من التحاسد والتجادل ، مرغوباً فيها ، ويصبح الوطني الصحيح ، الذي أيّد الدكتاتورية قبل عشر
سنوات ، محمّلاً على مقاومتها

ومع ذلك ، تجيء على كل امة ازمت في تاريخها ، تحس فيها مدفوعة بأسباب معقولة ، الى
اقامة رجل عظيم على رأسها . ولما كان وجود هذه الازمت في تاريخ الامم ، لا يحتاج الى دليل ،
فعلينا ان نوجه الى أنفسنا الاسئلة التالية :- هل تستطيع الشعوب في احوال من هذا القبيل ان نجد
الرجل العظيم ؟ هل ثمة عقول ونفوس ، متصفة بصفات تجعلها متفوقة على سواد الشعب ، حتى
لتسلم الجماهير بالخضوع لسلطتها المطلقة ؟ واذا كان وجود رجال من هذا القبيل مستطاعاً فإهي
المزايا التي تعدّهم للدكتاتورية . ولنا على ذلك ثلاث ملاحظات اولية :

اولاً — ان عظمة الرجال كائنة ما كانت ، لتعجز عن الظهور اذا لم تسعفها الاحوال . وليس
علينا الا ان نفحص قائمة الرجال الذين حكموا بلدانهم حكماً مطلقاً ثم نسأل كيف ظفروا بالقبض
على أعنة السلطان

لدينا في المقام الاول اولئك الذين ولدوا امرأه او ملوكاً فتمكنوا تدريجاً من تحويل سلطتهم الموروثة الى سلطة مطلقة . ولعل أفضل مثل على ذلك الملك لويس الرابع عشر . كان ابن ملك ضعيف ذلك ان الملك لويس الثالث عشر كان اضعف شأنًا من رئيس الولايات المتحدة ورئيس الوزارة البريطانية ! اما لويس الرابع عشر فلم يلبث ، وهو أذكى عقلاً وامضى ارادة من ابيه ، حتى أصبح دكتاتوراً متوجاً . ولكنه ما كان يستطيع تحقيق ذلك ، لو لم يكن ابن ملك .

ثم هناك رجال احرزوا ظفراً حريصاً باهراً ، في فترة عصيبة من تاريخ بلادهم ، ثم أثبتوا مقدرة ادارية فتمكنوا من الاحتفاظ بسلطانهم الذي احرزوه في ميدان الحرب . والقائد المظفر ، الذي تحول دكتاتوراً ليس بالندر في التاريخ . فنبوليون وقبصر أشهر الامثلة على ذلك . وفي العصر الحديث نجد بالسودسكي في بولونيا ، ومصطفى كمال في تركيا . فمصطفى كمال في نظر الاتراك رئيس الدولة ، لانه القائد المظفر — الغازي — وفي عهد الديمقراطية الاثينية ، كان الظفر الحربي عاملاً من أقوى العوامل في قيام دكتاتور وسقوط آخر . ذلك انه اذا تطرق الخوف والجزع الى نفس الشعب ، استطاع الرجل الذي ينقذهم ويعيد الى نفوسهم طمأنينتها ، ان يحتفظ بهيبته ومقامه زمناً طويلاً . ومنذ ما نشأت الامبراطوريات الاستعمارية رأينا قيام حكام كبار في المستعمرات ، يعود قيامهم لشهرتهم الحربية . فالمرشال ليوتي ، الذي كان اسماً يمثل الجمهورية الفرنسية وخدامها ، كان في الواقع مدى سنوات ، الحاكم المطلق في مرآكش ، وكان له من الاثر في تنظيم البلاد ، اكثر من اي دكتاتور وطني . وما يقال عن ليوتي ، يقال كذلك عن بعض الحكام البريطانيين الاستعماريين

واخيراً يبلغ بعض الرجال الى مقام السلطان المطلق ، لانهم استطاعوا في ازمة نفسية من ازمات شعوبهم ، ان يتصرفوا ، كهمثلين لرغبات الشعب وعقائده ، واقصد بذلك ان نجاحهم لا يعود في الغالب ، الى قيمة آرائهم الذاتية بقدر ما يعود الى ظهورهم في الوقت الذي يحتاج فيه الشعب الى من يرشده وينطق بلسانه . هؤلاء الحكام ، يكونون في الغالب ثواراً ، اذا كانت الامة التي يعربون عن شعورها ، ناشئة عن فساد الطبقات الحاكمة وانحطاطها . كذلك نودي بالرفيق لينين منقذاً لأمته من حكومة القيصر ، وكذلك كان كرمويل الدكتاتور الديني الذي كفى ما يجول في صدور الشعب الانكليزي حينئذ من نزعة بورتانية . ولكن اذا خدعت الامة واصيبت بشوار قوالين فقد يكون الدكتاتور من الطراز الارستقراطي . فوسوليني افلح في زحفه على روما لان الشيوعيين حاولوا ان يحكموا ايطاليا بعيد الحرب بالارهاب . واستقبل نبوليون استقبالا عظيماً ، لان الديركتوار كانت قد اثبتت عجزها خلال السنوات العشر السابقة ، فتاق الشعب الى حكومة مستقرة . لا ريب ان نبوليون من العباقرة ، ولكنه لو انه حاول القبض على أعنة السلطة سنة ١٧٩٠ لما كان الشعب لا يزال عاجزاً عن ادراك نتائج الثورة ، لباء بالخيبة . ذلك ان الدكتاتورية تقوم على ركنين هما الاحوال المؤاتية وصفات الدكتاتور نفسه .

ثانياً - لا بدّ للدكتاتور من قوة يستعملها للبطش . فهو لا يستطيع الاحتفاظ بالسلطان اذا قاومه الجيش . ففي الثورتين الفرنسية (اواخر القرن الثامن عشر) والروسية (سنة ١٩١٧) انتقلت سلطة الجيش الى صفوف الشعب . وموسوليني فاز بتأييد المليشيا الفاشستية التي نظمها ، والجيش الايطالي الذي احفظه ما كان قد وجّه اليه من عبارات التنديد والتفريع . ومصطفى كمال استطاع ان يحقق أعجب الاصلاحات الاجتماعية لان جنوده كانوا منبئين في كل مكان . اذا صحّ هذا فهل يتعدّر قيام دكتاتورية تستند الى قوة معنوية متفوقة ؟ من الصعب الرّد على هذا السؤال . اذ لا بدّ للرجل من خصوم بلغ ما بلغ من مراتب الكمال . فزعما الاحزاب القديمة يتصدّون له والمتظاهرون الى مناصب الحكم يناوئونه . فقد يعتمد على قوة العامة بعد تحوّلها الى قوة مسلّحة . ولكن لا بدّ له على اي حال ، من ان يكون قادراً على قيادة الفرق المسلّحة . وتذكّر هذه الحقيقة له شأن خطير ، لانه يدلّنا على ان مسألة الرجل العظيم تحتجب وراء اعتبارات منوعة في بحث صفات الدكتاتور . فالدكتاتور يجب ان يتصف قبل كل شيء ، بمقدرته على خلق القوة المسلّحة وقيادتها . وهذا الشرط يزيل من قائمة الدكتاتوريين معظم الرجال العظام ، فافلاطون ودانتي ونيوتن وجوته كانوا بلا شك اعظم عبقرية من نبوليون بيد ان نبوليون كان يستطيع ان يقود الجيوش ، وكذلك كان سلاّ وقيصر من قبله .

ثالثاً - الاختصاصي العظيم ليس بالرجل العظيم ، وكثيراً ما نخلط بين الاثنين في حديثنا اليومي . فنقول مثلاً ان لامارتين وشاتوبريان ، كانا رجلين عظيمين . ولكن الاصح ان نقول انهما كانا كاتبين عظيمين . وبين القولين فرق شاسع . وقد ثبت ذلك لما حاول الجمهور ان يجعلهما رجلين من رجال السياسة . فقد كانا متصفين بأرفع الصفات العقلية ، ولكنهما اخفقا لانهما لم يخلقوا للقيادة . ومن المتعذر ان نتصور اناتول فرانس او ايفشتين او السر جوزف طمس ، رئيساً لدولة . حتى الذين كتبوا في السياسة من الجهة النظرية ، اخفقوا في ميدان السياسة العملية ، مثل مكيافلتي ورتز . فلما اتجه الفكر في خلال الحرب ، الى اقامة رجال المال العظام على منصة الدكتاتورية باؤوا بالاخفاق . والجندي في الغالب رجل تعود ، النظام ، لذلك يحسّ قلقاً ان لم يكن فوقه ضابط اعلى منه او حكومة ، تصدر اليه الاوامر . فاذا وجّه الى غرض معين فالراجح انه يبلغه ، ولكن لا يهتم ان يختار الغرض نفسه . خذ مثلاً على ذلك المارشال فوش . فقد كان يجزع من السياسة وقد احسن هندبرج في رئاسة الريخ ، لان نفسه ليست نفس دكتاتور . بيد ان الرجل العظيم من طراز نبوليون الذي يجمع بين قيادة الجيش ورئاسة الحكومة يختلف عن الاختصاصي . فلنحاول ان نجلو الصفات التي ميّزته عن سائر الرجال

الصفة الاولى التي يجب ان يتصف بها الدكتاتور هي صفة الارادة القوية . وهي من اندر الصفات . فالرجال الذين يتصفون بقوة العقل كثير ، ولكن المتصفين بقوة الخلق نادر . اذ ما الفائدة من ان

نعرف ما يجب ان تفعل اذا كنت لا تملك الجراءة على تنفيذه. فاذا حاول رجل ضعيف الخلق القيام ببسط الاصلاحات واكثرها توقعا، مُني بالخيبة. ذلك ان الانسانية كتلة جامدة في مجموعها. فاذا شئت ان تكبرها لجلها على الحركة، وجب تسليط الارادة الدائمة عليها، والتذرع بالعزم لتذليل جميع العقبات ونخطيها. فالرجل المتصف بالخلق القوي، يفوز في النهاية بكل ما يريد. ولو ان مؤرخاً تنبأ من ١٥ سنة بان رجلاً في تركيا يحدث فيها من الانقلاب الاجتماعي والاداري ما احداثه مصطفى كمال لوصف بالحق، ولكن مصطفى كمال حقق كل هذا لان ارادته كانت لا تعرف الرحمة، ولان الانزاع ادرکوا انه لا يحجم عن هدم كل حائل في سبيل تحقيق اغراضه. والناس في الغالب، يغتبطون بمظاهر الارادة القوية، وقلما يحجمون عن شيء اذا احسوا ان زعيمهم بحسن قيادتهم

والعقل يلي الارادة. وعقل الدكتاتور يجب ان يكون بسيطاً قادراً على ادراك المشكلات الكبيرة اذ تعرض له. فاذا كان عقله دقيقاً يعيل الى حل المسائل الى اولياتها، فقد رى العقبات التي تعترض سبيله جلية وهذا يشل ارادته. وتفصيلات كل خطة يرسمها الرجل العظيم معرضة للنقد. بيد ان العقل الذي تشغله الدقة، تقهره التفصيلات. فالزعيم العظيم لا رى التفصيلات. ولا هو اخصائي في موضوع ما. يهتم بكل مسألة ولكن اهتمامه متجه الى ارشاد الجهد الذي ينفق في تلك المسألة. يحيط به الاخصائيون وهم الذين يعنون بالتفصيلات. قيل انه لما سأل احد الوزراء المارشال ليوتي عن المدافع قال عندي رجالي الفنيون. فسئل وماذا تفعل. فاجاب: انا؟ انا الرجل الفني المختص بالآراء العامة

غير ان الدكتاتور لا يستطيع ان يحرر نفسه من الاستعداد للتفصيلات الا على شرط واحد. يجب ان يثق ثقة عظيمة بمساعديه واعوانه. واذا يجب ان يكون قادراً ان يحيط نفسه بجماعة من المؤيدين تنصف بالامانة والجدارة. فليس في التاريخ رجل عظيم من الرجال الفعّالين، الا عرف كيف يختار معاونيه، رجالاً يخلصون له ولا رايه ولا يخونون. فالارادة والمقدرة على اختيار الزملاء هما الصفتان الاساسيتان في خالق الدكتاتور. والثانية تنطوي على صفات عجيبة، مثل فهم الرجال وسر غورهم بلحظة شاردة، والعطف الذي يجذب الناس اليه ويحببه اليهم، وسعة الصدر التي لا تسف الى الحسد، وتسرع الى جزاء المحسن على احسانه. وكما افلح نبوليون في بث روح الاخلاص في قوادم، كذلك اخضع ليوتي مراکش بمساعدة ضباطه. وموسوليني مدين، باستقرار نظامه الى نشاطه في ضم من يتوسم فيه الكفاءة الى بطانته

اذا اجتمعت هذه الصفات في رجل فقد يجعله اجتماعها فيه رجلاً عظيماً. ولكنه قد لا يكون رجلاً فعّالاً. اذ يلزم ان يكون الرجل الموهوب هذه الهبات العالية، قادراً على تطبيقها تطبيقاً فعّالاً. يجب ان تحرّكه شهوة السلطان. فالعمل في حياة الدكتاتور كالأية في حياة الفنان أبداً يتجه الى خلقها

شمشون

لايلاس ابو شبكة

ليس شمشون ، بطل هذه القصيدة ، يبطل التوراة ، نذير الله من بطن امه ، قاتل الف فلسطيني بلحي حمار والمدفون في ضريح ، منوح أبيه بين صرعة واشتاؤل ، فشمشون ، بطل هذه القصيدة ، هو الشاعر الجبار والقاضي الانساني الثائر الذي ينغمس في حمأة الحياة كما ينغمس فيها سائر المائتين الا انه يخرج من الرذيلة فضيلة كما اخرج شمشون التوراة عسلاً من رمة السبع . إن شمشون ، بطل هذه القصيدة هو الشاعر الجبار الذي تتغلب عليه حيل العالم الشرير فتقص جناحيه وتفقأ عينيه الا ان جناحيه في روحه وعينيه في قلبه وليست قوة شمشون هذا في شعره بل في شعوره ، وبهذا الشعور القوي يقوّض دعائم الزور والضعينة والبهتان ويهدم هيكل الرياء المقنع بالارجوان »

ملّقيه بحسبك المأجور	وادفعيه للانتقام الكبير
إن في الحسن ، يا دليّة ، أفعى	كم سمعنا فحيحها في سرير
أسكرت خدعة الجمال هرّ قلا	قبل شمشون بالهوى الشرير
والبصيرُ البصيرُ يخدع بالحسن	وينقاد كالضرب الضير
ملّقيه فالليل سكران واه	يتلوّى في خدره المسحور
ونسور الكهوف او هنها الحب	فهانت عليه كالشحرور
وعنا الليث للبوّة كالظي	فا فيه شهوة للزئير

شَبِقَ الليث ليلة فتزى	ثأراً في عرينه المهجور
تقطر الحُمّة المسعرة الشّهاء	منه كأنه في هجير
يضرب الارض بالبراثن غضبان	فيُصّدي القنوط في الديجور
ووميض اللظى يغلف عينيه	فعيناه فوهتا تنور
ونزا من عرينه تتشظى	حُمّ من لظاه في الزمهرير

واللهات المحموم من رثته
فسرى الذعر في الذئاب ففرت
وإذا لبوة مخدرة الحسن
تنضح اللذة الشهية منها :
فتنبت العبير في مخدع الليل
فتلاشى اللمهيب في سيد الغاب
والعظيم العظيم تضعفه أنثى
ملتقيه في أشعة عينيك
وعلى ثغرك الجميل ثمار
ملتقيه فبين نهديك غامت
هوة أطلعت جهنم منها
ملتقيه في ملاغملك الحمر
يسرب السم من شفافتها الحرى

يشعل الغاب في الدجى المقرور
وترامى الى عشاش النسور
تردّت من كهفها المخدور
خمرة من جمالها المأثور
فتشهى حتى عروق الصخور
امير المغاور المنصور
فينقاد كالخفير الحفير
صباح الهوى وليل القبور
حجبت شهوة الردى في العصير
هوة الموت في الفراش الوثير
شهوات تفجرت في الصدور
مساحيق معدن مصهور
الى ملمس الردى في الثغور

خيم الليل ، يادلية ، في الغاب
فالشقي فورة الحرارة من جسمي
أنت حسناء مثل حية عدن ،
وكغفر الوعل الوديع وأن كنت
لست زوجي بل أنت أنثى علقاب
فاشتهي كل ليلة مخلي الدامي

واغنى حتى الشذى في الزهور
وغذّي قواك من اكسيري
كورود الشارون ذات العطور
تناجين عقرباً في الضمير
شرس في فؤادي المسعور
على خز جسمك المخمور

وأنى الصبح ضاحك الوجه يرغى
أين شمشون يا صحاري يهوذا ؟
أين قاضيك ، دافع الضيم ، طاغي
أعورت شهوة من الحب عينيه
إن قاضي المستعبدين لعبد

زبدُ النور في ضحاه الغرير
أين حامي ضعيفك المستجير ؟
المستبدين ، صائن الدستور ؟
وكم اعور الهوى من بصير
وقضاة عور قضاة العور

حفلت قاعة العقاب بجمع
من سراة المسودين غفير

هم رموز الشقاق والفتن الجراء
 أقبلوا يشهدون مصرع شمشون
 بؤرة تعبق القذارة منها
 أيدين الخطي جناة صعاليك
 وسرت خمرة الوليمة في الحفل
 وكأنَّ النسيم شُوق للخمرة
 ولتقر الدفوف صوت غريب
 وإذا قينةٌ تخالجهما السكرُ
 فتثنت تضاجع الجوّ نشوى
 رقصة الموت يا دليلة ، هذي
 وصفا الجمع للاسير يناديه
 « هيه شمشون ، أيها الفاجر الزنديق
 » أحكيم من العتاة تدرى
 فتلوى شمشون في القيد حتى
 فنزا ، نزوة الوميض ، من الغلّ
 بددي ، يازوابع النار اعداء
 وتنفس يا موقد النار ، في صدري
 وامصصي يا دليلة الخبث ، من قلبي
 وارقصي ، انما البراكين تغلي
 وتغني بمصرعي فكثيراً
 اصبح الليث في يديك اسيراً
 واجعلي الغلّ رمز كل صريح
 إن أكن سقت في غرامك شرّاً
 غير أني أجني من الجيف الجرداء
 هيكلا الاثم لم أبح لك ذلي
 فاسقطي يادعائم الكذب الجاني
 محق الله في شرّ ظلامي
 ان تكن جزّت الخيانة شعري

والغدر والزنى والغرور
 على لثة الطلا والزمو
 سترت بالشفوف والبرفير
 ويقضي الفجور ذنب الفجور ؟
 لتقدس ساعة التكفير
 فانسل من شقوق الخدور
 يتحدّى صوت العقاب الاخير
 على مشهد من الجمهور
 من تلوي قوامها المحرور
 أم تراها اختلاجة في المحرور ؟
 بشى مطاعن التحقير
 يا عبد يهوه المقهور
 شعره قينة ، من الماخور ؟
 حلّ فيه روح الاله القدير
 ودوى كنافخ في صور
 الهى ، ويا جهنم ثوري
 وأغرق نسل الريا في سعيري
 فكم مرة مصصت قشوري
 تحت رجلك كالجحيم النذير
 ما سمعت الفحيح في المزمور !
 فاطرحيه سخرية للحمير
 واليواقيت رمز كل غدور
 فالبرايا مطية للشور
 — مهما قدرت — شهد قفير
 شبح الرق لم أسلمك نيري
 وكوني اسطورة للدهور
 فلتضى في الحياة حكمة نوري
 في ضلالي فقوتي في شعوري

الحضارة الفرعونية

وتأثيرها بالزراعة

للككتور - حسن كمال

لنهر النيل تأثير كبير في تاريخ الحضارة الفرعونية . فضرورة المحافظة على مجراه واستعمال مياهه علمت المصريين هندسة الانهر وما يتبعها من مساحة الاراضي . ولما تفقدوا السماء وجدوا في حركات نجومها واسطة للاستدلال بها على ميعاد فيضان ذلك النهر العظيم . ومن ثم بدأ اهتمامهم بالفلك واتسعت دراستهم له . ولما كان الفيضان اذا طغى على الاراضي محامعالم الحقول تفنن القوم في ابداع المقاييس ومعرفة المساحة . ولما زاد اهتمامهم بالفلاحة اقنع الفراعنة رعاياهم بأن المحافظة على الحدود والاملاك الشخصية امر مقدس يجب مراعاته ويتحتم احترامه . وهذه العوامل بالذات احدثت نفس النتائج في بلاد بابل . وبديهي ان كل زوال للفيضان كانت تعقبه مشاحنات ومضاربات ، ومن هنا نشأت ضرورة سن القوانين وتوقيع العقوبات . وهكذا أجبر النيل سكان واديه أن يضعوا لانفسهم أسس الحضارة الاجتماعية والقوانين والنظم السياسية

ثم بدأ القوم يشيدون العمارات الضخمة لدور الحكومة او التعبد فعمدوا الى النيل لينقلوا بواسطته تلك الكتل الضخمة التي شادوا بها آثارهم الباذخة . وبهذه الطريقة وحدها تمكنوا من تشييد الاهرام ونقل الجرانيت من اصوان الى أنحاء القطر مثل منف وتينيس الواقعة بالقرب من البحر الابيض المتوسط . وهكذا أصبح النيل الشريان الرئيسي للتجارة الداخلية . ومن ثم برع قدماء المصريين منذ أقدم العصور في صناعة السفن فابتكروا المجاذيف والقلاع و « القمرات » وغير ذلك من وسائل الراحة في السفر

ومساحة الاراضي وكَيْسَل المحاصيل وتوزيعها اضطررتهم لمعرفة اصول الحساب من جمع وطرح وضرب وقسمة . كذلك فن المعمار أجبرهم على معرفة الهندسة الفراغية . والى النيل أيضاً وتطوراته الطبيعية يرجع الفضل في معرفة المصريين لطريقة قياس الزمن . فقد تنبهوا في القرن الثالث والاربعين قبل الميلاد الى ان السنة الشمسية تتكون من ٣٦٥ يوماً . ويعتبر هذا الاكتشاف الميقاتي واستعماله في الشؤون الدينية (وأهمها الزراعة وقتئذٍ) خطوة كبيرة نحو الرقي وشرفاً عظيماً للوطن الذي اكتشف

فيه . وقسم المصريون سنتهم الى اثني عشر شهراً وجزأوا كل شهر ثلاثين يوماً حفظاً للنظام وتسهيلاً للمداولات . وهكذا أثبت سكان وادي النيل ان التوقيت شيء عرفي يصطلح عليه القوم وللزراعة فضل كبير في ابتكار الكتابة لان هذا الخط مكون من عدة رسوم لنباتات وحيوانات وأشخاص وادوات زراعية ومنزلية وحربية وخلافها . فهو والحالة هذه دليل مادي على احوال القوم وقت استعماله من حيث الزراعة والصناعة وهو الموضوع الذي نحن بصدده الآن . لذا وجب التنويه عن تاريخ هذا الخط باختصار . ولا يخفى ان قدماء المصريين استعملوا الكتابة منذ نحو خمسة آلاف سنة . وان كتاب الاسرة الخامسة الذين أتوا بعد ذلك بألف سنة دونوا طائفة كبيرة من أسماء ملوك الوجه البحري وبعض ملوك الوجه القبلي من الذين يرجع تاريخهم الى ما قبل حكم الاسر كما نسخوا أيضاً عدة نصوص دينية من كتاب الموتى يرجع انها نقلت سابقاً مراراً ومن هذه النصوص استنتجنا معلومات كثيرة عن حياتهم الزراعية وقتئذ . والخط الهيروغليفي الذي استعمل في الوجه البحري لاجراءات الملك والحكومة والخزاة لم يكتشف فجأة وقت اعتلاء الملك (مينا) العرش المصري بل كان مستعملاً قبل ذلك بمدة طويلة . ودليلنا على هذا ان الخط الهيراطيقي كان مستعملاً في مبدأ الاسرة الاولى وهو كما لا يخفى اختزال للخط الهيروغليفي . فلا بد ان يكون هذا الاخير قد استعمل قبل عهد الاسر بزمان طويل . لكن لم تصل الينا معلومات تاريخية عن ماثر ملوك الوجه البحري والقبلي الذين يرجع تاريخهم الى ما قبل القرن الرابع والثلاثين قبل الميلاد

تأصل الزراعة في الديانة المصرية القديمة وقد استدل من بساطة هيئته الآلهة المصرية ورموزها ان المعيشة في عهد الاسر الاولى كانت بسيطة أيضاً . فمن هذه الآلهة من يمثل قابضاً على عصا كالتي يستعملها بدو الصحاري أو على نوع من الغاب (القصب) . وتزين رسومها احياناً بالغاب أو ريش النعام أو قرون الاغنام . ولما اعتبر المصريون حيواناتهم المحيطة بهم رموزاً للآلهة احترموها واثبروا على ذلك حتى في ارق العصور مدنية وحضارة . وليلاحظ ان هذه الحيوانات لم تعبد كآلهة الا في آخر التاريخ المصري لما دخل القطر في دور انحطاطه . فلم تكن عبادة الحيوانات معروفة في العصر الاول (الاسر الاولى) وغاية ما في الامر ان المصريين اعتبروا وقتئذ بعض الحيوانات كالنسر رمزاً لمعبوداتهم كالشمس مثلاً . ومن ثم اعتبر القوم هذا الحيوان كثيراً واکرموا مثواه في المعابد لكنهم لم يعبدوه ولم يقدموا له قرابين كما حدث في الازمنة التالية

ثم ازداد المصري تخيلاً لصورة الحياة الاخرية فتوهم في الجهة الشمالية الشرقية في السماء حقولاً يانعة خضراً سماها « حقول يارو » او حقول الخيرات كثيرة العدس قعها اطول من قع النيل عميمة الرخاء والطأنينة والسلام والسكون ينال فيها كل فرد نصيبه مما يقدم لمعبوده في الدنيا من خبز وجعة وملبس علاوة على ما ذكر . ثم استصعبوا الطريق الى حقول الخيرات هذه فتخيلوها يحيط بها الماء . لذلك ابتكروا طرقاً مختلفة للوصول اليها . فكان بعضهم يناجي النسر او الطائر ابي منجل

(إيس) ليحمله فوق طرف جناحه الى تلك الحقول . ورجا البعض الآخر اولاد المعبود (حوريس) الاربعة ليحضروا له قارباً يستعين به على عبور المياه . وتوسل فريق ثالث بالمعبود (رع) لينقله في سفينته الى تلك الجهة . هكذا تشعبت عقائد المصريين في فهم الآخرة لكنها لم تتجاوز شؤون معيشتهم الزراعية

ومما يدل على شدة تأثر القوم في عبادتهم بأحوالهم الزراعية انشودة « الشمس » التي وضعها الملك اخناتون والتي كانت تتلى في المعابد للتوسل بها في خلوة المعبود (آتون) — اي قرص الشمس — وسذكرها هنا للقارئ لاشتمالها على كثير من الاحوال الزراعية . وقد جعل الاثريون لاجزاء هذه الانشودة كما ترى عناوين تمشي مع معانيها وقابلوها في الوقت نفسه بما جاء في المزمور الرابع والمائة موضحين بذلك الشبه بين الاثنين من حيث الآراء وتسلسل المعاني

النهار والحيوان والنبات

البهائم كلها مستريحة في مراعيها . والاشجار والنباتات جميعها يانعة . والعصافير ترفرف فوق المياه ناشرة أجنحتها ابتهاجاً إليك . والاغنام ترقص على ارجلها . والطيور تخلق في الجو تنسم الحياة اذا ما اشرقت عليها

النهار والمياه

نسير السفن مع التيار وعلى عكسه
وكل طريق عمومي يصبح مسلوکاً
لانك ظهرت في الافق . اما السمك فيقفز
امامك في النهر هكذا تخترق اشعثك البحر الخضم
هذا البحر الكبير الواسع الاطراف
هناك دبابات بلا عدد . صغار حيوان مع كبار
هناك تجري السفن . لويائاً من هذا
خلقته ليلعب فيه (مزمور ١٠٤ آية ٢٥-٢٦)

خلق الانسان

انت خالق الجنين في امه . أنت خالق نطفة الانسان . انت واهب الحياة للجنين في رحم امه . ولمطفه حتى لا يتكدر ويبيك . كيف لا وأنت المربي في الرحم . انت معطي نفس الحياة لكل مخلوقاتك انت فاتح فم الجنين بالكلام ومعطيه حاجاته يوم تلده امه

خلق الحيوان

انت الذي تهب الحياة للفرخ في البيضة فيصيح . فاذا اتممت خلقه ثقب بيضته وخرج منها ملتحماً جهده واثباً بقدميه

الخلق عموماً

ما أكثر مخلوقاتك التي نجعلها . انت الآله الاحد .
لا شريك لك في الملك . خلقت الارض بارادتك . ولما كنت
وحيداً في هذا الكون خلقت الانسان والحيوان الكبير والصغير
والمخلوقات التي تدب على الارض او تطير بأجنحتها التي احللت
كل انسان في سورية والنوبة ومصر في موضعه وأنعمت عليه
بحاجاته فصار كل منهم يأخذ نصيبه ويعيش ايامه المعدودة . لقد
اختلفت ألسنتهم وأجسامهم فسبحانك من ميمز خلقتك

ري الاراضي

انت خالق النيل في الدار الآخرة . انت اوجدته برغبتك فيه لتحافظ على حياة الاهالي . انت
سيد الجميع لانهم ضعاف . انت سيد كل اسرة لانك تشرق لاجلها . انت شمس النهار المهبب في
الاراضي السحيقة كلها والواهب لها الحياة . خلقت لهم نيلاً في السماء ليسقط عليهم ماءً فيسيل
على الجبال كالبحر الزاخر يروي غيطانهم بين مدنهم . ما ابدع اعمالك ايها السيد الازلي !
فنيل السماء مخصص للغرباء وللدواب من كل البلاد . والنيل الذي يأتي مصر خاصة يأتيها من الدار
الآخرة . اشعتك تغذي الجنان . فاذا ما اشرقت اينعت وانبتت بتأثيرك

الفصول

جعلت الفصول لتخلق فيها جميع مخلوقاتك . فالشتاء يعطيهم البرودة . والصيف يهبهم الحرارة
انت الذي رفعت السماء عاليًا لتنظر ما خلقت في وحدتك شارقاً حياً كأتون ساطعاً متلاًثماً ثم
راجعاً ثانية الى حيث ابتدأت

* * *

وتغلغل في الزراعة في الديانة المصرية القديمة حتى اكتسحتها تقريباً فأضحى القوم يمثلون النعيم
الآخروي او الجنة بالنعيم الزراعي او الفلاحة وكثر هذا التمثيل في المقابر والادراج البردية بشتى
الصور ومختلف العبارات . وسنضرب للقارئ مثلاً درج الكاهن (آنى) فقد ورد في اللوحة
الخامسة والثلاثين رسم الآخرة ويتكوّن من اربعة اسطر السطر الاول وفيه الكاهن (آنى)
يقدم القرابين لمعبود له رأس الارنب وآخر رأس الثعبان وثالث له رأس الثور وخلفه يلاحظ المعبود
(تحوت) قابضاً على اللوح والقلم . بعد ذلك يرى (آنى) راكباً سفينة صغيرة يدفعها الى الامام
بواسطة مجداف . ثم السطر الثاني فيه (آنى) وهو يخاطب الطير المعروف بالباشق والموضوع امامه
مائدة القرابين ويشاهد بالقرب من ذلك رسم لشخص مقدس وثلاث بحيرات ونقوش هذه رجمتها :
« المعيشة في سلام في حقل السلام واستنشاق الهواء في الانوف » . بعد ذلك يشاهد الكاهن (آنى)

يحمّد القمح ثم يدرسه بواسطة ثيران ثم يرى ببجل الطائر المقدس (بنّو) . وبالقرب من ذلك نشاهد كومة من القمح الاحمر واخرى من القمح الابيض وثلاث بحيرات وغير ذلك بعد ذلك يأتي السطر الثالث من الرسم ويتلخص في طريقة الحرث بالقرب من غدير ماء لا يحوي سمكاً ولا ثعابين . ثم السطر الرابع ويتلخص رسومه في مولد المعبود وفي جزيرة صغيرة عليها بعض درجات سلم ثم محل يقال (خوس) ينبت فيه القمح الى ان يبلغ طوله ثلاثة اذرع ثم مناظر لسفن وانهار وغير ذلك . (راجع ترجمة كتاب الموتى للاستاذ بدج ص ٣٢٢)

وتأثرت الفنون الجميلة عند قدماء المصريين بالزراعة بشكل واضح جلي . ويشاهد ذلك على الاخص في النقوش الملونة التي استعملت كثيراً منذ عهد المملكة القديمة . من ذلك رسم سرب الاوز بمقبرة ميمدوم تتجسم فيه براعة المصور المنفي وطول باعه . فقد اتقن الرسّام انعطاف رأس هذا الطائر وبطء حركته وانشاء عنقه وقت التقاطه دود الارض بشكل يقرب جداً من الطبيعة . ولاشك في ان مثل هذا الرسم يشهد لصانعه بالقدرة وعظم الاعتماد على النفس وكثرة التمرن في هذا الفن الجميل

اما الاعمدة فصنعت على اشكال كثيرة منها ما يشابه النخيل وآخر يمثل طاقة البردي وثالث على شكل طاقة اللوطس . وساحة امنحوتب الثالث بمعبد الاقصر تحوي عمداً على شكل باقات براعم البردي وعمد صحن المعبد المذكور مصنوعة على شكل سيقان البردي المنتهية بزهرته اليانعة . وساحة الكرنك العظمى تحوي عمداً على هيئة زهرة البردي المفتوحة ايضاً

وهناك امثلة كثيرة اخرى للفنون الجميلة وعلاقتها بالزراعة . فنجد الاسر الاولى يمجّد الباحث ارجلاً لكراسي مصنوعة من العاج المنحوت على شكل ارجل الحيوان . ثم صاغ القوم اكاليلهم على شكل الازهار الزاهية اليانعة كما هو مشاهد في اكايل دهشور الذهبية التي بدار تحف القاهرة وفوق هذا وذاك فقد كانت حكومة القطر مصبوغة دائماً بالصبغة الزراعية من حيث النبات او الحيوان . فملوك مصر كانوا يلقبون منذ اقدم الاسر بلقب « حوريس » نسبة الى ما ورثوه عن هذا المعبود في عرش مصر . وقد رسم الباز (رمز حوريس) فوق الآثار الملكية فوق شكل مستطيل يمثل باب القبر الوهمي (الذي تخرج وتدخل منه الروح) وبداخله اسم الملك الرسمي . اما اسم الملك الشخصي فيكتب مسبوقاً برسم الزنبور (رمز الوجه البحري) وفرع البردي (رمز الوجه القبلي) اشارة الى ان هذين القطرين قد خضعا له . ويصحب هذه الرموز غالباً رمزان آخران هما العقاب (وهو رمز نخبت معبودة الكاب عاصمة الوجه القبلي) والصل (رمز بوتو معبودة مدينة بوتو عاصمة الوجه البحري) . ويشاهد الباز على رؤوس التماثيل لملوك تلك الازمنة مرفرفاً بجناحيه ليحميهم من الاذى . ثم اخذت الملوك بمرور الزمن تضع فوق جباههم صلاً (معبود المملكة البحرية) مشيرين بذلك الى بسط نفوذهم على الدلتا

البصريات عند العرب*

عبقرية ابن الهيثم
لقرى حافظ طوقه

البصريات من البحوث التي تشغل فراغاً كبيراً في علم الطبيعة (Physics) والتي لها اتصال وثيق بكثير من المكفشات والمخترعات ، ولا اكون مبالغاً اذا قلت انه لولا تقدم البصريات (الضوء) لما تقدم علما الفلك والطبيعة تقدمهما العجيب ولما كان في الامكان ان يخلق الانسان في سماء الاختراع والاكتشاف تحليقه الحاضر ، وقد يكون هذا من جملة العوامل التي حملتني على البدء بعلم الضوء دون غيره من فروع علم الطبيعة المتعددة ، والذي ارجوه ان يتمكن القارئ الكريم بعد مطالعة هذا المقال ان يقف على تطور هذا العلم الجليل وسيره عند العرب

يقول الدكتور ماكس ماير هوف «ان العرب قدموا خدمات حقيقية جلية جداً لعلم البصريات الذي فيه تتجلى لنا عظمة الابتكار الاسلامي» . ولقد بقيت الكتب العربية في هذا العلم المهمل العام الذي نهل منه اكثر علماء القرون الوسطى كروجر باكن ، وبوتيلو ، وليوناردو ده فنشي ، وكبار وغيرهم. وتعرف دائرة المعارف البريطانية بأن كتابات العرب في الضوء اوجت اختراع النظارات. ويقول سيديو « لما اشتغل العرب بالفلك التفتوا الى العلوم الرياضية فأثروا بالعجب العجيب في الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيكا (١) » وقد ظهر في أوائل القرن الخامس للهجرة رجل له فضل كبير في تقدم بحث الضوء ولا يخلو كتاب يبحث في تاريخ علم الطبيعة من اسمه فهو في مقدمة الذين اضافوا اليه ويدعى الحسن بن الحسن ابن الهيثم ابو علي المهندس نزيل مصر. « وكان عالماً بهذا الشأن (اي بعلم الهندسة) متقناً له متفناً فيه قياً بغوامضه ومعانيه مشاركاً في علوم الاوائل أخذ الناس عنه واستفادوا منه (٢) » ويقول عنه ابن أبي أصيبعة « وكان فاضل النفس قوي الذكاء متقناً في العلوم لم يماثله احد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف وافر التزهد (٣) . وقد ازدهر هذا البحث في عصر التمدن الاسلامي ازدهاراً جعل الاستاذ محمداً نظيفاً في مقدمة كتابه النفيس «البصريات» (٤) يقول : « والذي جعلني ابدأ بعلم

* فصل من كتاب « الطبيعة عند العرب » يعني بوضعه الآن كاتب هذا المقال النفيس (١) سيديو خلاصة تاريخ العرب ص ٢٢١ (٢) ابن القفطي اخبار العلماء ص ١١٤ (٣) ابن أبي أصيبعة طبقات الاطباء ج ٢ ص ٩٠ (٤) « البصريات » هو عنوان الكتاب قم يبحث في علم الضوء وضعه محمد نظيف الاستاذ بمدرسة المعلمين العليا العلمية ويقع في أكثر من ٧٠٠ صفحة ، لا يقل مادة وترتيباً وتبويباً عن أحسن الكتب الاوربية التي تتناول هذا الموضوع وهو الكتاب الوحيد في اللغة العربية الذي يجد فيه الباحث كتاباً يرتفع فوق مستوى المبادئ الاولى التي يدرسها طلبة مدارسنا الثانوية في الوقت الحاضر في علم كانت اللغة العربية لفته حتى عصر النهضة في اوروبا

الضوء دون فروع علم الطبيعة الأخرى أن علماً ازدهر في عصر التمدن الإسلامي وكان من أعظم مؤسسيه شأنًا ورفعة وأراء، الحسن بن الهيثم، الذي كانت مؤلفاته ومباحثه المرجع المعتمد عند أهل أوروبا حتى القرن السادس عشر « وفوق ذلك تقول دائرة المعارف البريطانية « أن ابن الهيثم كان أول مكتشف ظهر بعد بطليموس في علم البصريّات » ويقول كتاب تراث الإسلام « أن علم المناظر وصل إلى أعلى درجة من التقدم بفضل ابن الهيثم » واعترف العالم الفرنسي لويتر فياردو « بأن العلامة كبلر أخذ معلوماته في الضوء ولا سيما فيما يتعلق بانكسار الضوء في الجو بعد اطلاعه على ما ألفه ابن الهيثم وهو شهير بما ألفه من الكتب في علم الضوء وما كتبه في الشفق » وكذلك اعترف سارطون بنبوغ ابن الهيثم وفضله فقال « ابن الهيثم أعظم عالم مسلم في علم الطبيعة وأعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ومن علماء البصريّات القليلين المشهورين في العالم كله ^(١) » ، له كتاب في الضوء اسمه (المناظر) وهو من أهم الكتب التي ظهرت في القرون الوسطى ومن أكثر الكتب استيفاءً لبحوث الضوء . وقبل أن نذكر بعض محتوياته يجدر بنا أن نعرف معنى (المناظر) عند علماء العرب الأقدمين . قال الانصاري : « علم المناظر علم يعرف منه أحوال المبصرات في كميتها وكيفيتها باعتبار قربها وبعدها عن المناظر واختلاف أشكالها وأوضاعها وما يتوسط بين الناظر والمبصرات وعمل ذلك ، ومنفعته معرفة ما يغلط فيه البصر من أحوال المبصرات ويستعان به على مساحة الأجرام البعيدة والمرايا المحرقة أيضاً . . . » ^(٢) وقال الصفيدي وعلم المناظر « علم ظريف للغاية ولابن الهيثم فيه كتاب جليل رأيت في سبع مجلدات ولشهاب الدين القرافي كرايس أودعها خمسين مسألة من المناظر سماها الاستبصار فيما تدركه الأبصار . . . » ومن كتاب علم المناظر تبين أن ابن الهيثم هو الذي أضاف القسم الثاني من قانون الانعكاس القائل بأن زاويتي السقوط والانعكاس واقعتان في مستوى واحد . أما القسم الأول من هذا القانون (وقد وضعه اليونان فهو زاويتي السقوط والانعكاس متساويتان — وقد أدخل في كتابه هذا بعض المسائل المهمة عرف بعضها باسم « مسائل ابن الهيثم » فمثلاً إذا علم موضع نقطة مضيئة ووضع العين ، فكيف تجد على المرايا الكرية والاسطوانية والمخروطية النقطة التي تتجمع فيها الأشعة بعد انعكاسها . واشتهرت هذه المسألة كثيراً في أوروبا نظراً إلى الصعوبات الهندسية التي تنشأ عنها إذ ينشأ عن حلها معادلة من الدرجة الرابعة استطاع أن يحلها (ابن الهيثم) باستعمال القطع الزائد . وصنع مرآة مكونة من بعض حلقات كرية ولكل منها نصف قطر معلوم ومركز معلوم اختارها بحيث أن جميع الحلقات تعكس الأشعة الساقطة عليها في نقطة واحدة . وقاس كلاً من زاويتي السقوط والانكسار وبين أن بطليموس كان مخطئاً في نظريته القائلة بأن النسبة بين زاوية السقوط وزاوية الانكسار ثابتة وقال بأن هذه النسبة لا تكون

(١) سارطون مقدمة لتاريخ العلم ج ١ ص ٦٩٨ — ٧٢١ (٢) شمس الدين الانصاري ارشاد القاصد ١٠٧ و ١٠٩

ثابتة بل تتغير ^(١) ولكنه مع ذلك لم يتوفق الى ايجاد القانون الحقيقي للانكسار ^(٢) واستعمل لقياس زوايا الانكسار آلة تشبه الآلة المستعملة الآن في اصول تركيبها . وله جداول ادق من جداول بطليموس في معاملات الانكسار لبعض المواد ^(٣) . وقد شرح ابن الهيثم في كتبه بعض الظواهر الجوية التي تنشأ عن الانكسار فكان اسبق العلماء الى ذلك ، ومن هذه الظواهر التي ذكرها وشرحها الانكسار الفلكي اي ان الضوء الذي يصل اليها من الاجرام السماوية يعاني انكساراً باختراقه الطبقة الهوائية المحيطة بالارض ومن ذلك ينتج انحراف في الاشعة ولا يخفى ما لهذا من شأن في الرصد . فمثلاً يظهر النجم على الافق قبل ان يكون قد بلغه فعلاً وكذلك نرى الشمس او القمر على الافق عند الشروق والغروب وهما في الحقيقة يكونان تحته . ومن نتائج الانكسار ان قرص الشمس او قرص القمر لا يظهر بالقرب من الافق مستديراً بل بيضوياً . هذه الظواهر وغيرها استطاع ابن الهيثم تحليلها تعليلاً صحيحاً واستطاع ايضاً الوقوف على اسبابها الحقيقية . ومن الحوادث الجوية التي عاينها الهالة التي ترى حول الشمس (او القمر) وقال بأن ذلك ينتج عن الانكسار حينما يكون في الهواء بلورات صغيرة من الثلج او الجليد فالنور الذي يمر فيها ينكسر وينحرف مع زاوية معلومة وحينئذ يصل النور الى عين الراي كأنه صادر من نقط حول القمر او الشمس فتظهر الاشعة في دائرة حول الجرمين المذكورين او حول احدهما ^(٤) . وهو من الذين لم يأخذوا برأي اقليدس واتباع بطليموس القائل بأن شعاع النور يخرج من العين الى الجسم المرئي بل أخذ برأي ديموقريطس وارسطوطاليس القائل بأن شعاع النور يأتي من الجسم المرئي الى العين ^(٥) وقد قال أيضاً بالرأي الاخير بعض علماء العرب المشهورين كابن سينا والبيروني ^(٦) . وبحث في كتابه ايضاً في قوى تكبير العدسات . وقد تكون كتاباته هذه هي التي اوجت اختراع النظارات . وكتب في الزيج الكرى وفي تحليل الشفق وقال انه يظهر ويختفي عند ما تهبط الشمس ١٩ درجة تحت الافق وان بعض اشعة النور الصادرة من الشمس تنعكس عما في الهواء من ذرات عاتمة وترتد اليها فترى بها ما انعكست عنه ، ويبين ان الزيادة الظاهرة في قطري الشمس والقمر حينما يكونان قريبين من الافق وهمية ^(٨) وقد علل هذا الوهم تعليلاً علمياً صحيحاً لم يسبق اليه ^(٧) فبيناه على ان الانسان يحكم على كبر الجسم او صغره بشيئين الاول الزاوية التي يبصر منها Angle of vision او زاوية الرؤية والثاني قرب الجسم او بعده من العين . والغريب ان البعض ينسب هذا التعليل الى بطليموس ولم يدر ان بطليموس قال ان الزيادة حقيقية اي انها غير وهمية وهو مناقض لقول ابن الهيثم

(١) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — ج ١ ص ٧٢١ (٢) كاجوري — تاريخ علم الفيزياء — ص ٢٢
 (٣) دائرة المعارف البريطانية مادة Light (٤) قد يطول بنا المطال اذا اردنا ان نبين في تحليل العرب لحوادث جوية اخرى كقوس قزح . وقد ارجأت ذلك لكتاب أعني الآن بتأليفه يبحث في مآثر العرب في علم الطبيعة
 (٥) كاجوري تاريخ علم الفيزياء ص ٢٢ (٦) كتاب تراث الاسلام Legacy of Islam ص ٣٣٥
 (٧) كاجوري تاريخ علم الفيزياء — ص ٢٣ (٨) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — ج ١ ص ٧٢١

وابن الهيثم أول من كتب عن أقسام العين وأول من رسمها بوضوح تام وقد اعتمد في بحوثه هذه على كتب التشريح التي كانت في زمانه ووضع أسماء لبعض أقسام العين وأخذها عنه الأفرنج وترجموها إلى لغاتهم^(١) فمن الأسماء التي وضعها « الشبكية Retina » و« القرنية Cornea » و« السائل الزجاجي Vitreous Humour » و« السائل المائي Aqueous Humour » وتقول دائرة المعارف البريطانية أن ابن الهيثم كتب في تشريح العين وفي وظيفة كل قسم منها وأنه بيّن كيف ينظر إلى الأشياء بالعينين في آن واحد وأن الأشعة من النور تسير من الجسم المرئي إلى العينين ومن ذلك تقع صورتان على الشبكية في محلين متماثلين بينما اليونان قالوا بأن الأشعة تخرج من العينين إلى الجسم المرئي . وفوق ذلك هو أول من بيّن بأن الصور التي تنشأ من وقوع صورة المرئي على شبكية العين تتكوّن بنفس الطريقة التي تتكوّن بها صورة جسم مرئي تمر أشعته الضوئية من ثقب في محل مظلم ثم تقع على سطح يقابل الثقب الذي دخل منه النور والسطح يقابله في العين الشبكية الشديدة الاحساس بالضوء فإذا ما وقع الضوء حدث تأثير انتقل إلى المخ ومن ذلك تتكوّن صورة الجسم المرئي في الدماغ . وله أيضاً معرفة بخصائص العدسات اللاّمة والمفرّقة والمرآيا في تكوين الصور^(٢)

وبحث العرب في ظاهرة قوس قزح . نجد ذلك في تأليف قطب الدين الشيرازي الفلكية^(٣) وقد شرحها في كتابه نهاية الإدراك شرحاً وافياً هو الأول من نوعه . وكتب ابن الهيثم في المرآيا المحرقة وله في ذلك كتاب كما لغيره من علماء المسلمين في القرون الوسطى . وعرف العرب هذا العلم بما يأتي : « هو علم يتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعتها وكيفية عمل المرآيا المحرقة بالانعكاس أشعة الشمس عنها ونصبها ومحاذاتها ، ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقللاع .. » وكانت أبحاث ابن الهيثم في هذا العلم جليّة دقيقة دلّت على إحاطته الكلية بمبدأ تجمع الأشعة التي تسقط على السطح موازية للمحور بعد انعكاسها عنه وكذلك بمبدأ تكبير الصور وانقلابها وتكوين الحلقات والألوان^(٤) وقد فاقت كتاباته في هذه البحوث كتابات اليونان^(٥) . ولم يقف العرب في البحث عند هذا الحد بل تعدوه إلى البحث في سرعة النور فقال البيروني أن سرعة النور إذا قيست بسرعة الصوت كانت عظيمة جداً وقال ابن سينا أن سرعة النور يجب أن تكون محدودة وبيّن الأسباب لذلك — وجاء في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني في سبب رؤية البرق قبل سماع الرعد ما نصّه : « وأعلم أن الرعد والبرق يحدثان معاً لكن يُرى البرق قبل أن يسمع الرعد لأن الرؤية تحصل بمראה البصر وأما السمع فيتوقف على وصول الصوت إلى الصماخ وذلك يتوقف على تموّج الهواء ، وذهاب النظر (أي سير النور) أسرع من وصول الصوت .. »

نابلس — فلسطين

(١) و (٢) كاجوري — تاريخ علم الفيزياء — ص ٢٣ (٣) سارطون — مقدمة تاريخ العالم ج ٢ ص ٢٣ (٤) و (٥) كتاب تراث الإسلام ص ٣٣٥

مصطلحات علم النفس

ومشكلة ترجمتها الى العربية


لمحمد مظهر سعيد

ذكرنا في مقال سابق اهم المصطلحات الانجليزية المتداولة في موضوع الشعور والاحساس والادراك بمراتبه المختلفة واستعرضنا نماذج مختلفة للترجمات العربية اقتبسناها من اهم المؤلفات التي تعتبر الى الآن حجة في علم النفس عند طوائف مختلفة من الناس ليعلم القارئ مبلغ الصعوبات التي يعانها المؤلفون والمترجمون في تحديد معاني هذه المصطلحات ومقدار تضاربهم في ترجمة اللفظ الواحد ووعدنا ان نستكمل البحث بذكر مصطلحات اهم موضوعات علم النفس التي تتناولها المؤلفات العربية وسنتناول في هذا المقال موضوعات الذاكرة والتصور والخيال

﴿الذاكرة Memory﴾ تطلق اللفظة الانكليزية الآن في عرف العلماء المحدثين على عملية التحصيل (او ادخال ما يراد حفظه الى الذهن) وقوة الحفظ او الوعي الطبيعية وعملية التذكر او ارجاع المعلومات السابقة المحفوظة في الذاكرة الى مستوى الشعور مرة اخرى بعد ان كانت تطلق قديماً على قوة الحفظ او عملية التذكر. وقد ترجمها كل المؤلفين باللغة الصحيحة الذاكرة (او ملكة الذاكرة) ما عدا امين بك واصف فقد ترجمها حافظه (راجع مادة Memory في القاموس الملحق بالجزء الاول من كتابه اصول الفلسفة) اما الدكتور شرف فقد وضع لها في قاموسه المعروف كل ما يمكن وضعه من المترادفات بدون تمييز او تفضيل (الذاكرة المفكرة . ذهن . أذكاء . القوة الحافظة . الحفظ . الواعية) اما العملية الاولى Memorizing و Committing to Memory — تحصيل . فقد ترجمها الشيخ

شريف هكذا (صفحة ٧٠) وعبد الرازق استذكر (ص ٢٨) والابراشي استظهار او تعلم (ص ٢٢٠ ج ٢) والعملية الثانية — Remembering, Recall, Recollection, Reproduction — التذكر ترجمها شريف (ص ٣) استحضاراً بعد الانعدام (مع انها لم تكن معدومة) وفي موضع آخر (ص ٢٤) المدارس — تأخذ قوتك الذاكرة في ان تحضر لك ما القاه عليك استاذك وما ترتبط به مما اودعته في ذهنك يوماً من الايام وفي موضع ثالث (ص ١١٦) تذكر وذكرة — الذاكرة هي قوة الاستحضار — والجارم (ص ٥٦) ترجمها بالذكر (ولكنه قصره على اعادة ما ادرك بالحواس الى دائرة الشعور في حين انه يشمل الافكار القديمة التي خطرت للانسان في وقت ما ولم يكن قد ادركها بحواسه) . وعبد الرازق (ص ٢٨) وكذلك الابراشي (ص ٢٣٣ ج ٢) استحضار او تذكر . اما شرف فقد ترجم Reproduction بالانتاج . او النقدمة الثانية (والثانية هي ترجمة

(representation) اما قوة الحفظ او الوعي الطبيعية Retentivity الواعية فقد ترجمها شريف (ص ١١٦) بالحفاظة (وهي قوة ابقاء المعلومات في الذهن) . أما عمل الواعية Retention فقد ترجمه قنديل (ص ٣ ج ٢) الوعي او حفظ الآثار في النفس والابراشي عن قنديل (ص ٢٢٦ ج ٢) الوعي او الحفظ وغيرها الحفظ . وفي رأينا ان ترجمة قنديل الواعية والوعي ادق من الحفاظة والحفظ لولا انها تختلط بما جرى عليه بعض المترجمين من ترجمة الشعور Consciousness بالوعي

اما الفوارق العلمية الدقيقة بين Recall, Recollection, Reproduction فلم يتعرض لها احد وهناك ظاهرة اخرى تعتبر نوعاً او مرتبة اولية منسحطة من مراتب التذكر . وهي المعروفة بكلمة Recognition — التعرف اي مجرد شعور الانسان بأن شيئاً يمر عليه الآن قد مر عليه من قبل من غير ان يذكر ظروفه الزمانية والمكانية على التحقيق — وقد ترجمها شرف وحده — بالمعرفة والعرافان والاقرار  التصور Imagery التصور هو عملية عقلية وظيفتها مجرد استحضار صورة في الذهن لشيء او موقف او تجربة مرت على الانسان من قبل . وليس التصور تذكراً بحتاً لان العقل يستحضر الصورة وحدها منغلة عن سائر ظروفها الزمانية والمكانية كأنه لم يكن هناك شيء غيرها في مجال الشعور عندما ادركها الانسان بحواسه والتذكر البحت يكون لشيء مرتبط بغيره من الاشياء في ظروف زمانية ومكانية خاصة وليس التصور كذلك خيالاً او تخيلاً لان التخيل يكون لشيء جديد على العقل لم يدركه او يجربه من قبل وقد خلط كثيرون من علماء النفس الافرنج بين هذه العمليات العقلية الثلاث ومنهم اعلام كبار مثل James, Baldwin, Sully . وانت تجد هذا الخلط بعينه في ترجمة الذين اخذوا عنهم . ومما يزيد المسألة تعقيداً في العربية ان كلمة تصور تفيد في المنطق منذ ان وضع فهم الحقائق وبخاصة المدركات الكلية او المعنوية ولذلك وضعها واصف بك ترجمة لكلمتي concept و apprehension

اما الخيال فهو كما قدمنا عملية احداث تراكيب جديدة من عناصر التجارب الماضية المألوفة بعد التغيير في نظامها وترتيبها وعلاقاتها وتعديلها تعديلاً قليلاً يجعلها قريبة الشبه بالقديمه او كبيراً يجعلها كأنها مبتكرة . واللفظة الانكليزية imagination تطلق على القدرة العقلية او الوظيفة وعلى العملية ذاتها وقد ترجموا المعنى الاول خيالاً او مخيلة (جرياً وراء مذهب الملكات العقلية) واعطى لها شرف كل هذه المترادفات (التظنن . الخيال . الواهمة . المتخيلة . المخالة . الخيلولة) وترجموا المعنى الثاني تخيلاً وقال شرف (تخييل . خيال . ظن) ولكنهم على الرغم من ترجمة اللفظة الانكليزية ترجمة عربية صحيحة فقد خلطوا في شرح معنى الوظيفة والعملية بين الخيال والتذكر من جهة والخيال والتصور من جهة اخرى . فيقول قنديل (ص ٧٤) التخيل بمعناه الواسع هو شعور المرء بأشياء غير حاضرة . فهو استعادة المرء في ذهنه ما حصل عليه بالحس من قبل (وهذا تذكر لا تخيل) . وقال الشيخ شريف (ص ٨٠) اذا كان الحفظ متعلقاً بأشياء لها صور مُحَسَّسٌ سمي تخيلاً (وهذا ايضاً التذكر بعينه) وفي (ص ١٣٣) الخيال هو مستودع المحفوظات التي وصلت الى الادراك عن طريق الحس او الوجدان

(وهذه هي الواعية) فهو حافظة مصورة (كذا) والتخيل هو استحضارها . واقربهم الى المعنى العامي الصحيح هو الجارم عند ما يقول (ص ١٧٣) التخيل ان يرسم العقل صوراً مستعينة في رسمها بأحاساس او وجدان سابق من غير ان تساعده الحواس أثناء التصوير وعلى الرغم من ان الاستاذ قنديل يعرف التصوير تعريفاً واضحاً بقوله (ص ٧٤) هو استعادة ما تركته الاحساسات والمدرجات الحسية السابقة في الجهاز العصبي فهو يقول في (ص ٧٥) التخيل هو مجرد تكوين الصورة العقلية (أي انه تصور صرف) وللتخيل أنواع أربعة رئيسية . أولها الاستحضاري Reproductive ويطلق على استرجاع الحوادث او المواقف الماضية وانما بصورة تخالف الصورة الاصلية التي حدث بها وان اتفق معها في الجوهر (والا كان تذكراً صرفاً) كمن يروي بالقول منظراً رآه بالنظر او يكتب حديثاً سمعه . وقد فات الكثيرين هذا المعنى الدقيق فاعتبروه تذكراً صرفاً او تصوراً صرفاً فقنديل يقول (ص ٧٩) التخيل بأوسع معانيه نوعان تصور او تمثيل استحضاري . تكون فيه الصورة العقلية مطابقة للمدرك الحسي فتتصور بالعقل ما ادركته فعلاً بالحواس من قبل وتستحضره في نفسك من غير قصد التغيير فيه والتبديل وفي (ص ٨٠) فكأن المرء في هذا النوع من التخيل يذكر أموراً حدثت له من قبل بالحواس ولذلك يطلق عليه التصور او التخيل الاستحضاري

ويقول الشيخ شريف (ص ٨١) التذكر المتوجه لصورة يسمى تخيلاً حضورياً ويمثل لهذا اللجنة والنار (ولا تفهم كيف ينطبق هذا المثال على أي معنى يذهب اليه) ويقول الجارم (ص ١٤٤) ما دامت المحسات في الذهن على الوجه الذي ادركته عليه كان التخيل حضورياً . ويقول حامد عبد القادر (ص ٢٥٠ ج ٢) التذكر هو التخيل الاستحضاري او التكراري

والنوع الثاني وهو الخيال المترجم Interpretive يستحضر الانسان فيه صورة لشيء او موقف لم يره هو من قبل ولكنه يسترشد بوصف يقرؤه عنه او حديث يسمعه ويتقيد بما يلقي اليه ويكون الصورة قياساً على ما يماثل من تجاربه الماضية عناصر الموقف الجديد

والثالث وهو الابتكاري Creative او originitive وقد ترجمه قنديل (ص ٧٩) بالابتكاري والشيخ شريف الاختراعي او الحصولي وترجمه غيرها الانشائي والتألفي والخلقي وهو خاص بابتكار تراكييب جديدة صرفة . ويطلق على النوعين السابقين الخيالي التركيبي Constrouctive لان الخيال فيه يكون مطابقاً للواقع او ما يمكن ان يطابق الواقع او نتائج مباشرة للواقع او يمكن ان يوصل اليها الواقع فالتفكير فيه منطقي معقول وهناك نوع رابع يكون الخيال فيه غير منتظم ولا منسجم ولا متسلسل . لا ترتبط عناصره ولا تتألف ولذلك يكون مخالفاً للمنطق والمعقول من مثل ما يحدث للانسان أثناء الهلوسات او السرحان او أحلام العبث ويسمى Fancy Imagination ولم نجد له ترجمة ولذلك نرتاح الى ترجمته بالخيال المفكك

وبعض المترجمين ادخلوا الهلوسات العصبية Hallucination من ضمن أنواع الخيال فسموها تخيلات

كيف تطور الانسان

للمرأه طمس

ترجمة : بشير الياس اللوسي

ترمي جميع ابحاث دارون الى نتيجة واحدة هي ان الانسان وبقيه الكائنات الحية ترجع الى اصل واحد هي - الخلية الحية - واستطاع ان يبرهن بقدر ما سمحت له الاستنتاجات العلمية على انتساب الكائن البشري الى اصل شبيه بالقرود او «الانثروبود» Anthropoid . فالانسان ينتمي الى رتبة الرئيسيات Order Primates من قبيل الحيوانات الثديية او اللبونة لانه يشترك معها في تركيب جسمه العام والاعضاء الاثرية في بدنه وكيفية نشوئه الجنيني ومقاسمته اياها بعض الامراض والطفيليات واخيراً لما بينه وبين القرود العليا من تماثل في تركيب الدم

استنتاجات دارون * يقول دارون في نهاية كتابه : أصل الانسان Descent of Man «يخيّل لي اننا بحاجة الى العلم بأن الانسان الذي يسمو على بقية الاحياء بمزاياه الرفيعة وعواطفه السامية واحسانه لابناء جنسه ولكل نفس حي ، ذلك الذي وهبته الطبيعة عقلاً راجحاً اخترق الحجب الكونية وأماط اللثام عن حركات النظام الشمسي ونشوئه ، لا يزال يحتفظ في بدنه بطابع أصله الوضع الذي لا يمحي أثره»

بيد ان هذه الاستنتاجات تدعو الى السؤال والاستغراب . فكيف يصح ان يكون الانسان ابن عم بعيد لاحد القرود ؟ وما الذي يدل على قرابته الشديدة برجل الغابة Bushman ؟ ^(١) وكيف نشأ الكائنات الحية وتتطور من خلية مجهرية واحدة هي بداية الجنين ؟ ليس مما يضير سمعة شكسبير ان يكون في نعومة اظفاره بليداً ولا مما يحط منزلة نيوتن ان يكون في شبابه بائساً . وهكذا ليس مما يشين الانسان ان يكون منتسباً الى أصل وضع !

واذا كان من نقد يوجه الى مذهب دارون فذلك النقد صادر عن اساءة فهم للنظرية الداروينية وعدم تراث النقد لفهم الحقيقة . فما من عالم تطوري يقول بنشوء الانسان من القرود الوحشية

(١) تدل بقايا رجل الغابة على انه كان من القرود العليا الكثيرة الشبه بالانسان

Simians المعروفة في الوقت الحاضر والرأي العلمي السائد الآن هو ان الانسان سليل جد مشترك بينه وبين القروود العليا Higher Apes وقد تفرعت العائلة البشرية Humanoid من الاصل الانثروبودي منذ اكثر من مليون سنة

﴿ ثورة فلسفية ﴾ عند ما نتكلم عن أصل الانسان يجيبنا محدثنا بابتسامة تتم على شيء من السخرية ذلك لانه اذ يرى الانسان في منزلته الرفيعة بين سائر الكائنات لا يروق له ان يجابه بفكرة تقلل من تلك الرفعة او تحط من تلك الكرامة في نظره . وكأننا به يقول : أليس من السخافة بمكان ان اعتقد بنشوء الانسان من نسل القروود ، ذلك الذي تغلغل بعقله الثاقب الى عوالم النجوم وبحث في تاريخه ووضع النظريات الفلسفية عن علاقته بالحياة وذلل الطبيعة وجعلها طوع بئانه ؟ فالانسان كما يعتقد مثل هذا الشخص ، بعيد عن الحيوانات اللبونة بعداً يصعب معه التسليم باشتراكه معها في النشوء والارتقاء . على اننا اذا لم نسلم بنشوء الانسان من ارومة الرئيسيات فالحيار الوحيد ان نفتكر بأنه نشأ — باعتبار نفسه العليا على الاقل — بطريقة تعجز الاساليب العلمية عن تحليلها . ولكن التخلي عن الاساليب العلمية والاستعانة على تفسير الحوادث الطبيعية بالطرق اللاهوتية يعد هرباً من البحث وتنصلاً من واجب الانسان في البحث والتحليل العلميين . واذا كانت ثمة مشكلات قد استعصى حلها لحد الوقت الحاضر فذلك لان الوسائل العلمية ما زالت قاصرة ومحدودة ومن الواجب علينا ان نحصر على البحث العلمي ونتجنب خلط المسائل العلمية بالاعتبارات اللاهوتية ﴿ القروود العليا والانسان الشبيه بالقروود ﴾ تفرعت القروود الانثروبودية العليا Anthropoid Apes من ارومة قروود العالم القديم في العصر القليل الحداثة Oligocene وربما في مصر وذهبت القروود الانثروبودية الاولى تجوب اقاصي افريقيا واوربا وآسيا كما فعلت اسلافها القروود القديمة . ومنذ نصف ومليون سنة وفي اواسط العصر المتوسط الحداثة Miocene Period — وربما في شمالي الهند — انتقلت العائلة البشرية من القروود الانثروبودية الجبارة التي ارتقت تدريجياً الى الانسان الوحشي (الاورانغ) Orang والبعام والغورللي المعروفة في الوقت الحاضر . ولكن العائلة البشرية تقدمت في الحياة زمناً طويلاً قبل ان نشأ الانسان ولدينا من الادلة ما يؤكد تعاقب « الانسان الوحشي المجرب » Tentative Man الذي وجدت له آثار مؤلفة من قطع صغيرة هي كل ما عرفناه عن شكله الغامض . وأوطأ أنواع ذلك الانسان الشبيه بالقروود هو الذي سمي بـ Hesperopithecus — وقد سكن العالم الغربي — لم يخلف لنا الاً سنّاً واحداً من اوائل العصر الكثير الحداثة Pliocene في نبراسكا . فليس من الدقة العلمية في شيء ان نتخلص الى استنتاج عام من سن واحد . ولكن اذا كان انسان نبراسكا حقيقياً وجب ان نبحت عن كيفية وصوله الى هناك فهذا ما نمجهله كل الجهل

﴿ الانسان المجرب Tentative Man ﴾ نقرأ في كتاب « قديم الانسان Antiquity of Man » لمؤلفه السر آرثر كيث حكايات طريفة عن بعض انواع الانسان المجرب الشبيه بالقروود وأهمها

البشيكانثروبس المعتدل Pithicanthropus the Erect المكتشفة آثاره في جاوة Java والايوانثروبس Eoanthropus صاحب جمجمة « بيلتدون Piltodwn »

ويجب ان نضيف اليهما السكتر الذي عثر عليه « البروفسور رايخوند دارت » في « تونغز Taungs » — التي تبعد نحو ٨٠ ميلاً شمالي كبرلي في بيجوانالاند — وكانت الآثار التي عثر عليها محفوظة بين متحجرات اخرى في صخرة كلسية على نحو ٥٠ قدماً تحت سطح الارض . وتتألف هذه الآثار من عظام الوجه وبقايا جمجمة اكتشفت فيها الاوصاف التالية بعد الدرس الدقيق : جبهة مرتفعة ، عدم وجود أخايد ناتئة في حجاجي العين ، القسم الاسفل من الوجه يحاكي الشكل البشري ، الاسنان التي يظن انها من النوع الحلبي تشبه الاسنان البشرية شهاً واضحاً . ويرجح ان هذا المخلوق الذي سمي فيما بعد Australopithecus Africanus كان مرتفع الرأس لا يرخيه كثيراً كما تفعل القروود الحالية . وهناك ما يدل على وجود دماغ كبير نسبياً وقد ظهر نقص في هذه الناحية عندما قوبل بدماغ غورلى . وربما يعزى هذا النقص الى ان هذا الكائن البشري الذي حفظته لنا الصخور صدفة لم يكن انساناً بالغا

يستنتج من ذلك ان جمجمة « تونغز » تتوسط بين جمجمتي « الانثروبويد » و « الهومينيد Hominid » ولا يستبعد انها تنسب الى سلف واحد يرجع هؤلاء الاثنان اليه . ولهذه الجمجمة ميزات بشرية اكثر مما للجمجمة اي انثروبود آخر

ويظن ان « الهومينيد » تفرّع الى خطوط جانبية نشأ من احدها نوع الانسان الحديث . ويجب ان لا يعزب عن بالنا ان الانسانين المجريين (البشيكانثروبس والايوانثروبس) هما على جانب عظيم من الشأن في تعيين خطوات التطور ولو انهما يقعان بعيداً عن خط التقدم الرئيسي . ان اكتشاف آثار بشرية عديدة في مدة قصيرة نسبة يقوي الامل باكتشاف آثار اخرى في المستقبل

الانسان اخيراً * ان اقدم نوع species عرف عن جنس الانسان genus Homo هو انسان هيدلبرغ Heidelberg man ثم عقب « انسان روديسيا Rhodesian man » وبعده بزمان طويل « انسان نياندرتال Neanderthal man » . على ان الانسان الحالي لا ينتسب مباشرة الى اي واحد من هؤلاء وما هم في الواقع سوى فروع جانبية نشأت من اصل واحد ويطلق على مجموع هذه الانواع « جنس الانسان Homo » الذي ينتسب اليه « نوع الانسان العاقل species Homo Sapiens » وبالرغم عن اشتراك جميع هذه الانواع البشرية في معركة الحياة فانها لم تنل الظفر الذي حازه نوع الانسان العاقل فجعل منه سيداً على بقية الكائنات . وتشعبت من نوع الانسان العاقل جميع السلالات التي نعرفها الآن وهي السلالات الاسترالية والزنجية والمغولية والالبية وسلالة البحر الابيض المتوسط والشمالي وقد استمر اختزال السحنة السوداء التي تشترك فيها الطائفة البشرية Human family مع الغورلى

والبعام من السلالات الشمالية اكثر من غيره وبذلك اصبحت هذه السلالة تتميز عن بقية السلالات ببياض سحنتها مع العلم بانها لا تخلو من سمات حياتها الابتدائية

قد لا يدرك الفلاسفة اللاهوتيون الذين ينظرون الى جهود الانتروبولوجيين نظرة هزء وسخرية سمو عملية التطور العظيمة التي انشطر فيها جذع الرئيسيات Primates الى جملة فروع بالتتابع وهي :

- (١) فرع قرود العالم الجديد
- (٢) فرع قرود العالم القديم
- (٣) فرع القروود العليا الصغيرة (الغبون Gibbons)
- (٤) فرع القروود الانثروبودية العليا
- (٥) فرع الهومينيد

ان القروود الدنيا المعروفة في الوقت الحاضر لم ترتق الى درجة القروود العليا apes ولكن جميعها ترجع الى اصل واحد كان قد انشطر في القديم الى خطين كبيرين (١) خط القروود الدنيا و (ب) خط القروود العليا . وكذلك لم تصل القروود العليا المعروفة في الوقت الحاضر الى درجة الانسان بل كان هناك جذع انثروبودي عام انشطر الى (١) القروود العليا الحديثة غير المتقدمة نسبة و (ب) الهومينيد المتقدمة نسبة . وقد رأينا ان اجناساً عديدة من الهومينيد نشأت قبل الانسان القديم «Homo» ولكنها لسوء الحظ لم تترك بقايا كافية لتنويرنا عن اشكالها واوصافها الحقيقية الا ما دل منها على الانسان المجرب

ولكن لم تستمر عملية الانتقاء بعد نشوء جنس الانسان homo ؟ اذ يظن ان انسان نياندرتال Neanderthal الذي كان انساناً حقيقياً يحسن استعمال النار ويدفن موتاه هو محاذٍ وليس بمجد لنا . ان البحث لا يزال في طفولته والادلة ما زالت ناقصة ولعل الاستنتاج الوحيد الذي نستطيع ان نحصل اليه هو ان اجناساً بشرية متوحشة عاشت قبل نشوء الانسان الحالي بزمان طويل وكانت تلك الاجناس تفني حياتها في التجربة والاختبار وتعمل فيها الطبيعة انتقاءً وعلى اثر ذلك تفرعت الشجرة النسبية الى اغصان كبيرة وهذه الى اغصان اصغر فاصغر وهلم . ان جميع الذين يدركون حقيقة التطور يستنكرون التعبير الخاطئ بان الانسان وليد القروود

﴿ الحلقة المنقودة ﴾ لا نستطيع التصور ان الانسان الحالي نشأ فجأة في طائفة غير بشرية ولكن الذي يتفق ومعرفتنا الحاضرة هو ان نفترض ان نشوء الصفات الانسانية العليا كالعقل واللغة كان فجائياً ويبدولنا في كثير من الحالات ان التطور كان بشكل وثبات كبيرة يحصل منها تقدم عظيم في خطوة واحدة

وطالما نعرف الآن بان النبوغ ذو مظهر فجائي كذلك يجوز علمياً ان نفرض ان التحولات
الفجائية Mutations حصلت خلال ارتقاء الانسان في سلم التطور. على اننا في الواقع لا نفهم العوامل
المؤدية الى حدوث مثل هذه التحولات الفجائية بل نعلم بمحدوثها وبما تنطوي عليه من قوة تخلدها
للاجيال المقبلة

ولا بد لنا من الاعتراف بان الحلقة المفقودة لا تزال مفقودة وبكلام آخر اننا لم نتوصل حتى
الآن الى معرفة نوع منقرض يصح اعتباره جداً مشتركاً للطائفة البشرية Hominid والقروود
الانثروبودية العليا. هذا من جهة، ومن جهة اخرى توجد كما رأينا كائنات منقرضة كالبيكنانثروبوس
التي يجب اعتبارها «هومينيدية» بالرغم من انها ليست من نوع الانسان الحديث. اذن فمن الخطأ
ان يذهب البعض مع الذين لم يدركوا معنى التطور العضوي الى «ان القرد تحول الى انسان»

نشأ من الاساس العام لفرع القروود الانثروبودية العليا فرع آخر هو «الهيومانويد» Humanoid
وهي طائفة بشرية قديمة وتشعب من هذا الفرع الاخير غصنان صغيران كان الانسان «Homo» احدهما
والانسان العاقل Homo sapiens ثانيهما. اذن لم يكن هناك انسان اول—كما يعتقد الكثيرون—
كما لم يكن هناك حنطة اولى او حصان اول. ويظن ان نشوء الانسان من الهيومانويد كان بفعل
التطور والارتقاء الطبيعي والى هذه العوامل نفسها يعزى تحول بعض انواع الانسان القديم الى
الانسان العاقل

﴿عوامل ارتقاء الانسان﴾ لعل أوجه الاعتراضات على نظرية ارتقاء الانسان الداروينية هو
انها اذ تدلنا على اصل الانسان البعيد تجمعنا في موقف مشوش لا ندري فيه كيف حصلت تلك التطورات
العظيمة. وبكلام آخر لا نعلم لحد الآن شيئاً كافياً عن العوامل التي كان لها النصيب الاكبر في نشوء
الانسان وتطوره المستمر حتى بلغ حالته الراهنة. وكل آرائنا في هذا الباب لا تتعدى القول بأن
الانسان الحالي ينتسب الى رتبة كانت تسير الى الامام من حيث تقدم الدماغ وتعدد الكلمات وازدياد
العلاقات الاجتماعية. وعند ما تفرع الهيومانويد من الانثروبويد في العصر المتوسط الحداثة حدثت
وجوه ارتقاء في الدماغ عظيمة ولكننا لانعلم لماذا لم يحصل تقدم كهذا في رتب اخرى من اللبونات كرتبة
نوات الاظلاف Ungulates وغيرها. ومهما يكن الحافز لذلك التقدم فالحقيقة واحدة وهي ان تقدم
الدماغ ميز الرئيسيات Primates عن سائر الحيوانات ومما لا ريب فيه ان الانسان غالب انسابه في
التقدم فغنى الحركة وغنى السيادة

قد يكون من الخطر بمكان ان نفترض أن اسلاف الانسان هجرت الاشجار بينما ظلت القروود
الدنيا والقروود العليا ملازمة لها وقد نعلم شأناً خطيراً على انتصاب الانسان وما عقبه من نمو قابلية

التكلم ، ولعلنا نجد مغزى جديراً بالاهتمام في طول المدة التي يقضيها الجنين البشري في رحم امه كما في طول مدة الطفولة التي من شأنها ان تقوي الحياة الاجتماعية وما يلازمها من عطف وحنو بين افراد البشر . ان جميع هذه العوامل تعمل في حقول صالحة فالعطف العائلي يوثق علاقات المجتمع ويسمو بها الى الحب والتعاون ، وارتقاء الدماغ يقوّي لغة الكلام ويزيد كفاءة الفرد والعناية الوالدية هي مبعث العطف والرفقة والنبيل والعامل في تخليدها في النسل . ان جميع المباحث الحائمة حول هذا الموضوع تؤول بنا الى الابتعاد عن تصور الانسان الابتدائي بحالة تنطوي على شيء كثير من القسوة والغباوة والدعارة وحب القتال وهناك من الادلة مايسوغ اعتبار ذلك الانسان القديم على جانب من المهارة والعطف والمجازفة والاقدام والابتكار

﴿ نظرية البروفسور إليوت سمث ﴾ للبروفسور إليوت سمث Prof. Elliot Smith احد علماء التشريح وزعماء فكرة التطور نظرية في نشوء الانسان يقول فيها « يمكننا ان نعتبر الانسان كنتيجة لارتقاء الدماغ في اتجاه خاص ترجع بدايته الى زمن السعادين المسماة Tree-shrews او Tarsioids فربما حدثت تحولات فجائية Mutations آلت الى نشوء الانسان Homo في العائلة البشرية القديمة الهيومانويد Humanoid او «الانسان العاقل» في ال Hominids . ولكن حصل وراء هذا النشوء ارتقاء عظيم في الناحية العقلية ظهرت دلائله في مقدرة الدماغ على التخيل من جهة وعلى تنظيم الاعمال البشرية المعقدة من جهة اخرى »

﴿ البصر يتغلب على الشم ﴾ نجد في تاريخ تطور الانسال الحيوانية امثلة عديدة يتجلى فيها التقدم المستمر في ناحية معينة وربما كان هو الواقع في نشوء الانسان . فقد تطور في خط من النمو يتميز بارتقائه في قوى التخيل والمهارة اليدوية واتساع حجم الدماغ في مقدمة الجبهة الذي يرجع اليه الفضل في قوة الانتباه وتنظيم الاعمال الفكرية يضاف الى ذلك نمو الحب العائلي وما يلازمه من تقدم في الكلام وما يتضمنه من استعمال الكلمات كمعدات في تجارب التفكير وسواء في الحياة الاجتماعية

وقد وضع البروفسور إليوت سمث رسماً تخطيطياً حريئاً بالذكر في هذا المقام يتضمن هذا الرسم مقابلة ادمغة بعض السعادين مثل Tree-shrews و Tarsi و Marmosets اظهر فيها التناقص التدريجي لمنطقة الشم والنمو التدريجي لمناطق البصر والسمع واللمس والذكاء والانتباه وما يصدق على « المرموست » وهو أقدم القروود الحية ، يصدق اكثر من ذلك على القروود العليا والانسان بوجه خاص . فالمقابلة بين اوطأ دماغ بشري معروف وأرقى دماغ لغورلى معروف يظهر البون شاسعاً بين الاثنين

الآثار الإسلامية القديمة

بغداد

المصطفى جواد

١ — ماذا بقي من مدينة أبي جعفر المنصور ؟

أصبحت بغداد مثلاً لتغير المدن وتحوّلها وتطوّرها ، فلقد تداولتها أيدي الطبيعة وأيدي البشر ، فعفّت على آثارها وطمست حضارتها وزخرفها ، وشوّهت محاسنها ، فهي تشكّل المدن وسجل المصائب ومدفن العسف والعبث ، ولذلك قلنا في رثاء الملك فيصل الاول :

نبست العرش في مهاوي عروش قد رماها الزمان رمياً وبيلاً
كانت تحرق أو تهدم قصورها ودورها وتغير عليها دجلة حيناً بعد حين فتجعل عامرها كغامرها
وأهلها كوحشها ، وتتكايف عليها الاحداث فتضع من مكانها وتبعد الناس عنها ، وكانت يد العسف والانتقام تسطو على العمارة والحضارة ، حتى ان ابن بسّام الشاعر لما نعى على أحد الوزراء ما نعى قال له :

بجنبك داران مهدومتان ودارك ثلاثة تهدم
فليت السلامة للمنصفين — تدوم فكيف لمن يظلم ؟

فعلمنا ان داري وزيرين قد هدمتا بجانب دار هذا الوزير ويخطر ببالي انه « ابن الجراح » واليوم لا ترى عمارة من مدينة المنصور المدوّرة ولا أثراً ، وآخر الحوادث الخاصة بالقبة الخضراء العظيمة التي بناها المنصور بجوار جامعها ان جدرانها وقعت في سنة « ٦٥٣ » هـ أي قبل سقوط الدولة العباسية بثلاث سنوات ، وكانت عالية ينظر الجالس منها من يخرج من الأنبار ^(١) ، وكان المنصور يجلس فيها منزهاً ، وما زال الخلفاء يجلسون فيها للفرجة الى أيام الرشيد ثم هجرت وصارت مأوى للبوم والغربان ، وكان بعض الفقراء مجاوراً في جامع المنصور ، فقال في القبة لما رأى ما آلت اليه حالها :
يا بومة القبة الخضراء قد أنست روعي بروحك اذ يستبشع البوم
زهدت في زخرف الدنيا فاسكنك — الرعب الخراب فن يذممك مذموم ^(٢)

(١) الأنبار ذات حوادث عظيمة في تاريخ الاسلام ، ولم يهتد أحد الى موضعها بعد . وجاء « في فوات الوفيات بترجمة السفاح » بنيت له الهاشمية الى جانب الأنبار وبها قبره وهي المعروفة الآن بالأنبار لان الاولى درست
٢٣٢ : ١ (٢) الحوادث الجامعة لعبد الرزاق بن الفوطي (ص ٩٤ من نسختنا الخطية)

وجهل الناس موضع مدينة المنصور فلم نجد إلاّ دليلاً واحداً يعين لنا موضعها وهو المسجد المعروف بمسجد « المنطقة » وترى صورته الحالية ذات الرقم « ١ » . قال صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق الحنبلي المتوفي سنة « ٧٣٩ هـ » سونايًا : بضم أوله وبعد الواو الساكنة نون وبعد الالف ياء مثناة من تحت وألف مقصورة ، قرية قديمة كانت ببغداد ينسب إليها العنب الأسود الذي يتقدم وي بكر على سائر العنب . . . ولما عمرت بغداد دخلت في العمارة وصارت محلة من محالها وهي « العتيقة » وبها مسجد لعلي بن أبي طالب يعرف بمشهد المنطقة ^(١)

فهذا هو الموضع الوحيد المحافظ على اسمه من مدينة المنصور المدوّرة . وحوادثه مفصلة في تاريخ الخطيب ومناقب بغداد لابن الجوزي الصغير قتيل هولاء ، وكتب رجال الشيعة مثل « رجال النجاشي » ومسجد المنطقة اليوم في غرب بغداد وقد اتخذها الشيعة مقبرة وفيه حجرة بها اسطوانة سماقية اللون من الرخام يزعم العوام ان الماء نبع منها لما احتاج الامام علي - عليه السلام - الى الماء

٢ - منارة مسجد قرية

ومن الآثار الإسلامية العباسية « منارة مسجد قرية » ببغداد الغربية اليوم ، وهي التي ترى صورتها مرقومة بـ « ٢ » فهذه المنارة متقنة البناء جميلة التنسيق ، حافظت لنا على طرز من البناء في عهد بني العباس ، قال عبد الرزاق ابن الفوطي في حوادث سنة « ٦٢٦ » من خلافة المستنصر بالله « وفي شعبان تكامل بناء المسجد المستجد ^(٢) بالجانب الغربي على شاطئ دجلة المقابل للرباط البسطامي ونقل اليه الفرش والآلات وقناديل الذهب والفضة والشموع وغير ذلك ، وفتح في شهر رمضان ورتب فيه مصلياً الشيخ « عبد الصمد بن أبي الجيش » وأثبت فيه ثلاثون صبيّاً يتلقنون القرآن عليه ورتب فيه معيد يحفظهم التلاقين ورتب أيضاً فيه الشيخ حسن بن الزبيدي محدثاً يقرأ عليه الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخميس ورتب أيضاً قارئاً للحديث وجعل في المسجد خزانة للكتب حمل إليها كتب كثيرة ^(٣) » وبقية أخبار هذا المسجد في الحوادث الجامعة وغيرها وانما نحن نذكر الضروري

٣ - المدرسة المرجانية

يسمىها الناس اليوم « جامع مرجان » ويرى في الصورة الثالثة بابها ومنارتها والقبّة التي دفن تحها « مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن » والي بغداد في أواسط القرن الثامن للهجرة ، وهذه الصورة رسمت بعد ما هدم الأ زج الذي كان أمام المدرسة ، أمر بهدمه « خليل باشا » القائد العام في العراق وفارس زمن الحرب العامة لاشتقاق الشارع المعروف اليوم بشارع الرشيد وسمي اذ ذلك « خليل

(١) مرصد الاطلاع على الإمكانة والبقاع (ص ٢٢٩ من طبعة ايران)

(٢) وفي الحاشية زيادة « المعروف بقمريّة » وهي بخط المؤلف كما في النسخة التيمورية

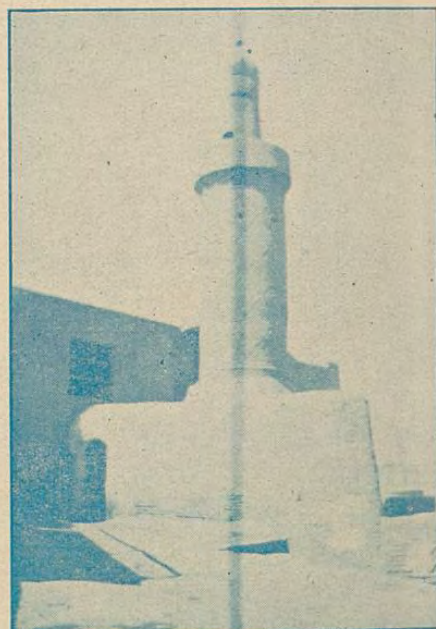
(٣) الحوادث الجامعة (ص ١ من نسختنا الخطية)



١ — مسجد العتيقة المعروف بالمنطقة قديماً وحديثاً

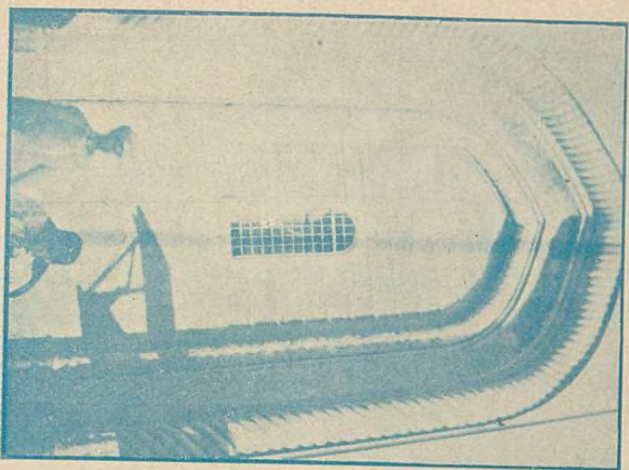


٣ — باب المدرسة المرجانية

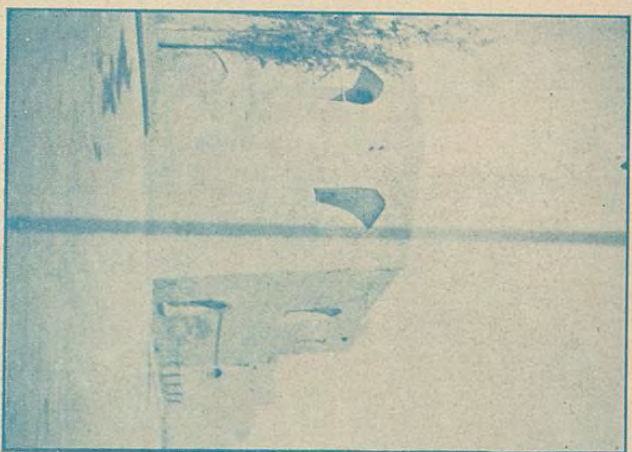


٢ — منارة مسجد قرية

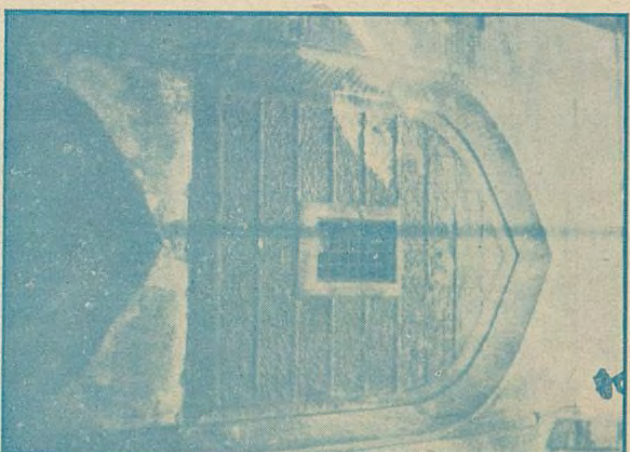
مقتطف ابريل ١٩٣٤



٦ — صورة ثانية لباب المدرسة المركزية



٥ — باب كواذى احد أبواب بغداد الشرقية



٤ — باب خان مرجان المعروف بأورته

مقتطف ابريل ١٩٣٤

Orientalisches
Institut
i. B.
Seminar

بشاجده سي» وقد رمم باب المدرسة المرجانية في عهد الحكومة العربية فأصبح هو والطاق — على ما ترى — في الصورة الرابعة

وفوق باب المدرسة كتابة بديعة تمثل أحسن ما وصل اليه الخط العربي من التحسين في اواسط القرن الثامن للهجرة ويظهر من هذه الكتابة ان أم السلطان الشيخ الجلايري (من المغول) أمرت ببنائها ودونكها وان عفا الزمان بعض كلماتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم انما يخشى الله من عباده العلماء ، أنشأ هذه المدرسة المباركة والمصلّي من صدقات السعيد أنار الله برهانها في دولة ولدها النويان ^(١) الأعظم السعيد شيخ حسن الله وكملت في ايلة ولده النويان الاعظم ناشر العدل في العالم سلطان السلاطين غياث الدنيا والدين ومغيث الاسلام والمسلمين شيخ أويس نويان الله دولته بمولاهم صاحب الاعظم ملجأ وملاذ الامم مربى الملوك وعضد السلاطين وكهف الضعفاء الخصوص بعناية الرحمن امين الدين مرجان أسبغ الله عليه نعمه الجز [يلة] إنه هو الكريم المنان ، ابتداء عمارة هذا المكان في تاسع جمادى وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة وشفيع الامة ومجلى النعمة وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، كتبه العبد الضعيف المحتاج الى رحمة الله تعالى احمد شاه النقاش المعروف بزين قلم التبريزي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه »

وفي وجه هذه المدرسة من الرياسة العجيبة والزخرف البنائي البديع والنقش الجميل ما يهر الناظر ويدهش الالباب ويذكر بفنون دارسة يعجز عن تقليدها بناء القرن العشرين أبداً ، وفي داخل المدرسة كتابات متعددة ولا سيما المصلى ، فقد رقت على جدرانه « وقفية المدرسة المرجانية » قال عبد الله بن فتح الله البغدادي الملقب بالغيث في تاريخ السلطان اويس بن الشيخ حسن ثاني سلاطين الدولة الجلايرية بالعراق « بويغ بالسلطنة ببغداد سنة ستين وسبعمئة وكان محباً للخير والعدل شهماً شجاعاً عادلاً خيراً وكان له من العمر عشرون سنة حين بويغ وخطب له بمكة وارسل الى مكة مالا جليلاً وقناديل ذهب وفضة للكعبة فخطب باسمه في الحرم الشريف وكان والي مكة حينئذ « عجلان ابن رميثة » واتفق في زمان السلطان اويس عمارة عظيمة لم يتفق في دور احد السلاطين مثلها منها المدرسة المرجانية ودار الشفاء ^(٢) واسواق وخانات عمرها « مرجان » آقا وكان طواشياً ^(٣) رومي الاصل يلقب امين الدين مرجان ، وكان اذا توجه السلطان الى تبريز تولّى مرجان على بغداد وكان مرجان رجلاً خبيراً استأنف عمارات وجدّد عمارات دائرة من قديم ثم اوقف عليها العقار

(١) النوين بفتح النون واشماهما الضم وتسكين الواو وفتح الياء و « النويان » هو السلطان والامير عند المغول

(٢) دار الشفاء كانت على ضفة دجلة الشرقية وتعرف اليوم بهوة الشط بل كانت اوسع كثيراً

(٣) الطواشي المملوك

والضياع — كما نطقت به وقفيته — وتقر ذلك على أجدان العمارات وكان له خيرات على الفقراء والمساكين حتى اطعم السنانيير والزرايق وحيثان الشط والطيور من اللحم والخبز والشيلم في صحن دار الشفاء وصحبها على جانب دجله « (١) »

٤ — خان مرجان

وهو الذي ترى بعض يابه وما فوقه من الكتابة في الصورة ذات الرقم « ٥ » والخط يمثل أحسن ما وصلت إليه قواعد الخط في اواسط القرن الثامن للهجرة في العالم الاسلامي كافة ، وسمى الترك هذا الخان « اورومتة » لظلامه ، وهو من العمارات المدهشة حقاً ، ودونك ما فوق يابه الغربي الشمالي من الكتابة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، امر بإنشاء هذا النيم (٢) والمنازل والدكاكين المولى المخدوم الامر صاحب الاعظم الاعدل ملك ملوك الامراء في العالم صاحب العدل الموفور عضد السلطنة والامارة حاوي مرتبة الامارة والوزارة افتخار شهيد الاوان المخصوص بعناية الرحمن أمين الدين مرجان الاولاقاتي ، وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربية ، كذلك عقرقوف والنصف من القائمة وتل رحيم ومزرعة بالصرارة وبساتين بالخرمية وبساتين بقرية الفك والزادمان وخرمباد ورباط جلولا المعروف بقزلرباط ورزين جوي ونصف دوري وبساتين ببعقوبا وبوهرن والبندنجين وخان ودكاكين بالحلبة واربع خانات ودكاكين بالجوهريين وخان بالجانب الغربي ودكان كاغد بالحريم — كما هو محدود مشروح في الوقفية — وقفاً صحيحاً شرعياً تقبل الله منه الطاعات في الدارين وبلغه نهاية المراد ، وكان الفراغ منه سنة ستين وسبعائة ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي العربي الصادق وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم ، كتبه الفقير الى رحمة ربه احمد شاه النقاش المعروف بزين قلم غفر الله ذنوبه »

٥ — باب كلواذي (البصلية)

والرسم السادس لباب كلواذي من ابواب بغداد الشرقية المسورة ويعرف ايضاً بباب البصلية وتظهر فيه مراحي السهام وصفتها انها كالكوّة الصغيرة من داخل سور الباب وكالشباك من خارجه ليجد الرامة متسعاً لتوجيه السهام وتصويبها إلى نواح كثيرة ، ولهذا الباب ذكر كثير في التاريخ ، وقد رم واتخذته النافلة الانكليزية البروتستانية كنيسة لها حتى هذه الايام

مصطفى جواد

القاهرة

(١) التاريخ الغياثي عن نسختنا الخطية (٢) النيم هو النصف بالفارسية ، والظاهر انهم كانوا يريدون به « نصف سرداب » لقلة دركاته

القضاء في السودان

خليل الخوري

القاضي بمحاكم السودان سابقاً

القضاء المدني

القضاء السوداني يختلف في شقيه المدني والجنائي اختلافاً جوهرياً عن القضاء المصري او غيره في الاقطار العربية المجاورة ولقد رأيت ان اورد لمعة عن القضاء المدني السوداني في هذه المقالة اذكر فيها ما كان مختلفاً عما هو مألوف في مصر وغيرها

يمتاز القضاء المدني السوداني عن القضاء المدني في غير السودان في مسائل شتى منها : —
اولاً — وحدة المحاكم — المحاكم المدنية مختصة بالنظر والحكم في جميع المسائل المدنية فيتناول اختصاصها الاحوال الشخصية على الاطلاق عند غير المسلمين والمسائل المدنية والتجارية وغيرها وسبب هذه الوحدة هو عدم وجود الامتيازات المالية والقنصلية او المختلطة او غيرها من الامتيازات التي احدثت في مصر وغيرها بلبلة في القضاء وادّت الى تنازع الاختصاص الذي ضجّ منه الناس . . . والمسلمون وحدهم لهم محاكمهم الشرعية للنظر والحكم في احوالهم الشخصية . فلحاکم السودانية الاعتيادية لها سلطة على جميع الاشخاص وعلى جميع المسائل الاّ ما تعلق منها باحوال المسلمين الشخصية

ثانياً — القانون المدني الذي يطبق في المحاكم — ليس في السودان قانون موضوع في المسائل المدنية كالبيع والاجارة والاعارة والوديعة وامثالها من الموضوعات المدنية المعروفة ولكن الحكومة وضعت بعض قوانين للشركات والافلاس والكمبيالات والرهن العقاري وموضوعات اخرى وهذه يجب على المحاكم تطبيقها اما المسائل التي ليس لها قانون خاص فالمحاكم تعمل فيها بحسب مقتضى العدل والانصاف والضمير

ثالثاً — تشكيل المحاكم واختصاصها — في السودان قسمان من المحاكم : الاول المحكمة العليا والثاني محاكم المديریات

اما المحكمة العليا فتؤلف من رئيس القضاء ومن قضاة آخرين . ومركز المحكمة العليا في الخرطوم ولها اختصاص ابتدائي واستثنائي — فتشكل المحكمة الابتدائية العليا من قاض واحد من قضاة المحكمة العليا يجلس منفرداً للنظر والحكم في جميع المسائل التي ترفع اليه كائنة قيمتها ما كانت — واذا قلنا المحكمة العليا فلا يتبادر الى الذهن ان هنالك محكمة مؤلفة من عدد من هؤلاء القضاة للنظر في القضايا مشتركين بل المحكمة العليا كناية عن قاض واحد يرأس المحكمة وينظر في جميع المسائل وحده واذا وجد اكثر من واحد من هؤلاء القضاة فينظر بكل منهم قضايا خاصة او اعمال تشريعية . فقد حدث في وقت من الاوقات ان كان في الخرطوم خمسة قضاة في المحكمة العليا — رئيس القضاء وعمله الاساسي الاشراف على المحاكم في السودان والنظر في استئنافات خاصة وحده والقيام باعمال محكمة نقض وابرار في المسائل الجنائية وحده ورأسه محكمة الاستئناف العليا المدنية — وقاضي محكمة الخرطوم العليا المنوط به النظر في القضايا الابتدائية المختلفة في مديرية الخرطوم كلها والنظر في نظامات خاصة من احكام القضاة الجزئيين والانضمام في بعض الاحوال كعضو في محكمة الاستئناف العليا للنظر في الاستئنافات التي ترفع في احكام قضاء المحكمة العليا واحكام قضاة المديريات . وقاضي الافلاس والتنفيذات المنوط به اعمال الافلاس وتنفيذ الاحكام . وقاضي التشريع المنوط به وضع القوانين واللوائح والمنشورات بالاتفاق مع السكرتير القضائي وسائر رجال القضاء لعرضها على مجلس الحاكم العام . ومسجل الاراضي العام الذي هو في الواقع مدير اعمال التسجيل في السودان وليس له عمل قضائي وانما هو قاض من قضاة المحاكم العليا . وجميع هؤلاء القضاة كلهم منهم من له عمله الاساسي الذي يستغرق اوقاته وعلاوة على ذلك قد ينتدب لعمل قضائي آخر . وفوق هؤلاء السكرتير القضائي الذي يشغل منصب وزير الحقانية وهو قاض ايضاً وفي بعض الاحايين يرأس محكمة الاستئناف العليا . وليس هنالك اذن محكمة استئناف دائمة او ثابتة كما هي الحال في مصر او غيرها ولكن رئيس القضاء هو الذي يشكل عند الاقتضاء محكمة الاستئناف من ثلاثة قضاة يرأس المحكمة هو او يرأسها اقدم قاض بعده على رأي رئيس القضاء وفي بعض الاحوال اذا لم يكن ثمة عدد كاف من قضاة المحكمة العليا لتشكيل محكمة الاستئناف العليا فقد ينضم السكرتير القضائي الى المحكمة ويرأسها في هذه الحالة

اما محاكم المديريات فتكون في المديريات التي لم تنشأ فيها محكمة عليا اي لم يعين فيها قاض من قضاة المحكمة العليا وتتنوع محكمة المديرية الى محكمة قاضي المديرية ومحكمة قاض جزئي من الدرجة الاولى ومحكمة قاض جزئي من الدرجة الثانية ومحكمة قاض جزئي من الدرجة الثالثة — وهؤلاء القضاة يحكم كل منهم منفرداً في القضايا المدنية واختصاص محاكمهم يختلف باختلاف درجاتهم فيحكم قاضي المديرية والقاضي الجزئي من الدرجة الاولى في جميع المسائل بلا قيد ولا شرط من جهة القيمة ويحكم القاضي الجزئي من الدرجة الثانية في القضايا التي لا تزيد قيمة الواحدة منها عن الخمسين جنياً

مصرياً وبحكم القاضي الجزئي من الدرجة الثالثة في القضايا التي لا تزيد الواحدة منها عن الخمسة جنهات مصرية — ولا يصح استئناف الاحكام الا ما زاد قيمتها عن الخمسين جنيهاً مصرياً . اما سائر القضايا التي تنقص قيمتها عن الخمسين جنيهاً فيجوز التظلم من احكامها لاعلى سبيل الاستئناف بل على سبيل طلب مراجعة الاحكام . وهذه التظلمات ان كانت من احكام القضاة الجزئيين ترفع الى قاضي المديرية وان كانت من احكام قاضي المديرية او من احكام قاضي المحكمة العليا ترفع الى محكمة الاستئناف العليا وفي الواقع ان قسيل الطلب فللقاضي الاستئناف ان ينظر فيه كأنه استئناف وله ان يسمع شهوداً وغير ذلك والفرق بين المراجعة والاستئناف انه في حالة طلب المراجعة يجوز لقاضي الاستئناف ان يرفض الطلب بعد استحضار الاوراق وقراءتها رفضاً ايجازياً

مما تقدم يظهر ان القضاء المدني في السودان مبني على نظام الحاكم المنفرد فلا يجلس اكثر من قاضٍ واحد الا في محكمة الاستئناف العليا ونظام القاضي المنفرد برغم ما عزوا اليه من المساوىء فاني اعتقد انه افضل من نظام القضاء المتعدد فهو يوجد في نفس القاضي روح المسؤولية والاجتهاد وهو اضمن لتحقيق العدل والانصاف وانجاز الاعمال ولم ز فيه في الواقع شيئاً من العيوب التي يجسمها خصومه وقد جرب في عهد الحكم الفيصلي في سوريا ثم نبذ بعد ذلك لاسبب سوى الرغبة في اكثار الوظائف والتمكن من تعيين الانصار والمحاسيب

رابعاً — في رفع الدعوى — توخى الشارع السوداني في رفع الدعوى واستماعها والحكم فيها البساطة المتناهية والسرعة في الاجراءات — تبدأ الدعوى بتقديم المدعي عريضة الى المحكمة المختصة وفي السودان لا يصعب على الخصم ان يعرف المحكمة المختصة لان تنازع الاختصاص بالشكل المعروف في مصر وغيرها غير مألوف في السودان واهم ما يجب معرفته من أجل ذلك اختصاص المحاكم بالنسبة الى قيمة القضية وبالنسبة الى المقر. اما الاختصاص بالنسبة الى نوع القضايا فليس له شأن في السودان واذا قدمت العريضة الى المحكمة نظر القاضي فيها في نفس اليوم الذي تقدم فيه فان رأى فيها نقصاً صححه في نفس الوقت واذا وجد وجهاً لرفع الدعوى قبلها وان رأى أن ليس هناك سبب يحجز رفعها او انه غير مختص بنظرها رفضها وافهم صاحبها في الحالة الثانية بوجوب تقديمها في محكمة اخرى وكل ذلك قبل ان يدفع صاحب العريضة الرسم ومتى قبل القاضي الدعوى عين لها جلسة واعلن الخصم المدعى عليه للحضور في اليوم المعين وفي اليوم المعين تنظر الدعوى بحسب الاصول

والاختلاف العظيم بين القضاء السوداني وغيره في رفع الدعوى واعلان الخصوم والشهود وغير ذلك هو ان القاضي في السودان هو الذي يحرر الدعوى وهو الذي يعلن الخصوم والشهود وفي الغالب تنتهي مهمة المدعي بتقديم عريضته الى المحكمة ودفع الرسوم المقررة وهي التي تبشر بعد

ذلك السير في جميع الاجراءات بناءً على طلب المدعي . اما في غير السودان فالدعوى في أيدي الخصوم اذا لم يحركوها بقيت نائمة الى ما شاء الله

خامساً — تنفيذ الاحكام — الطرق التي ينفذ بها حكم بدفع مبلغ من النقود خمس : — الاولى حجز منقولات المحكوم عليه ومبيعها . الثانية حجز ما للمدين لدى الغير . الثالثة بيع عقارات المدين . الرابعة القبض على المدين وحبسه . الخامسة الجمع بين طريقتين او اكثر مما ذكر . فاذا طلب المحكوم له من المحكمة تنفيذ الحكم أمرت بحجز منقولات المحكوم عليه ثم يبيعها فاذا ادعى احد ملكية المنقولات المحجوزة نظر القاضي الذي أجرى الحجز في تلك الدعوى بوجه السرعة اما في اثناء التنفيذ نفسه ومعه واما في دعوى منفردة يرفعها المسترد وفي كلتا الحالتين ينظر في دعوى الاسترداد بصورة ايجازية مستعجلة — اما التنفيذ بحجز ما للمدين لدى الغير فيكون باعلان مدين المدين وتكليفه دفع ما عليه بما في المبلغ المحكوم به . اما التنفيذ ببيع العقارات فيلتجأ اليه اذا اخفقت الطريقتان المذكورتان واجراءاته سهلة في السودان وها هي : (١) يأمر القاضي المحكوم له بأن يستحصل شهادة من مكتب تسجيل الاراضي تثبت ملكية المدين للعقار المراد بيعه وهذه الشهادة لا يستغرق الحصول عليها في السودان اكثر من بضع دقائق لانه أنشئ في السودان مكتب تسجيل واحد والمسجل يسجل العقارات لا الاشخاص والنظام المعمول به في السودان هو نظام طورنز فاذا اردت معرفة من يملك العقار الفلاني فما عليك الا أن تتوجه الى مكتب التسجيل وتدفع رسماً بسيطاً قدره ستة قروش لاستصدار شهادة عن العقار المطلوب ومتى اقنعت المسجل ان لك شأنًا بتلك الشهادة كأنك تريد شراء العقار او ان لك حكماً على صاحبه او لاي سبب آخر معقول ودفعت ذلك الرسم اليسير أعطاك مكتبته الشهادة ولا يستغرق استصدارها اكثر من بضع دقائق ولا تتكلف اكثر من زيارة واحدة لمكتب التسجيل . والشهادة التي تأخذها تشمل تاريخ العقار وما جرى له منذ المسح والتسوية حتى ساعة اعطاء الشهادة — فمن تقرير ملكيته في اول الامر لزيد ثم رهنه لعمر و ثم فك الرهن ثم يبيعه ل بكر ثم رهنه لخالد ثم فك الرهن ثم رهنه لآخر ثم فك الرهن الاخير وصفاء الملك في آخر الامر لخالد — وهكذا فان الشهادة التي تعطى شهادة صحيحة ووافية وكافية وعلى ضوءها يمكنك ان تسير . واتقان اعمال التسجيل في السودان يسهل على المحاكم اعمالها ومتى حصل المحكوم له على تلك الشهادة توجه بها الى القاضي وأول ما يعمل القاضي ان يصدر انذاراً الى المدين صاحب العقار ينهيه عن التصرف في العقار المراد بيعه ويلحق نسخاً من الانذار في الاماكن اللازمة تدل الناس على ان العقار محجوز وكذلك يخبر مسجل الاراضي بأن لا يسجل اي عقود خاصة بذلك العقار . ثم يصدر اعلاناً آخر يذكر فيه اوصاف العقار ويحدد يوماً لبيعه فاذا جاء يوم البيع وبيع العقار تمت اجراءات البيع والنقل بحسب الاصول المعروفة . اما الطريقة الرابعة للتنفيذ فهي بالقبض على المحكوم عليه وبحبسه وهذه تقع فيما لو اخفقت جميع الطرق الاخرى بأن لم يوجد عند

المدين مال منقول او عقار او دين في ذمة الغير واذا كان المدين صاحب عمل يأخذ عليه مرتباً شهرياً او صاحب حرفة ففي مثل هذه الاحوال تأمره المحكمة بأن يدفع المبلغ المحكوم به بأقساط شهرية على حسب استطاعته فاذا ماطل في الدفع وظهرت للمحكمة سوء نيته جاز لها ان تأمر بحبسه لتحصيل الديون في الاحوال التي لا يمكن تحصيلها بها بأية طريقة اخرى غير الحبس . وكثير من الاحكام التي تصدر على اشخاص ليس لهم اموال ظاهرة يمكن حجزها وبيعها تنفذ في السودان بطريقة الزام المحكوم عليه بدفع دينه بالاقساط — ومع ان القانون السوداني يحجز رواتب الموظفين غير الحكوميين كموظفي الشركات والبنوك وغيرها من الدوائر والاعمال فيندر ان تلجأ المحاكم الى حجز المرتبات لما يحدثه ذلك من الارتباك والازعاج لرؤساء المحكوم عليهم بل تسير في الاكثر على تكليف المحكوم عليه دفع مبلغ كل شهر . ولكن خوف المحكوم عليه الحبس فيما لو ماطل في دفع الاقساط المحكوم بها يحمله على المسارعة الى الدفع من تلقاء نفسه فكانه هو الذي يحجز من مرتبه جانباً معيناً ويدفعه — اما امر الحبس فيصدر عند ثبوت المماحكة وسوء النية بناء على طلب المحكوم له ولا ينفذ اذا دفع المحكوم عليه المبلغ واذا حبس ودفع بعد الحبس أفرج عنه . وثمة حالة واحدة يجوز فيها حجز رواتب مستخدمي الحكومة وموظفيها وهي لا تعرف في مصر وذلك اذا حكم على المستخدم بالافلاس — وفي السودان يجوز اشهار افلاس اي انسان — جاز للمحكمة ان تحجز لدى المصلحة التابع لها المستخدم المذكور جزءاً من راتبه وتوزعه على الدائنين

ومما تقدم تختلف اجراءات التنفيذ في السودان عنها في مصر وغيرها بأن الحبس من طرق التنفيذ المقررة في القانون المدني السوداني وهناك اختلاف آخر في نظام التسجيل يجعل طريق التنفيذ بواسطة حجز العقار وبيعه سهلاً جداً وفي مصر وغيرها لا يلتجئ المحكوم له الى التنفيذ على العقار الا في النادر لصعوبة التنفيذ وتعقيد معاملات العقارات والتسجيلات العقارية . ولا اعلم متى تستطيع الحكومة المصرية ان تنفذ في بلادها نظام طورنز القيم بحذافيره وتوحد مكاتب التسجيل بالشاء مصلحة خاصة لتسجيل الاراضي بعد مراجعة اعمال المسح والتسوية وتوليها اعمال التسجيل كلها واستيداع السجلات واخراج ذلك من المحاكم المختلطة ومن المحاكم الشرعية ومن غيرها . فاذا اغتفرت فوضى التسجيل في غير مصر فلا تغتفر في مصر وهي ممتعة بحكومة مستقرة منذ اكثر من مائة سنة . ولقد يظن البعض ان حكومة السودان لم تتكبد مشقة كبيرة في سبيل تطبيق نظام طورنز لانها دخلت دخولاً جديداً في بلاد جديدة والحقيقة هي غير هذه وسل عنها الضباط المصريين الذين شاركوا الانكليز في اعمال المسح والتسوية والتحديد والتسجيل الشاقة ينبئوك ان النظام السهل القائم الآن في السودان لا يمكن اجراؤه الا بعد عمل شاق متواصل

يستغرق لا اقل من خمس عشرة سنة ولا اظن ان شيئاً من هذه المشاق قد حاولت الحكومة المصرية تكبده في سبيل تعديل نظام التسجيل في مصر ولو عمدت الى العمل لما وجدت ذلك متعذراً عليها — فقد عمدت حكومة السودان منذ بدء الفتح الثاني الى مباشرة ذلك العمل العظيم عمل تثبت ملكية العقار وكان الضباط المصريون على طول الخط يجاهدون ايما جهاد ويعود اليهم الفضل الكبير في ذلك العمل العظيم والذين تحضرني اسمائهم من هؤلاء الضباط هم اللواء ابراهيم خيرى باشا والامير الاني محمد بك عزت والامير الاني مصطفى فهمي بك هلوده والقائم مقام صابر بك طنطاوي والقائم مقام ابراهيم بك زكي وهبي والبكباشي احمد افندي حمدي واليوزباشي احمد افندي حموده والبكباشي ابراهيم افندي صادق واليوزباشي محمد افندي النقيطي واليوزباشي محمد افندي مرسى وكثيرون غير من تقدم ممن لا اذكرهم الآن

ومن المسائل التي يختلف فيها القضاء المدني السوداني عن القضاء في مصر وغيرها — مسألة توكيل المحامين في السودان يعنى المحامي من ابراز توكيل من موكله بل يقبل قوله انه وكيل عن فلان ولا يطالب بتقديم توكيل منه وهذا النظام يسهل عمل المحامي — ومن ذلك انه يجوز للمحكمة لاي سبب تراه كافياً وقت اصدار الحكم ان تأمر في نفس الحكم بتأجيل دفع المبلغ المحكوم به او بدفعه بأقساط بفائدة او بدون فائدة على حسب ما ترى ولها ان تفعل ذلك بعد صدور الحكم ولكن برضاء المحكوم له وفي كلتا الحالتين اذا حصل تأخير من قبل المحكوم عليه في دفع الاقساط كان للمحكوم له ان يطلب تنفيذ الحكم بالمبلغ الباقي كله

ومن المسائل المهمة التي يختلف فيها القضاء السوداني مسألة غلق الرهن وغلق الرهن معناه نقل ملكية العين المرهونة من المدين المالك الى المدين بدينه وهذا الغلق يحصل اذا عرض العقار المرهون للبيع ولم يمكن بيعه بما يوازي المبلغ المحكوم به ومصاريفه بل عرض ما دون ذلك في هذه الحالة تقرر المحكمة غلق الرهن اي تقرر تملك الدائن للعقار بالدين الذي له فلو كان له الف جنيه والعقار لم يمكن بيعه بغير اربعمائة اخذه الدائن — بالالف جنيه وليس له ان يطالب المدين بشيء آخر فيما بعد — وفي اللغة غَلِقَ الرهن غلقاً في يد صاحبه على وزن سمع بفتح الغين وكسر اللام بقي ملكاً للدائن المرتهن عند عدم مقدرة المدين الراهن على الوفاء عند حلول الاجل وهذا نظام موفق في القضاء السوداني ويا حبذا لو امكن الاخذ به في غير السودان

ومنها امتزاج السلطة القضائية بالسلطة التنفيذية — خذ مثلاً السكرتير القضائي فهو قاضٍ من قضاة المحكمة العليا وله ان يباشر سلطات القاضي المذكور وله ان يرأس محكمة الاستئناف العليا وكذا مدبرو المديريات ووكلاء المديريات ومفتشو المديريات ومساعدو مفتشي المديريات ومأمورو

المراكز فهؤلاء جميعهم لهم سلطات قضائية فالمدبر او نائب المدير قاضي مديرية ووكيل المديرية والمفتش قاضي من الدرجة الاولى ومساعد المفتش قاضي من الدرجة الثانية والمأمور قاضي من الدرجة الثالثة وهؤلاء لا يباشرون سلطاتهم القضائية الا في الجهات التي لم يعين فيها قضاة من قبل المصلحة القضائية — وهذا الامتزاج او الاختلاط ليس فيه ضرر من الاضرار التي يقولون عنها في جمع السلطات الثلاث . وفي السودان هذا الامتزاج نافع في الواقع فتدخل السكرتير القضائي وتدخل الجهات الادارية في الاعمال القضائية لا غبار عليه وهو تدخل موفق في حكومة مثل حكومة السودان مبنية على التضامن والتعاون . ومنها نظام محاكم المشايخ والمحاكم القروية ومحاكم المدن وهذه كلها أشبه بمحاكم الاخطاط التي انشئت في مصر في سنة ١٩١٢ ثم الغيت بعد ان جربت في مصر تجربة دامت بضع سنين . اما في السودان فالمحاكم المذكورة هي محاكم انشئت منذ سنة ١٩٢٨ على سبيل التجربة ومنتقدوها اكثر من محبذها وسيظهر الاختبار بعد بضع سنين صواب هذا النظام او خطأه . ومنها انه يجوز للمحكمة في اية درجة من درجات القضية التي قيمتها عشرة جنيهات مصرية او اكثر ان تأمر بالقبض على المدعى عليه واحضاره امامها لتقديم ضمان لحضوره في الجلسة او لاثبات عدم ضرورة ذلك في اي الاحوال الآتية : اذا كان قد اختبأ او كان قد غادر دائرة اختصاص المحكمة او اذا ظهر انه يحاول ما تقدم او اذا كان تصرف بماله او ببعض ماله او اخرجه من دائرة اختصاص المحكمة او اذا ظهر انه ينوي مغادرة السودان في ظروف تحول بالمدعي دون تنفيذ الحكم الذي قد يصدر ضد المدعى عليه — هذا نص احتياطي يراد به حفظ حقوق المدعي وصيانتها من احتيال المدعى عليه وتهربه من تنفيذ الحكم . ومنها ما هو متعلق بالاثبات والادلة — يجوز في السودان اثبات الدين او الحق بالبينة اي بشهادة الشهود مهما كان المبلغ كبيراً بخلاف الحال في مصر وسوريا وسائر الاقطار المجاورة حيث يقصرون قبول شهادة الشهود على اثبات الدين او الحق الذي لا يتجاوز مبلغاً معيناً او عشرة جنيهات مصرية على وجه التقريب . ونظام السودان هذا اقرب الى العدل والعقل لانه توجد احوال كثيرة تحول دون الاحتياط بالادلة الكتابية ولا اعلم لماذا وضع بعض المشرعين مثل هذا النص وهم يعلمون ما فيه من العيب وفوق ذلك فالقاضي غير مرتبط بشهادة الشهود الا اذا اقتنع بصدقها ومطابقتها للواقع ولعل سبب هذا النص مسبب عن ضعف الايمان في القضاة اكثر مما هو مسبب عن ضعف الايمان في اقوال الشهود

وعلى العموم يمتاز القضاء المدني السوداني عن غيره ببساطة اجرائاته وجلالها والاعتماد هناك على القضاة اكثر منه على القوانين وكلما تعقدت القوانين وتشعبت كان تطبيقها اصعب ودل ذلك على نية تكميل القضاة وقلة الثقة فيهم والعكس بالعكس وسأذكر بعض الشيء في المقال الآتي عن القضاء الجنائي في السودان

نهضة التعليم في العراق

للمصنف

لعل اعظم ما في العراق هذه النهضة التعليمية العظيمة وهذا الاقبال الزائد على طلب العلم والارتشاف من مناهله العذبة

ولقد كان مؤسس دولة العراق عليه الرحمة والرضوان يعمل على تعميم التعليم ونشره بمختلف الوسائل والاساليب ويعني بوجه خاص بتعليم البنات وكان تعليمها غير معروف تقريباً في العراق ابان العهد القديم لاعتقاده بأنه لا يمكن انشاء اسرة عربية بالمعنى الاجتماعي المفهوم من هذه الكلمة الا على يد المرأة المتعلمة ، فالمرأة الجاهلة الخاملة نكبة على نفسها وعلى اهلها وعلى اسرتها وعلى امتها . وكذلك كان يعنى بتحضير العشائر — ويؤلف ابناؤها ٥٥ في المئة من مجموع سكان العراق — ويعمل على نشر التعليم بينهم وتعويدهم الحياة المدنية واذاقهم طعمها العذب لاعتقاده ايضاً انه لا يمكن اصلاح وطن يعيش نصف ابنائه عيشة البداوة ويسرون على سننها وتقاليدها

ولقد سمعت كثيراً عن الاساليب التي كان يلجأ اليها في نشر تعليم البنات بوجه خاص ، ومما روي ان سكان الكاظمية (وهي قرب بغداد وتعد من ضاحيتها وبينهما ترامواي يسير على الخيل والمسافة ٧ كيلو مترات) ابوا ان يرسلوا بناتهم الى مدرسة البنات التي انشأها الحكومة في اوائل هذا العهد بامر الملك فلم يدخلها في سنتها الاولى سوى تلميذتين او ثلاث ، وظل الامر على ذلك تقريباً في السنة التالية فافترحت وزارة المعارف اغلاقها لعدم الاقبال عليها فقال انه لا يغلقها ولوظلت المدرّسة وحيدة في المدرسة ثم لجأ الى اساليبه الخاصة في حرض الناس على التعليم فكان يخاطب الشيوخ والرؤساء والوجهاء الذين يزورونه داعياً اياهم الى ارسال بناتهم الى المدرسة ومظهراً فوائد التعليم ولا يدعهم الا بعد ما ينال منهم وعداً باجابة طلبه ، على ان مهمته ما كانت تنتهي عند هذا الحد بل كان يرقب تأثير سعيه عند الذين خاطبهم ومتى اتصل به ان احدهم ارسل بناته الى المدرسة استدعاه اليه في الغداة وقربه منه وقضى له مصالحه ويسر له اموره ، فيسمع ذلك جيرانه فيقتدون بصاحبهم . وقد كانت هذه الطريقة من جملة الاساليب التي ادّت الى رواج تعليم البنات

وانتشاره في انحاء العراق وحسبي ان اقول بان في مدرسة الكاظمية وحدها اليوم نحو ٢٥٠ تلميذة يتعلمن القراءة والكتابة وقد انشأت الحكومة داراً فخمة لها بعدما اعترمت الغاءها في السابق كما علمت وخطا تعليم البنات في هذه السنوات خطوات واسعة وانتشر انتشاراً يذكر فاقمت المدارس والمعاهد فاقبل عليها الناس اقبالاً يذكر فارتفعت ارقام التلميذات وزاد عدد المدارس كما ينطق بذلك الاحصاء الآتي :

كان عدد مدارس البنات في العراق سنة ١٩٢١ المدرسية اي حين انشاء الدولة الجديدة ٢٧ مدرسة ابتدائية تضم ٣٠٤٩ تلميذة فارتفع في سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ المدرسية الى ٧٤ مدرسة ابتدائية نضم ١٠٦٨٧ تلميذة وتدرس فيها ٣٧٨ مدرسة

وهناك ايضاً ٥ مدارس متوسطة ذات ثلاث صفوف لتعليم البنات : ٢ في بغداد وواحدة في الموصل ومثلها في كل من العمارة والحلة وبعقوبة والبصرة . وقد نشئت مدرسة ثانوية للبنات في بغداد خلال السنة الجديدة وبلغ عدد الطالبات في هذه المدارس خلال السنة الماضية ٤٤٠ طالبة وفي بغداد ايضاً دار معلمات لتخريج مدرسات عدد طالباتها ٣٠

وانشأت حديثاً دار معلمات ريفية في الديوانية لتخريج مدرسات لمدارس البنات في الارياف وفتحت في هذه السنة ايضاً مدرسة « الفنون البيتية » لتعليم البنات الشؤون المنزلية من تربية الاطفال والعناية بهم والتخزين والخياطة والطبخ والكيفية ، ويشترط في اللواتي يقبلن فيها ان يكنَّ من نلن الشهادة الابتدائية . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ويبلغ عدد تلامذتها ١٥٠ تلميذة في الوقت الحاضر . ولا بد لنا من الاشارة الى بعثات البنات فقد سارت وزارة المعارف على خطة ارسال الطالبات اللواتي يتخرجن من المدارس المتوسطة الى مدارس بيروت العالية للبنات لاكمال تحصيلهن . وقد جاء في احصاء رسمي ان عددهن بلغ في سنة ١٩٣٣ الماضية ١٨ طالبة يتعلمن على نفقة الحكومة

ولقد سارت الحكومة في ترقية التعليم وتنظيمه على الأسس التي سارت عليها في العناية بالصحة وكما انشأت وزارة الداخلية لجنة من الاطباء الاختصاصيين لوضع تقرير مفصل في الخطط التي يجب السير عليها لمكافحة الامراض ورفع المستوى الصحي فقد جاءت من الولايات المتحدة ببعثة من كبار رجال التعليم لدرس حالة المعارف ونظم التعليم والاشارة بما يجب عمله للاسترشاد بأرائها واختباراتها وقد زار هؤلاء العراق شتاء سنة ١٩٣٢ ووضعوا تقريراً مفصلاً مطولاً طبعته الحكومة العراقية على حدة مترجماً وعدد صفحانه ١٧٦ بالقطع المتوسط . وتتألف هذه البعثة من الدكتور بول منزو مدير المعهد الأممي في كلية المعلمين (جامعة كولومبيا) في نيويورك والدكتور وليام تشاندر والدكتور اذكار واليس نايت والاخيران من أعضاء المعهد الأممي بدار المعلمين ايضاً وانضم اليهم في بغداد الدكتور محمد فاضل الجمالي (المرشد العام لوزارة المعارف العراقية اليوم خيراً) فقصت شهرين

وبضعة أيام باحثة دارسة . واليك ما قالت في صدد تعليم البنات : « لم تعجب اللجنة بشيء من امور معارف العراق اعجابها بالاهتمام الحقيقي الظاهر في كل مكان بتعليم البنات والنساء ، ومع قلة عدد المدارس فاستحسن الجمهور لها ووضح بدليل كثرة اقبال الطالبات عليها وحسن دراستهن في الصفوف المتيسرة وتبرع الجمهور لها . وهناك ظاهرة اخرى تبعث على الارتياح الكبير وهي اهتمام الطالبات انفسهن بما تهيموهن المدرسة من فرص للقيام بأعمال مفيدة اجتماعية وقد ظهر للجنة من محادثتها عدداً من طالبات الصفوف المتقدمة في المدارس التي زارتها ان التلميذات مولعات بأن يتدربن في المستقبل ويخدمن كمعلمات او طبيبات او ممرضات واختصاصيات حتى ان بعضهن طلبن ان يكن محاميات وموظفات في المصالح العامة الخ »

وهناك المدارس الطائفية الخاصة بالنصارى واليهود وتساعدتها الحكومة وعددها ٤٧ مدرسة عدد تلاميذها ١٢٣١٢ ألفاً منهم ١٢٢ تلميذة في المدرسة الاميركية للبنات في بغداد و ٩٦٦ في مدارس البنات للكرملين و ١٥٧٦ في مدرسة يورا خضوري بنات . ومدرسة البنات الاسرائيليات في البصرة وفيها ٢٩٨ ومدرسة القديس عبد الاحد في الموصل وفيها ١٧٦ تلميذة

وتقدم التعليم الابتدائي تقدماً عظيماً في خلال هذه المدة فبعد ما كان عدد المدارس في العراق خلال سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ المدرسية ٧٤ مدرسة تضم ٦٧٤٣ تلميذاً و ٣٦٣ مدرساً ارتفع تدريجاً حتى وصل عدد المدارس في سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ الى ٣٩٠ مدرسة ابتدائية تضم ٤٣٦٤٣ تلميذاً و ١٦٠١ مدرساً وتسير وزارة المعارف على خطة جديدة ترمي الى مساواة الاولوية في التعليم وفي عدد المدارس فلا تكثر في مكان ولا تقل في مكان آخر ولا يزداد لهذا ولا ينقص لذلك وهي ترجو ان يتم لها ذلك في سنة ١٩٤٠ فتعم المساواة وينتشر التعليم بنسبة واحدة في كل مكان . وقد انشئت حديثاً في البدعة (شطرة المنتفك) دار معلمين ريفية لتخرج مدرسين للعشائر والقرى

ويعنون ايضاً بالتعليم الثانوي وبلغ عدد المدارس المتوسطة للبنين ١٩ مدرسة وذلك عدا المدارس المتوسطة للبنات وعددها سبع - وعدد طلاب المتوسطات ٢٧٣٤ طالباً . وعندئذ أربع مدارس ثانوية في بغداد والموصل والبصرة والنجف تضم ٢٥٣ طالباً . وتسير الحكومة على سياسة تعميم المدارس الثانوية ليكون في حاصمة كل لواء واحدة منها ومدرسة للمعلمين في بغداد عدد طلابها ١٦٥

ويعنى ولاية امور وزارة المعارف بالبعثات العلمية ويرون الاكتفاء بها في الوقت الحاضر ومعنى ذلك انه لا توجد هنا فكرة ترمي الى انشاء جامعة للتعليم العالي لان الحالة لا تساعد على التوسع

فيه كما انهم يرون وجوب التريث في انشائها ريثما تتكامل النهضة العلمية الحديثة في بلاد العرب فتقوم في بغداد جامعة عربية كبيرة لنشر الثقافة القومية طبقاً للأساليب الحديثة ويرون ان المسألة مسألة زمان لا أكثر ولا أقل . وقد بلغ عدد اعضاء البعثات ١١٠ في الوقت الحاضر (عدا البنات) فمنهم ٤٠ في جامعة بيروت الاميركية و ٢٣ في انكلترا و ٢٦ في مصر و ٤ في فرنسا و ٣ في تركيا و ٦ في المانيا و واحد في النمسا

ويجب ان لا يؤخذ من هذا ان الحكومة العراقية تهمل التعليم العالي ففي بغداد مدرسة للحقوق تخرج للبلاد ما تحتاج اليه من قضاة وموظفين اداريين ومحامين وأخرى للطب ومدرسة للحربية وكانت هنالك مدرسة زراعية اغلقت سنة ١٩٣٠ لان خريجيها انصرفوا الى طلب المناصب والتهافت عليها بدلاً من الاشتغال بالاعمال الزراعية الحرة ، والمدرسة الزراعية الوحيدة في العراق اليوم هي مدرسة الحلة الريفية وهي تعلم الزراعة تعليماً عملياً لشبان الفلاحين ويشترط في طلابها ان لا يقل سنهم عن ١٨ ولا يزيد عن ٢٥ وقد انشئت في السنة الماضية وعدد طلابها ٨٠

وتنفق الحكومة العراقية بسخاء على التعليم فبعد ما كانت ميزانية المعارف ضئيلة جداً لا تزيد على خمسين الف جنيه في العهد السابق بلغت ٣٦١ الف دينار في السنة الماضية زيد عليها ٨٤ الف دينار السنة الجديدة فبلغت ٤٤٤ الف دينار ولا يدخل في هذا الحساب ما تدفعه وزارة المالية لبناء دور المدارس من ميزانية المشروعات الرئيسية وميزانية الاعمال العمرانية لخمس سنوات ، فقد دفعت في السنة الماضية ٢٥ الف دينار وينتظر ان تدفع مثله لهذا العام . وزيادة في البيان نقول ان الحكومة العراقية تنفق على التعليم بمعدل ٣٧ : ٨ في المائة من معدل دخلها والتعليم في جميع مدارس الحكومة مجاني

وفي العراق مدرستان صناعيتان الاولى في بغداد وعدد طلابها ١٩٢ والثانية في الموصل والتعليم فيها متوسط ومجاني وتنشئ الحكومة في العاصمة مدرستان ، للذكور والاناث على الطراز الحديث الاولى لتخرج طبقة راقية من الموظفين والثانية لتعليم بنات الطبقة الراقية تعليماً راقياً وستكون اجور التعليم فيها باهظة وربما افتتحتا في اوائل السنة الدراسية وتعني الحكومة بتعليم الاميين وقد فتحت صفوفاً خاصة لهم في المتوسطات والمدارس الابتدائية ويقدر عدد الذين يترددون على هذه الصفوف بعشرة آلاف في انحاء العراق وقد ادرك بعضهم نجاحاً وتسود وزارة المعارف العراقية روح نشاط مشهودة ويدأب رجالها ليل نهار على نشر التعليم وتوسيع نطاقه متخذين لذلك شتى الوسائل وطاملين على رفع المستوى العلمي والاخلاقي في البلاد وقد اثمرت جهودهم ثمرات طيبة تبشر بمستقبل زاهر وكل من سار على الدرب وصل

عودة الروح

نأيف توفيق الحكيم

٢ - نقد وتحليل بقلم محمد علي حماد

جانب الفكاهة في هذه القصة يغلب جانب الجد فيها ، وان كانت الرواية جداً خالصة في جوهرها ولبها ، فالفكاهة هنا ليست اكثر من اطار ضمنه المؤلف لوحاته الثمينة ، وعليك ان تنفذ من وراء هذا الرواء الخارجي الى ما هنالك من حقائق الوجود والحياة ، و «عودة الروح» ككل اعمال توفيق الحكيم لها ظاهرها المموس الذي لا تخطئه النظرة العجلى ، والقراءة العابرة ، ولها هذا الجانب الخفي الذي عليك ان تغوص وراءه لتصل الى حقيقته ، وتفهّمه حق الفهم ، والأفقد عرفت شيئاً وضابت عنك أشياء ، او انت في الحقيقة لم تفهم شيئاً ، ولم تدرك من عمل المؤلف ما كان عليك ان تدركه بالامعان الطويل ، والدرس الطويل . ومن هنا وقع بعض الكتاب في تقديم لاعمال هذا المؤلف النابه في اخطاء مضحكة تثير كثيراً من الاشفاق والسخرية ، لانهم اكتفوا بهذا الظاهر البراق الذي لا يخطئه رجل الشارع ، ولم ينفذوا الى ما وراءه ، ضناً بالجهد وايناراً للراحة والعافية ، او قصرأ في الفهم وعيياً في الادراك لحقائق الاشياء

وقد تمثل «عودة الروح» قوى الخلق والابداع في توفيق الحكيم ، وتعد هذه القوى واختلافها اكثر مما تمثلها أية قصة اخرى من قصصه المتعددة ، والمجال الذي يتسع للمؤلف في حوالي خمسمائة صفحة لا يتسع له في ثلث هذا او نحو ذلك . و «عودة الروح» هي القصة الوحيدة Novel التي كتبها توفيق الحكيم ، بينما له مسرحيات كثيرة ، وفي الفن القصصي تتسع دائرة العمل الى اوسع الرحاب ، فن طبيعة هذا الفن الاستطراد والتفصيل والشرح الوافي والاحاطة الكاملة ، بيد ان المؤلف مقيد في مسرحياته بمحدود ضيقة ثقيلة متعددة ، ومن طبيعة الفن المسرحي الابهاز والتركيز . وبعد ، فان القوارق بين الفنانين من الوضوح والبدهاية بحيث لا تخفى على احد ، ومن هنا كانت «عودة الروح» من ناحية تمثيلها لتوفيق الحكيم اتم واكمل من كل مسرحياته الاخرى ، فاذا كانت في كل مسرحية ناحية من قوى الخلق والتفكير لهذا المؤلف ، فانك تجد في هذه القصة كل هذه النواحي والجوانب مجتمعة محشودة في صعيد واحد ، او هنا - اذا استعرنا تعبير المؤلف - الكل في واحد ! رأيت جانباً من هذه الصور الفكهة التي برع المؤلف في خلقها وعرضها كل البراعة في شخصياته التي عرضنا لتحليلها ، كما لمست جانباً آخر منها في بعض الحوادث التي جاء ذكرها عرضاً في سياق التحليل ، واليك هذه الصورة الطريفة لوالدة «محسن» التركية الاصل التي لا تنسى في اشد

الاولات حرجاً وضيقاً ان تتحدث عن حسبها ونسبها اذ تشتبك مع والد « محسن » الفلاح في عراق مضحك . ثم هذا الوصف الصادق الساخر للدكتور حلمي والد سنية في مجلسه اليومي على باب صيدلية مجاورة لمنزله مع ليف من امثاله أرباب المعاشات يحدّثهم عن السودان ، ولا ينسى هو الآخر اذ يغضب لشرفه وكرامته ان يذكر وقائع القتال التي حضرها وخاصة واقعة أم درمان . وعندك الى جانب هذا الحادثتان الطريفتان اللتان وقعتا للعالملة « شخلع » في حفلي زفاف دعيت لحياتهما . ثم اليك المشهد الخلّاب الذي يتبع فيه « مصطفى » خطي « سنية » لأول مرة ، فاذا به في عبادة طبيب لا يدري اي الامراض يعالج حتى يستطيع ان يستعد لمقابلته بمرض يناسب المقام . . . ويرتبك ويقع في حيرة شديدة ويتصرّف تصرفاً يثير في نفسك الضحك والاشفاق معاً

والى جانب قوة الفكاهة والسخرية في المؤلف تجدد ملكة التصوير والوصف قوية بارزة ، فالمؤلف يصف لك كثيراً من الشخصيات وكثيراً من الاماكن ، ويصور لك كثيراً من الحوادث والمشاهد فتلمس في كل هذا قوة الفنان المبدع ، ومن أبلغ المشاهد التي تتمثل فيها هذه القوة في اكل صورها المشهد الذي يصف لك فيه منزل الساحر « الشيخ سمحان » الذي قصده زنوبة ، وحال النساء الجالسات وما يخجلهنّ من شعور ومن فكر

ونجد هذه الصورة الدقيقة لكثير من المشاهد والعادات المصرية ، وفي وصف المؤلف لقهوة (المعلم شحاته) يعطيك للقهوة « البلدي » وصفاً بارعاً كاملاً ، كما ينقل اليك في اسطر قلائل وصفاً شاملاً محيطاً (للموسكي) . وفي حديثه عن « شخلع » العالملة تتمثل لك هذه الشخصية التي كانت في وقت من الاوقات اساساً في صميم حياة المجتمع المصري ، في افراحه ولياليه الساهرات

الى جانب هذا تلمس بين سطور القصة قوة المؤلف في التحليل والغوص وراء خبايا النفس وخلجات القلب ، وابرارها ابرازاً قوياً واضحاً على تعقدها واضطرابها ، وقد ذكرت لك عندما حدثتك عن « سنية » هذا المشهد الذي تلتقي فيه نظرتها « بمصطفى » لأول مرة وقد حلّله المؤلف تحليلاً رائعاً . ومن الآيات في هذا الباب مشهد الوداع بين « سنية » و « محسن » عندما زارها قبيل سفره الى العزبة ، وهو يكاد يبوح لها بحبه فيمنعه الحياء وقلة التجربة ، وهي تكاد تلمح هذا الحب الذي يضج به قلب الشاب فتتمر به عجيلى ، وان كانت قد ارتاحت اليه . كذلك تقرأ في ثنايا القصة هذا التحليل الدقيق لما انتاب « محسن » من شتى العواطف عند ما وصله خطاب « سنية » او على الاصح الخطاب الذي توهم انه منها ، وتعرض لنا هنا قضية العقل والقلب كما عرضت لنا في « اهل الكهف » . و « محسن » مهيب الجناح بين هاتين القوتين الهائلتين ، حينئذ الغلبة للعقل فمحسن يأبس كل اليأس ، وحينئذ الغلبة للقلب فمحسن راج كل الرجاء . ويبلغ سلطان القلب عليه جبناً مبلغاً قوياً حتى ليغالط نفسه في الحقيقة المروعة التي صرحت له بها « زنوبة » اذ اطلعته على

حقيقة الخطاب وان الذي كتبه « عرض الجلي » فعلاً ... يغالط « محسن » نفسه في هذه الحقيقة التي لا شك فيها ويحتفظ بالخطاب كأثر مقدس من « سنية » !! بل ها هو يفزع ويمتقع لونه اذ يقرأ « سليم » الخطاب ولا يجد فيه هذه المعاني التي يفرضها « محسن » فرضاً على هذه الكلمات التافهة التي تضمنها الخطاب . و « سليم » لم يفعل اكثر مما فعله « محسن » نفسه في فترات كان العقل يسود فيها تفكيره . ويصل بمحسن الوهم الى ان يعتقد ان الامر جد ، وان « سنية » ارسلت له هذا الخطاب حقاً ، وانه هو المعلوم لانه لم يزرها بعد عودته من السفر . وتحت تأثير هذا الوهم يذهب « محسن » فعلاً لزيارة « سنية » « وكانما الخيال واستمراره اعاره في نظره قوة الحقيقة ... او ان الوهم انقلب عقيدة . وأنى للحقيقة ان تهزم العقيدة ! الا ان يهزم العقل القلب ! ؟ » وهذه هي العقيدة في اسمي مظاهرها ، او قل ان هذا هو الايمان المطلق لا يحده شيء ، ولا يعوقه شيء عن ان يسمو فوق مدارك العقل وقوى التفكير . فاذا رجعنا الى ما كنا فيه من الحديث عن براعة المؤلف في تحليل نفوس ابطاله كان زاماً عليّ ان اشير الى هذا التحليل الدقيق الذي نرى منه كيف ان « مصطفى » الذي ظل الاسابيع الطوال جالساً على القهوة ، عاطلاً لا هم له الا تزجية الفراغ وقتل الوقت ، « مصطفى » هذا يكاد يقتله الملل والضيق لانه جلس ذات صباح زهاء ساعة ولم تفتح نافذة منزل « سنية » ويراها !! ويئس من رؤيتها فسأل نفسه فيما اذن جلوسه في القهوة ؟ ! « ونسي انه كان يجلس بالقهوة دائماً ... وانه كان ينفق الساعات الطوال فما تامل كما فعل اليوم ولم يمض على جلوسه ساعة »

« فان لم يكن قد فكر من قبل في القيام بهذه السرعة فلا أنه لم يكن ينتظر شيئاً ، ومن لا ينتظر شيئاً يستطيع ان يقعد العمر حتى العفن وحتى يأكله الدود وهو في مكانه »

وتجد هنا وهناك في ثنايا القصة ومضات صغيرة ، من كلمة عارضة ، او اشارة خاطفة ، او جملة طابرة ، ينطوي تحتها الكثير الحجم من المعاني والصور ، وانها لتتم لك الصورة التي يريدنا المؤلف حتى كأنما نقتطع فيها الروح والحياة . فصورة العسكرية الهازلة المضحكة في « سليم » لم تكن لقيم لها هذا الابداع في التصوير لولا « بدلة التشريفة » التي ارتداها عند زيارته بيت « سنية » ليصلح البيانو . وكان « محسن » يقرأ في ديوان « مهيار » فاذا تمثل في بعض حالانه ببيت من الشعر ، تمثل ببيت لمهيار ، وهذا طبيعي ، ولكن هذا هو الاعجاز في مقدرة المؤلف اذ يأتي لك بالصورة التي تحس فيها الطبيعة المألوفة في غير تكلف ولا تصنع ، حتى لتمر بها دون توقف او تمنع . وهذه هي الدقة في الفن ، ان تخفي الفن فلا يبدو الا أثره ، وكأنه من صنع الحياة نفسها لا من عمل الفنان المبدع . فاذا وقف « محسن » على ضريح السيدة وقد امتلأ قلبه بالأس من حب « سنية » امسك باهداب الضريح وتشبث بحديده ولم يقل اكثر من « ياسيدة زينب » وفي هاتين الكلمتين آلام وآمال ، بل حياة كاملة . وكلمة المحزون المتهدم اذ يهمس وقت ضيقه وبأسه « يا رب ... » فيها من الفجعية والمرارة ، ومن الحزن والاسى ، ثم من التضرع والرجاء ، والامل والتطلع ، ومن عشرات بل مئات المعاني ما لا تشرحه المجلدات

الضخام. وما يجيء على قياس هذا ويعتبر من آيات الدقة في تحليل عواطف أبطال القصة، أن كل فرد من أفراد الشعب لا يكاد يداخله حب «سنية» حتى يحس وكأنه خلق خلقاً جديداً، ويعود إلى المنزل ليرى أن الحياة التي يحياها وسط «الشعب» حياة لا تليق به، أو أنهم ليعجبون، كل بدوره، كيف استطاعوا عليها إلى اليوم صبراً!! على اختلاف كبير بينهم في سبب هذا الضيق الذي احسوه

وشعور المرء بعد أن يداخله احساس قوي قاهر كالحب، غير شعوره قبل ذلك. كذلك لم تنتبه «سنية» لما حباها الله من جمال وفتنة إلا بعد أن تيقظت فيها الانثى.... بعد أن لحث «مصطفى». ثم ما أصدق هذا التحليل للصلة بين محسن وسليم وعبدته تجاه حبهم لسنية، فأياً منهم احس الاثنان الآخر أنهما يحبها تحالفاً عليه، فإذا عرضت لهما الفرصة المناسبة سخرا منه وهزئاً به

وكما يكتشف أبطالنا الثلاثة فجأة غرابة هذه الحياة التي عاشوها إلى تلك الساعة، إلى أن احببوا سنية، كذلك تنبه «مصطفى» فجأة، بعد أن احب سنية، إلى قدارة قهوة المعلم شحاته.... وهو الذي قضى فيها شهرين قبل ذلك ولم ينتبه لهذا. وتنبهت «سنية»، بعد أن احبت «مصطفى» إلى أن شرفته تحاذي نافذة حجرتها، فشكل بطل في القصة يكتشف بدوره شيئاً له علاقة بالعاطفة الجديدة التي طرأت عليه، وبالمخلوق الجديد الذي طلع في سماء حياته

ثم هذا «محسن» يلقى نظرة على منزل أسرته في دمنهور عند وصوله بالإجازة، ونظرة أخرى على منزل اعمامه في القاهرة، منزل «الشعب»، عند عودته، ولكن شتان ما بين النظرتين، فالأولى تحس فيها نظرة الغريب عن البيئة والوسط، والثانية نظرة العائد إلى أرض الوطن، الأيب إلى الأهل والأخوان، وقد يبدو لك هذا غريباً، ولكن المؤلف يحلل لك هذا تحليلاً دقيقاً يرد به الأمور إلى حقائقها، وخلجة النفس إلى مبعثها وعلتها، ويريك أن أم محسن نفسها تحس بهذا الفارق بينها وبين ابنها، ولو استرسلنا لعرضنا لمشاهد القصة كلها واحداً واحداً، ففيها كلها دون استثناء تبدو ملكة التحليل النفساني في المؤلف قوية بارزة، كل القوة والبروز. قلنا أن من طبيعة الفن القصصي الاستطراد والاحاطة والسرد الطويل. والمؤلف ينتهز لهذا كله أنسب الفرص وأروعها، وأنه لينحرف بك أحياناً عن مجرى القصة فلا تحس بذلك لأنه يخلق له الفرصة العارضة التي تلائم كل الملاءمة، وهذه قصة «شخلع» وحوادثها جاءت عرضاً على لسان «محسن» اذ يقصها بمناسبة ما أبدته «سنية» من الإعجاب بمهارته في الغناء، فيذكر لها أنه درسه على «شخلع» ثم يمضي محدثاً عن استاذته

ولنتتهي من الحديث عن توفيق الحكيم القصصي بعد أن عرضنا لبعض قوي الخلق والابداع فيه، لنفرغ قليلاً لتوفيق الحكيم الباحث المفكر، ولما يعرض من قضايا في ثنايا القصة، على أني أريد أن احذرك من هذا المؤلف فهو ما كره شديد المكر، داهية كبير الدهاء، يحلو له أن يسخر من القارئ والناقد، فيسخر منهما ولكن في حذق كثير ومهارة يحسد عليها، خلق الفرصة المناسبة لدخول «زنوبة» و«محسن» منزل «سنية» ثم «مبروك» وافسد سلك الكهرباء

ليجد « لعبده » عذراً في زيارة منزل الجيران ، وبقي لديه « سليم » من افراد الشعب وكان حتماً لسياق الحادثة أن يقتحم هو الآخر منزل « سنية » ، وكان من الغريب حقاً أن يفسد البيانو هذه المرة لتخلق الفرصة المناسبة « لسليم » وأحسن المؤلف أن الناقد يستطيع هنا أن يدخل أنفه كما يقولون ، ليبيدي عجبه من هذه الفرص التي تتاح لافراد « الشعب » الواحد بعد الآخر ، فبدأ هذا المشهد قائلاً « لا أحد يدري ان كانت هي مداعبات القدر ام مداعبات شخص من البشر . . . » وأحال على القدر خلق هذه الفرصة الجديدة لسليم ، وكأنه — اي المؤلف — لا عذر له في ذلك ولا حيلة !! واعترف معي بأن المؤلف يكرر بنا غاية المكر ، بل قل انه ماهر لبق ، وقل معي بأن نواحي القدرة والابداع في ملكاته فاقت كل حد ، ووسعت كل شيء *

من أبرز الصور الواضحة النيرة في هذه القصة روح التضامن والاجتماع التي يبثها المؤلف في كل سطر ، في اخلاق كل شخصية ، وفي تضاعيف كل حادثة ، وفي علاقة الابطال والحادثات بعضها ببعض ، وانها لتمثل لك في حياة « الشعب » أبداع تمثيل ، في هذا الارتباط الذي يجمعهم في الحس والشعور والعاطفة ، في هذا التعلق الغريب كل فرد منهم بالآخرين ، حتى لنجد ان « محسن » اقرب روحاً وألفة الى اعمامه منه الى اهله ، ثم هذه الوحدة الرائعة في اجتماعهم حول « محسن » اذ يحسون بألمه ، وغرقت شجونهم الفردية في عاطفة المجموع ، وكأننا أصبح « الكل في واحد » وهذا « عبده » اذ يعلم بالتصال « سنية » بمصطفى يحس « انه كان احب اليه الف مرة ان تختار سنية سليماً او محسناً من ان تختار هذا الغريب . . . » « ولا حظ وهو يتكلم ويشور انما يتكلم باسمهم جميعاً لا باسمه وحده فقط » ثم هاهم جميعاً تأخذهم هزة جنونية من الفرح والسرور اذ يظنون ان خطاباً وصل لمحسن من سنية ، وكأننا هو لهم جميعاً !! ويرتاح محسن « الى ان ماله أصبح ملكاً للجميع . . . » « ورضي ان يذهب لمقابلة سنية عليه يأتي بنتيجة يفرح بها الشعب » وليس ابعد من هذا انكاراً للذاتية في سبيل المجموع ، وليس اروع من هذا تمثيلاً لروح الاجتماع التي تسود القصة ، وتمثل في بعض صورها الفاتنة في حياة « الشعب » كما تتمثل في حياة القرية ، وفي هذا التضامن القوي العجيب بين الفلاحين . . . ، في تقاسم البلوى ومشاطرة المصائب ، كما فعلوا مع الرجل الذي ماتت ماشيته . وتمثل لك هذه الروح ايضاً في هذا الجمع بين المسافرين الذين سرعان ما يجلسون للحديث والسمر ، ولم تمض دقائق على اجتماعهم ، ومن هذه الصور ، ومن عشرات مثلها منشورة هنا وهناك في تضاعيف القصة ، يريد المؤلف ان يقول ان « اهل مصر شعب أصيل عريق . . . » وان « الاجتماع في دمنا والحياة الاجتماعية طبيعة نشأت فينا من أجيال » ويقابل المؤلف بين الفلاح — او المصري اذا شئت — وبين التركي والعربي ، فيرفعه فوقهما درجات ، ويجعلك تسخر من الاول في شخصية ام « محسن » بل انه ليمالك غضباً منه بما تأتبه هذه التركيبة المتعجرفة من الغلظة والفظاظة . وانظرها ترد عنها فلاحه قدمت ترحب بها — بعيد . . . بعيد . . . حاسي توسخي فستاني . . . ونحيبها الفلاحه في حلم وبشر ضاحكة الوجه

— يوه ! مش ستنا نبوس ايدها ! امال نبوس ايدين ؟

وقابل بين الاثنين ! او بين الاثنين، الفلاح بوداعته وحلمه وسعة صدره ، والتركي بما ترى منه في هذا المشهد ! . أما ما بين الفلاح والعربي فهذا شيخ العزبة — ولا اقول المؤلف — ينعت العرب بأنهم « جماعة خطافة جرابيع . . . » وقد احيلك اذا شئت ان تعرف رأي المؤلف صراحة في هذا على كلمة له نشرها في مجلة « الرسالة » الغراء كخطاب مفتوح للدكتور طه حسين . على ان المؤلف في القصة يمتدح الفلاح ويرجع هدوءه ووداعته الى كرم الاصل « فهو اصل الاصول » لا الى ذل العبودية ، كما يرجعهما الى حياته الزراعية العربية التي تتطلب السلام والاستقرار ، فهدوءه ليس خنوعاً ولا ذلة ، وجوح العربي وحبه الحرب والثأر والدم ليس بالشرف الذي لا يطاول ، ولكنه بقايا الحياة الهمجية الاولى التي اساسها الغزو والسلب ونهب القبيلة القبيلة ! . وكما سمح المؤلف للتركي على لسان ام محسن ان تسب الفلاح ، سمح للفلاح على لسان شيخ العزبة ان يسب العربي ، وكأنه بذلك يرد الى الفلاح اعتباره ، ويوسع له في المجال لينتقم لنفسه من هذه العناصر التي دخات وطمه فاعتبرت نفسها ، وهي الدخيلة ، ربة الدار ، واعتبرت الفلاح — او قل المصري — وهو الاصيل وأصل الاصول ، الدخيل المتطفل . وان المؤلف لجدير باكليل نضر من نبت ارض الوطن جزاء لهذا الكريم المعتر بالوطن وان المؤلف يضفي على الريف المصري لوناً من القداسة حتى لكانه محراب كاهن ، ويجعله مناراً لقوة العقيدة الخالصة والايمان الخالص ، ويدفعنا في قوة وعنف الى الوراء ، الى مصر الفرعونية . ويبرز لنا من هذا الريف ومن ابناؤه صورة صوفية في تألفهم وكدهم وتمسكهم في سبيل المعبود ! المعبود المتعدد — على التارخ — الاسماء والاشكال والرموز ، صورة فيها هذا الجوهر الباقي الخالد الذي يربط بين مصر اليوم ومصر الامس ، روح الجماعة ، او روح المعبود كما عبر عنها المؤلف على لسان الفرنسي في هذا الحوار — الذي هو مفتاح القصة — بينه وبين زميله الانكليزي . وكما وجدت هذه الروح في مصر الفرعونية « فتحول الشعب كله الى كتلة آدمية واحدة تستعذب الالم في سبيل واحد : خوفو ممثلي المعبود ورمز الغاية . . . » وجدت مرة اخرى في مصر الحاضرة ، ولم يكن ينقصها الا المعبود « ذلك الرجل الذي تتمثل فيه كل عواطف الشعب وأمانيه ويكون له رمز الغاية . . . » وكما انت هذه الروح في المرة الاولى بمعجزة الاهرام ، أتت « عودة الروح » في المرة الثانية بمعجزة الثورة ! عادت الروح ، روح المعبود ، روح الجماعة ، عادت وكنت تحت الرماد ، « كنت في البئر . . . في البئر التي خرجت منها الاهرامات ، في القاب ، القلب الذي لا قاع له وهو قوة مصر ، وهي بذلك تغاير قوة اوربا الكائنة في العقل تلك الالة المحدودة التي يجب ان نملأها نحن بارادتنا » وقد لمست عودة الروح ، روح المعبود ، روح الجماعة ، في ثنايا القصة ، في كل مشهد منها ، وكل حادثة فيها ، في صورتها الصغرى في حياة « الشعب » الذي يتألف من محسن وسليم وعبد ومبروك وحنفي وزنوبة ، وفي صورتها الكبرى في ثورة « الشعب » الذي يتألف من هذه الملايين ،

هذه الروح التي تجعل « السكل في واحد » ، كان المصري القديم يعبر عنها في نذبه موثاه قائلاً « عند ما يصير الوقت خلوداً سنراك من جديد ، لانك صائر الى هناك ... حيث السكل في واحد » ولعلك تدرك معي الآن لماذا سجل المؤلف هذه الجملة على صدر الجزء الاول من قصته . والمصري الحديث يحس هذه الروح في اعماق قلبه . وليست الثورة الاً نتاجاً لها ، لهذه الروح ، روح الجماعة ، روح المعبد ، الثورة التي اندمجت فيها الملايين فأصبحت قلباً واحداً ، وعاطفة واحدة ، وفكرة واحدة ، عادت روح المعبود ، واجتمع الشعب حول رمز المعبود الذي تمثل في رجل خرج من صلب الفلاح ، والثورة لا تقوم الاً على روح الجماعة ، فلما عادت الروح ، هبت الثورة ، الثورة التي جعلت « السكل في واحد » وعاد المصري يغترف من قلبه الذي لا ينضب ، قلبه الذي تجمعت فيه رواسب الف قرن !! ولعلك تعود الى هذا الحوار بين الفرنسي والانكليزي تسمع تفاصيل هذه القضية التي يعرضها المؤلف عرضاً قوياً أخذاً ، ولترى هذه المقارنة التي يعقدها بين مصر التي تؤمن بالقلب الذي لا فاع له ولا حده ، وبين اوربا التي يسوقها العقل المحدود ، والآلة التي نملاها نحن بما نريد !!

وفي هذا المشهد الذي يرى فيه محسن الطفل والعجل يرضعان معاً من ثدي بقرة ، يتحدث فيه المؤلف عن قلب مصر ، وعن شعور مصر ، وعن سر تأليه قدماء المصريين للحيوان بل الطير والحشرات . « وكما جعلوا الالهة على صورة رجل ، جعلوه ايضا على صورة الحيوان والطير والحشرات . أليست كل تلك المخلوقات من عمل الله ؟ فلم لا تمثل صورها الاله كما تمثله صورة الرجل !! » ويستدل المؤلف من هذا على ان قدماء المصريين كانوا « يعلمون تلك الوحدة الكونية وذلك الاتحاد العام بين حلقات المخلوقات المختلفة » « والشعور بالاندماج في الكون ، اي بالاندماج في الله هو شعور ذلك الطفل وذلك العجل

الرضيعين ، هو شعور الملائكة ، وهو ايضاً شعور ذلك الشعب العريق المصري القديم ... » فروح مصر ، هي روح « السكل في واحد » وقلب مصر ، هو هذا القلب الذي يحس بالوحدة الكونية ، ويشعر شعور الملائكة ، ثم ها هو حوريس يصيح « انهض ، انهض يا اوزريس ! انا ولدك حوريس ... جئت اعيد اليك الحياة ... لم يزل لك قلبك الحقيقي ... قلبك الماضي » وليس اوزريس وحوريس الاً رمزاً لمصر القديمة ومصر الحديثة . وقد جاءت مصر اليوم توقظ مصر الامس ، وتبعثها من جديد ، وتعيد اليها الحياة ، بقلبها الحقيقي ، قلبها الماضي ، قلبها الذي يشع طهراً ونبلاً وملائكية ولعلك ادركت لماذا سجل المؤلف هذه الجملة على صدر الجزء الثاني من قصته

وفي هاتين الجملتين اللتين صدر بهما المؤلف جزئي قصته مفتاح القصة كلها ، والسر الذي ان لمسته فقد استطعت ان تمسك المصباح الذي ينير امامك الطريق لتقهم « عودة الروح » فهماً صحيحاً ، فتنفذ من وراء ظواهرها البراقة الى لبها وجوهرها ، ولست ادعي اني خضت العباب واقتحمت اللجة ، ولكن لعلني وقفت بك على الشاطئ ، ووضعت في يدك المقذف ، واذا كنت قد ارت لك قبساً ولو ضئيلاً ، قبساً تخاق منه شعاعاً ، ومن الشعاع نوراً يهديك وسط هذا العباب الخضم ، فاني سعيد مغتبط ، لم يذهب جهدي سدى ولا قبض الريح . وهذا حسي

مشكلة النمسا

نزاعها الداخلي والنزاع حول الاحتفاظ باستقلالها

لم تكن الحرب الاهلية التي شبت نيرانها في النمسا في الاسبوع الثاني من شهر فبراير الماضي ، حرباً بين حكومة وطائفة من رعيتهما فحسب ولا كانت دفاعاً من حزب كبير في امة جمهورية عن كيانه فحسب بل كانت معتركا لقوى عالمية عظيمة : الفاشستية والدكتاتورية من ناحية والاشتراكية والديمقراطية من ناحية ، الرأسمالية في جانب والتعاون الاقتصادي او الاندماج الاقتصادي في الجانب الآخر . والنزاع الداخلي في جمهورية النمسا ، الذي ما زالت بواعثه تنهياً من زمن في الخفاء ، كان مظهراً للنضال بين هذه القوى . فالاشتراكيون المسيطرون على عاصمة النمسا واكبر مدنها ، كانوا عازمين على الدفاع دون سيطرة الفاشستية على الامة ، ايّا كان طابعها . والفاشستيون الذين قاوموهم كانوا منفصلين الى معسكرين ففي المعسكر الواحد اتباع هتلر ، وفي المعسكر الآخر انصار موسوليني . فوفقت اوربا ترقب نتيجة المعترك ، لانه ينطوي على الاجابة عن مسائل خطيرة - هل تتوسع المانيا في حوض نهر الطونة ؟ ما يكون مقام ايطاليا في قلب اوربا ؟ وما مصير الاتفاق الصغير ، اذ توسعت المانيا في اوربا الوسطى او بسطت ايطاليا عليها ظلّ نفوذها ؟ وما موقف فرنسا من هذا كله ؟ وكذلك استوفقت هذه الجمهورية الصغيرة انظار العالم ، كما استوفقت امبراطورية آل هابسبرج في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ يوم مصرع الارشيدوق فرانز فرديناند في سراييفو

النزاع المثلث

النزاع الداخلي في النمسا ، الذي افضى الى الحرب الاهلية الدامية في فبراير ، نزاع ثلاثي ، بين الاشتراكيين وقوى الحكومة التي يؤيدها الهيمفهر والنازي النمساوي يؤيدهم النازي في المانيا الاشتراكيون اقوياء في المدن مثل فيينا ولنز ويمثلون نحو ٣٥ في المائة من الناخبين . ومع انهم كانوا مسيطرين على بلديات المدن ، كانوا عاجزين عن التأثير في شؤون الجمهورية العامة . ولما كان برنامجهم السياسي والاجتماعي تقع وقعا حسنا في نفوس عمال المصانع على الغالب كان نفوذهم ضعيفا في الولايات الريفية والزراعية . ولكن سكان العاصمة فيينا نحو مليوني نفس - وهم ثلث سكان الجمهورية - وفيها معظم ثروة البلاد ، لذلك كانت حكومتها الاشتراكية ومشروعاتها هدفا لتبرم الناس في الارياف ويواجه الاشتراكيين الحزب الاشتراكي المسيحي (وهو ليس اشتراكيا) يؤيده الفلاحون الكاثوليك والطبقة المتوسطة في الولايات ، وعدد الناخبين المنضوين تحت لوائه يعادل عدد الناخبين المؤيدين للاشتراكيين . ومن اعضاء هذا الحزب رجال منتظمون في الهيمفهر وهو فرقة عسكرية

فاستتية النزعة ، تميل الى اعادة الملكية وتجريد الاشتراكيين من اي كلمة نفوذ في تصريف شؤون البلاد
اما الفريق الثالث فهو فريق النازي النموسي يؤيدهم اخوانهم في المبدأ والعقيدة في الرنج
الثالث (المانيا) . ولما كانت النمسا لم تحدث فيها انتخابات في السنتين الاخيرتين فمن المتعذر تقدير
عدد أنصار النازي في الشعب النموسي وانما يقول بعض المعروفين بصحة الحكم ان نحو نصف الامة
النموسي يرغب في قيام حكم نازي . ومع ان النازي والهيمنفر متفقان في كثير من أصول خطتهما
الآن ان النازي يرغب في انضمام النمسا الى المانيا حالة ان الهيمنفر يعلن ضرورة الاحتفاظ باستقلال النمسا

الاشتراكيون واعرائقهم

لما هوت أسرة هابسبرج عن عرش النمسا والمجر في سنة ١٩١٨ تعاون الاشتراكيون في النمسا
مع الاشتراكيين المسيحيين على انقاذ ما تبقى لهم من امبراطوريتهم التاريخية فتصدوا لانتشار
الشيوعية وصدوها . فوقفوا في وجه دعاة المذهب الماركسي ، ومنعوا حدوث نضال دموي بين
العمال والطبقات المتوسطة . ومن غرائب الاقدار ان طائفة من هؤلاء الذين انتقدوا النمسا من
الماركسية بعيد الحرب قتلوا في الاسبوع الثاني من فبراير الماضي بحجة انهم من اتباع ماركس
والواقع انه منذ ما أنشئت جمهورية النمسا ، نشأت عداوة فيها بين الفلاحين والطبقات المتوسطة
في الناحية الواحدة ، وبين الفلاحين والاشتراكيين في الناحية الاخرى . ولما كان الاشتراكيون
المسيحيون يخشون سيطرة الاشتراكيين على فيينا طلبوا انشاء حكومة اتحادية ، بدلاً من تركيز اعمال
الحكومة التنفيذية والتشريعية في فيينا على نحو ما طلب الاشتراكيون . بيد ان الفريقين تعاونوا على
اخراج دستور اتحادي بعد مساومة طويلة فاحتفظ الاشتراكيون بمقتضاه بالسلطة في العاصمة وقبض
الاشتراكيون المسيحيون على اعنتها في الولايات . الآن الهوة بين الحزبين لم تزد . ذلك ان التعاون
الذي تقتضيه الصناعة يتنافر مع النزعة الفردية السائدة في الولايات الزراعية ، والشعور الديني الذي
يسود الفلاح في الارياف مناقض للنزعة الدنيوية في العاصمة . وكثيراً ما هدد الفلاحون بالانقضاض
على العاصمة من اوجارهم في الجبال ، لآبادة أبناء سدوم وعمورة ! فالحاجز بين سكان فيينا وسكان
جبال التيرول وكارنثيا وستيريا ليس الجبال فقط بل النظر الى الحياة ، وهو اهم

ووجد الفلاحون انصاراً لهم في المدن في جماعات الملاك ، لان هؤلاء معادون للاشتراكيين ، لنقل
الضرائب التي كانت تفرضها عليهم حكومة فيينا الاشتراكية ، لكي تبني بها مساكن حديثة النظام
للعمال . لذلك لما شبت نيران الحرب الاهلية في فبراير ، صوّت مدافع اعداء الاشتراكيين الى
« كارل ماركس هوف » وغيره من المباني الحديثة التي أقامتها البلدية لسكنى العمال

بيد ان الاشتراكيين لم يعمدوا الى فرض الضرائب على الملاك بعامل الحسد من رؤسهم . ولكن
البلدية الاشتراكية واجهت مشكلة خطيرة في فيينا عند تقلدها أزمة الحكم هي مشكلة نقص المساكن

عما يحتاج اليه سكان المدينة . ففي عهد الامبراطورية كان عمال فيينا يقطنون مساكن كخظائر القطعان ، بل ليقال ان ألوفاً من الاسر كانت لا تجد الاسرة منها الا غرفة قدرة صغيرة اسكنهاها وكانت مع ذلك غالية الاجر لان اصحابها من الملاك كانوا من أصحاب المكانة السياسية في البلاد . وهتلر يؤيد هذا في كتابه الموسوم « كفاحي » مع انه من أعداء الاشتراكية

سن الاشتراكيون في فيينا قوانين حددوا بها اجور المساكن في العاصمة وفرضوا ضرائب ثقيلة على العقارات ، وبما حصلوا عليه من مال الضرائب شرعوا يبنون مباني ضخمة حديثة ، قطنها نحو ستين ألف اسرة من اسر العمال . وبلغ من نجاح الاشتراكيين في عملهم هذا ، ان اصبحت مبانيهم هذه مثلاً يحتذى في تشييد مساكن للعمال في اكبر مدن العالم . ولما كانت اجور السكن في هذه المباني رخيصة كل الرخص ، فقد كان من المعقول المتوقع ان تصبح هذه الصروح معاقل للاشتراكيين . وكذلك اصبحت الملاك في عنف حنقهم على الاشتراكيين يحسبون هذه المباني نمواً غير طبيعي في العاصمة . ثم ان حكومة فيينا الاشتراكية عمدت كذلك الى الاستيلاء على المرافق العامة وجعلت تنفق ماتحصل عليه من الربح والضرائب في تحسين الحال الاجتماعية من صحة وسكن وأجور ورغد في حال التعطل عن العمل — كل هذا دبّرت له حكومة فيينا الاشتراكية ادق تدبير . اما اصحاب المصانع والتاجر والمباني فكان عليهم ان يسدوا نفقة هذا الاصلاح

قيام الفاشستية

فلما امتدّ ظل الكساد الناشئ عن الازمة العالمية ، فوق اوربا الوسطى ، اتسعت الهوة بين الملاك والاشتراكيين . وكان لتطور الحال في المانيا وايطاليا اثر كبير في النمسا . وجعل الفلاحون الجبليون يميلون الى القوى المعارضة لدعاة الماركسية . يضاف الى ذلك ان ما يصحب النزعة الفاشستية من جلال ومجد ملاً في صدور النمسيين ذلك الخواء النفسي الذي احدثه سقوط اسرة هابسبرج الامبراطورية . وما كان الفلاح ليهتم بالمباحث النظرية في اسباب الكساد العالمي وبواعثه بل كان لا يفهم الا ان الازمة آخذة بالخنق ولا يطلب من الحكومة الا مدداً للعيش . هنا توسط دعاة الفاشستية في النمسا فقالوا للفلاح ان السبيل الوحيد الى الخلاص انما هو اعادة الاشتراكيين

في هذا الجو نشأت فرقتان عسكريتان : الاولى « الشوتزبند » الاشتراكي وعدد افرادها مائة الف و« الهيمفهر » المقاوم للديمقراطية وعدد رجاله ستون الفا . ومع ان الهيمفهر جمع معظم رجاله من الفلاحين واهباء الطبقات المتوسطة في الارياف ، الا ان مدده المالي كان مستمداً من اصحاب المصالح الصناعية والتجارية الذين كانوا يرغبون في القضاء على الاشتراكيين . ويقال ان الهيمفهر اصاب كذلك مدداً مالياً في المانيا وايطاليا . اما البرنس فون ستارميرج فخلع على هذا الفريق ثروته واسم أسرته التاريخي المجيد فلما ارتفع كوكب الهر هتلر في سماء السياسة ، اخذت حركة النازي في النمسا تتسع وتقوى .

فأيندها أولاً رجال «حزب الجامعة الجرمانية» وانضمت اليهم طائفة من رجال الهيمفهر لأنها معادية لليهود والاشتراكيين على السواء . واخذ الفلاح النمساوي غميل من هبسبرج الى هتلر . فلما اهلت سنة ١٩٣٣ كانت تلك الجمهورية الصغيرة معتركا لجيوش خاصة مدربة ومنظمة ينادي بعضها بسقوط الجمهورية فلما تم النصر للنازي الالماني في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ بتعيين اهر هتلر مستشاراً للريخ ، اخذ زعماء النازي في النمسا يتصورون زحف اصحاب القمصان السمرة من المانيا الى فينشا . ولكنهم حينئذ لم يحسبوا حساباً للدكتور دولفوس . ذلك ان دولفوس اصدر امراً في يونيو سنة ١٩٣٣ بحل الحزب النازي فكان في نظر بعض مواطنيه كالفتى داود يقاوم جليات الجبار (طول دولفوس ٤ اقدام و ١١ بوصة مع ان متوسط طول الرجل قريب من ٥ اقدام و ٦ بوصات) . وفي خلال ذلك كان النزاع بين الاشتراكيين والمسيحيين الاشتراكيين في البرلمان النمساوي ، عنيفاً كل العنف ، خال نزاعهما دون العناية بالتشريع . ومع ان اهر دولفوس كان في حاجة شديدة الى مدد لمقاومة النازي خشى ان يتفق مع الاشتراكيين لان الهيمفهر وحزب المسيحيين الاشتراكيين يعارضان في ذلك . فخارى رغبتهما في تشديد الخناق على الاشتراكيين وسن قوانين تضعفهم وحل جيشهم الخاص المعروف «بالشوتزبند» فلما اقبل الخريف تبين لمراقبي الحالة في النمسا ان الدكتور دولفوس يعتمد على الجيش النظامي والهيمفهر ، ونزعة وطنية جديدة عمد الى خلقها في نفوس اتباعه ، في مقاومة النازي والاشتراكيين . وفي سبتمبر وعد باحداث تعديل دستوري على نمط الدولة المندمجة الايطالية فتحل النقابات والمنتجعات الصناعية والزراعية محل الاحزاب ، ويتصافى العمال والفلاحون . ولكن هذا الوعد لم يكن قد انجز لما وقعت الحرب الاهلية في الاسبوع الثاني من فبراير

وفي خلال ذلك اشتدت حملة النازي في النمسا ، وبدأت في الهيمفهر دلائل الاستعداد على الاتفاق مع النازي النمساوي مع ان زعماءه اعلنوا انهم مقاومون لهتلر . وكذلك واجه اهر دولفوس مشكلة معقدة ، وهو منها على مفترق الطرق . وزادت المسألة تعقيداً وارتباكاً لما ظهرت لجان من الهيمفهر امام حكام الولايات مطالبة بالانشاء نظام فاشستي وحل جميع الاحزاب بما فيها حزب المسيحيين الاشتراكيين مع ان هذا هو حزب الهيمفهر . فلما ذهب دولفوس في رحلة الى بودابست في اوائل فبراير ، امر نائب المستشار الماجور فاي — وهو زعيم الهيمفهر — رجال البوليس بمهاجمة اشتراكي فينشا . فقام زعيم من حزب المسيحيين الاشتراكيين في مجلس فينشا البلدي واقترح التعاون بين الاشتراكيين والمسيحيين الاشتراكيين . ولو ان اقتراحاً من هذا القبيل جاء قبل سنة ونصف سنة لامكن تعاون هذين الحزبين في مقاومة النزعة الفاشستية ، من قبيل النازي كانت او الهيمفهر . فرأى زعيم الهيمفهر في هذا الاقتراح خيانة وسلم دولفوس برأيه فضرب الاشتراكيين الضربة القاضية . ولكن الشوتزبند وهو جيش الاشتراكيين ظل محتفظاً بنظامه واسلحته ، رغم صدور الامر بحله في منتصف السنة السابقة فقاوم الحكومة وأتباعها مقاومة عنيفة اراقت الدماء في فينشا وغيرهما من المدن

وكان دولفوس يظن أن سير الأمور في النمسا، يتبع سيرها في ألمانيا، حيث خضع الاشتراكيون الديمقراطيون لأوامر هتلر من دون كفاح ولكنه أخطأ التقدير

فأيدي الفاشستية في النمسا ملطخة بالدم، ولا ريب في أن ملايين من النمساويين المؤمنين بالمبادئ الاشتراكية، يكتنون في قلوبهم كرهاً شديداً لدولفوس وفلي والبرنس ستارميرج. وعند ذلك فقد يجد رجال الحزب النازي النمساوي، مرتعاً خصباً لدعايتهم بين هؤلاء الاشتراكيين لأن زعماء النازي النمساوي وقفوا بمعزل عن النزاع الديموي ينتظرون سنوح الفرصة

وقد كان الهيمفهر شديد الصخب عالي الضجة في شؤون النمسا في العهد الأخير، إلا أنه لا يمثل أكثرية من الشعب. ولكنه مع ذلك الحرس الشاكي الذي تعتمد عليه الحكومة القائمة. وقد يكون في نية الهيمفهر، أن يتبع خطة التعاون مع موسوليني، سواء رضي أن يجاريه دولفوس في ذلك أو لم يرض، وفي تلك الحالة قد يحاول زعماءه القضاء على الاشتراكيين والنازي، إذا جرب أحد الحزبين أن يرفع رأسه. أو قد يحاول زعماء الهيمفهر أن يتفقوا مع هتلر، فتم بذلك الاتحاد المعنوي بين النمسا وألمانيا، وهم يطلبون في هذه الحالة أن تبقى مقاليد الأمور في النمسا في أيديهم

النزاع الخارجي

لما هوت امبراطورية النمسا والمجر في آخر الحرب الكبرى، ظلت جمهورية النمسا وحدة اقتصادية بتراء. لذلك سعت ألمانيا والنمسا إلى توحيد البلدين من الناحية الاقتصادية على الأقل. وكان الاشتراكيون الديمقراطيون في كلا البلدين مؤيدين لهذا التوحيد، رغم ما فرضته الدول الظافرة دونه من الحوائل. لذلك حاول الدكتور بروينغ المستشار الألماني في مارس سنة ١٩٣١ أن يتفق مع الدكتور شوبر النمساوي على إنشاء اتحاد جرمي بين ألمانيا والنمسا. فأحدثت هذه المحاولة أزمة أوروبية حينئذ، وحكم على ألمانيا والنمسا بالتخلي عن هذا المشروع

فلما اتسع نطاق الدعوة التي نشرها هتلر، تجددت العناية بمسألة الاتحاد. ذلك أنه إذا اشتد ساعد النازي النمساوي وقامت حكومة نازية في فيينا، أصبح ضم النمسا إلى ألمانيا مستطاعاً من دون خرق مواد معاهدات الصلح أو قرارات مجلس السفراء التي تمنع ذلك، على أن يكون هذا الضم معنوياً لأن كل حكومة نازية تستمد مبادئها وأرشادها من هتلر. وكذلك تصبح إذا وقع انقلاب نازي في النمسا، مدن فيناً وأنسبروك ولسنبرغ وكأنها سهام نازية مسددة إلى قلب أوروبا. وهذا يقيم في وجه فرنسا وإيطاليا وتشيكوسلوفاكيا وبلاد شرق أوروبا الجنوبي مشكلات دولية خطيرة تتصل بحياتها القومية أوثق اتصال فلما زار السنيور سوفتش وكيل وزارة الخارجية الإيطالية فيناً من عهد قريب، علق في تصريحاته شأنًا خطيراً بضرورة الاحتفاظ باستقلال النمسا. وقد ترامت الشائعات بأن موسوليني قد أيد الهيمفهر تأييداً مالياً وسياسياً اعتقاداً منه أنه القوة الوحيدة التي تستطيع أن تصد هتلر، وتحول النمسا

الى اداة مطواعة تستعملها سياسة ايطاليا الخارجية في اوربا الوسطى وما يليها من جنوب اوربا الشرق ومن المتعذر الآن التكهن بالمستقبل ، وهل تنتهي الحالة في النمسا بفوز موسوليني او هتلر . ولكن في شمالي ايطاليا ، شعب الماني غير راضٍ عن حالته ، فليس من المرجح ان يقنع موسوليني بالتفرُّج اذا حاولت المانيا تأييد النازي النمساوي حتى يفوز بتقلد ازمّة الحكم في البلاد . أما فرنسا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا فقد كانت مصالحها ولا تزال مرتبطة بالحفاظ على استقلال النمسا وبقاء نظام الحكم ديمقراطياً فيها . فالقضاء على الاشتراكيين في النمسا ، يزيل سندها الاخير في قلب القارة الاوربية . ثم ان يوغوسلافيا تتسبّع الشؤون النمساوية بعناية وقلق . فقد مضى عليها ربح من الزمن وهي تواجه ايطاليا حردة على الضفة الاخرى من البحر الادرياتيكي . فاذا استقلّ الهيمنهر بالحكم في النمسا ، وكان مؤيداً من موسوليني ، اصبح صلة بين ايطاليا والمجر ومكّن ايطاليا من اتمام الاحداق بيوغوسلافيا

وتشكوسلوفاكيا يهملها طبعاً مصير النمسا وقد اعلنت بلسان وزير خارجيتها انها تعارض في عودة آل هابسبرج الى عرش فينسا وانها متفقة مع دول الاتفاق الصغير (تشكوسلوفاكيا ورومانيا ويوجوسلافيا) على سحب وزرائها المفوضين من فينسا يوم دخول البرنس اوتو وانها قد لا تحجم عن استعمال القوة لمنع هذا . ويقال ان بنش والرئيس ماسارك ايّدا اشتراكيي فينسا تأييد مصالحة ومبدأ . أما المصلحة فخشيتهما من استفحال امر الفاشستية في النمسا - هتيرية كانت او موسولينية - وأما المبدأ فإيمانهما بالنظم الديمقراطية . وشد ما يخشيانه على تشكوسلوفاكيا قيام حكومة نازية في النمسا لان ضمن حدود تشكوسلوفاكيا اقلية المانية كبيرة عددها ثلاثة ملايين ، لا بد ان تضلع مع النازي بعد ما ترى سلسلة الانتصارات الباهرة التي فازت بها السلالة الالمانية في ظل النظام الهتلري . أما فرنسا ، المعنية الآن بشؤونها الداخلية ، فتدرك ما لمصير النمسا من الشأن الخطير ، في بناء السياسة الاوربية . ذلك ان القنابل التي وجهت الى مباني العمال في فينسا ، كانت قنابل معنوية موجهة كذلك الى معاهدتي فرساي وسان جرمان . وفوز النازي في النمسا تحدّد خطر لفرنسا وحلفائها . بيد ان تفوق النفوذ الايطالي في فينسا من الجهة الاخرى ، يعني تحديداً آخر لنظام الحلفاء الذي انشأته فرنسا - محالفتها مع دول الاتفاق الصغير - واليه تستند في تفوقها العسكري وضمان سلامتها . فاذا اصبحت النمسا اداة في يد السياسة الخارجية تعذر اتصال فرنسا بحلفائها في قلب اوربا وجنوبها الشرقي . وكذلك يمتد ميدان النزاع بين ايطاليا وفرنسا من افريقيا الى البلقان

يقابل ذلك ان مساعي النازي الالمانى لتأييد اخوانهم في النمسا ، مهد السبيل الى شيء من التفاهم والتقرب بين فرنسا وايطاليا . اما بريطانيا فقد ضمنت استقلال النمسا ولكنها لا ترغب في ان ترّج في معترك المشكلات الاوربية المعقدة ، وأملها ان تستطيع النمسا الاحتفاظ باستقلالها بطريقة ما وتكفيها مؤونة التدخل . واما خطة المجر فهي التأهب والانتظار لتميل الى الجانب الذي ترجح له الفوز

هنري : يوي

على عرش التنين في منشوكو

في الطرف الشرقي من قارة آسيا العظيمة يعيش شعب عدد نسائته اربعمائة مليون او يزيدون ،
تناوبت عليه حالات اشبه بالحالات التي انتابت الدولة الرومانية قبيل سقوطها
كان امبراطرة الصين يعتقدون قديماً انهم ابناء السماء ، وكفى بذلك دليلاً على الارستوقراطية
العريقة والمجد التالد . وكان الشعب الصيني يعتقد ان ابناء السماء اذا حكموا فلانما هم بامر السماء يحكمون
وان ما يصدر عن ابناء السماء وهم متربعون على عرش التنين ، تنزيل لا ينقض وامر لا يُرد ، فكنت
رى الشعب الصيني في يد ابناء السماء كأنه العجيبة تكييفها الاهواء . ولكن ما زالوا يتدانون من الارض
شيئاً فشيئاً وحالاً بعد حال حتى انقلب الحكم في بلادهم بين عشية وضحاها ، وتبخر عرش التنين واذا
به محل لحكم جمهوري فج لمعت في سمائه اسنة الحراب . وقضي الامر . واسر أحد ابناء السماء في
قصر من قصور اجداده القدامى ونزل عن سماويته العليا الى ارضيتنا المتواضعة

ولكن . . . نعم . ولكن ليخرج من قصر الاسر الى عرش التنين مرة اخرى . غير انه عرش
لم يبق من قديمه الا الاسم ، لان دُسرهُ اخذت هذه المرة من الاسنة اليابانية ، لا من الجبروت
الساموي . واذا الامبراطور « يوي » ابن السماء في الامبراطورية الصينية العظيمة قد اصبح « هنري »
ابن الارض في دولة « منشوكو » وهي منشوريا احدى مقاطعات الصين قبلاً ، في مصورات الجغرافية .
واي عجب في هذا ! . ان اجداد « هنري يوي » خرجوا من منشوريا منذ قرون غزاة فاتحين ،
فتبوؤا عرش التنين في حاصمة الصين ، وورثوا بنوة السماء . ولكن الظاهر ان السماء زهدت فيهم
الآن فردت وريثهم من غربته الطويلة الى حيث خرج آباؤهم اول مرة غزاة تحفق على رؤوسهم درافس
الحرب ، يزجون تحتها الصفوف الى المواقع المحجلة بالنصر والظفر

من سهول منشوريا الفسيحة خرج اجداد « هنري يوي » . وهو الآن يعود الى منبته
الاصلي . ففي القرن السابع عشر هبطت اسرة « المنشو » من سهول الشمال الفسيحة بجيوشهم
الجرارة ميممين نحو الجنوب ، بعد ان اخضع جدتهم الاول « نو - اوراشو » جميع القبائل القوية
التي كانت تتصل بتخوم بلاده واذلها . وما زالوا يجتاحون في بلاد الصين السهول والجزون حتى
واجههم سور الصين الاعظم فدكوا منه جزءاً لينفذوا الى « بكين » حاصمة الصين المحرمة على غير ابناء
السماء . ولكن من ذا الذي اعطى لاسرة « منج » وثيقة بأنها وحدها من ابناء السماء ؟ ولماذا
لا تختار السماء من ابنائها من هو اصلح لحكم الصين من اسرة قديمة اكل عليها الدهر وشرب القدم ؟
وكذلك انتزع القدر عرش التنين من اسرة « منج » ليجلس عليها اسرة « شنج » اول امبراطرة
« المنشو » ولكن ليبقيهم عليه ٢٦٦ سنة لاغير

لقد كانت تلك الاسرة من اعظم الاسر التي عرفها عرش الصين القديم . وعلى أيدي امبراطرتها العظام تسنمت الصين آخر عهدها بالمجد العالمي كأمة متحدة ووحدة سياسية عظيمة . فن اجداد «پويي» ملكان من اعظم الملوك الذين يذكرونهم التاريخ على مدى العصور وفي كل بقاع الارض . حكم كل منهما ستين سنة ، مع فاصل ضئيل من الزمان بين حكميهما ، فلم تفق الصين أمة أخرى من أمم الارض قوة ونفوذاً ومدنية في عهدها

ولقد اخطأ المؤرخون اذ نعتوا لويس الرابع عشر بأنه اعظم ملوك الارض في القرن السابع عشر . اما الحقيقة فان الامبراطور «كانج هسي» في بكين كان اعظم ملوك الارض في ذلك الزمان . فقد حكم امبراطورية لا تعد فرنسا برمتها الاً احدى مقاطعاتها ، وسعى الى توسيع ملكه كما سعى لويس الرابع عشر ، ولكنه امتاز على الملك الفرنسي بأنه لم يرض بأن يقوم ملكه على القوة وحدها فعززها بترقية الفنون والمعارف وكل ما يتعلق بمدنية الروح الى جانب كل ما يتعلق بمدنية المادة وبعد ان مات هذا الامبراطور العظيم (سنة ١٧٢٢) بأربعة عشر سنة تسلم عرش التنين حفيده الامبراطور «شيان منج» فحكم الى سنة ١٧٩٦ ، فبرهن انه خليف بأن يكون من سلالة جده العظيم . فوسع في اطراف امبراطوريته ، وأمتته ملوك آسيا الشرقية اجمعين يحملون اليه الجزية او يتقربون اليه زلفى . وكان في الصين كآل مديشى في ايطاليا . فكان شاعراً وكاتباً ومؤلفاً وحامياً للعلم وولياً للفنون وناصراً للثقافة ومحباً للعمران . ولا غرو ان يحتم «شيان منج» ان يسجله سفراء الملك «جورج الثالث» عند ما ارسل بهم الى الصين في مهمة سياسية . ولقد عد عليه كثير من مؤرخي اوربا هذا الامر ، ونسوا انه كان على عرش التنين يستمد القوة من السماء ليحكم امبراطورية طالية هي اكبر امبراطورية في الارض لعهد ، ومن حوله بطانة من العلماء يملأون طباق الارض علماء ، وحاشية من المثقفين على اخص قواعد التثقيف في بلاد لم يعرف اهلها من ارستوقراطية ، الاً ارستوقراطية العلم والثقافة . فلما مات «شيان منج» آذنت شمس الصين بالمغيب ، ودقت ساعة الانحلال ، فتعاقب على عرش التنين خمسة امبراطرة خلال القرن التاسع عشر . كان اللاحق منهم اضعف من السابق ، وخلف اميع من السلف . على أنه من عجب ما يروي التاريخ ان هذه الأسرة لم يحمها على عرشها المززع خلال خمسة العقود الاخيرة في القرن التاسع عشر ، الاً بسالة امرأة هي الامبراطورة «تسوهسي» التي عاصرت الملكة فكتوريا ، حتى قيل ان طرفي الارض اصبحا أشبه بكفتي ميزان في احدهما «تسوهسي» تسوس الشرق وفي الاخرى «فكتوريا» تسوس الغرب وكانت امرأة من الجبارة جمعت بين رجاحة العقل وكبر القلب ، وعرفت قيمة القتل والاغتيل وسفك الدماء في سبيل الاحتفاظ بعرش آذنت ساعته ودب فيه الفساد . فحكمت الصين حكماً فعلياً برغم انها كانت زوج امبراطور سابق سقطت بموته عن اريكة الملك . ولكن من ذا الذي يقف في وجه الذئبة الغبراء ؟ وهكذا حكمت هذه الامبراطورة الصين باسم من جلس على عرش التنين من الامبراطرة ، ومن ورثها رجال يخفون تحت دفوفهم مدى محدودة تطير من صفحاتها شرارة الموت تحت جناح الليل

وفي وضع النهار. ولكن الانحلال كان اقوى من ان تحول بينه وبين الصين مديّة تتذرع بها «تسو هسي» الى قتل ثائر او اقصاء رجل ظهرت عليه بوادر التطلع الى الاصلاح. فان تحرش اوربا بالصين كان قد بدأ بهز عرش التنين من اساسه، واجترأت سفن اوربا الحربية ان تدك بكراتها المتفجرة حصون الصين وتنزل الى الأرض الحرام اول فوج من جيوش اوربا. وكانت المبادئ والآراء الاوربية اخذت تتغلغل في الوحدة الصينية فتمزق منها ما رأيت السنون، وبدت بوادر القلاق الاجتماعي تظهر في صور مختلفة، وكانت اول بادرة منه ظهور «صن يات سن» مزوداً بالمبادئ والتعاليم الاميركية ليرأس اول عصبة ثورية في ارض خضعت لآبناء السماء حتى اصبح اندلاع السنة الثورة قاب قوسين او ادنى وفي سنة واحدة مات الامبراطور «كوآنج هسو» والامبراطورة «تسو هسي». وعلى اثر موتهما سنة ١٩٠٨ تبوأ «پوي» وعمره ثلاث سنوات عرش التنين وهو احد ابناء عمومة الامبراطور المتوفي. فكان حكمه قصير المدى اذ شبت الثورة سنة ١٩١١ فتنازل عن العرش سنة ١٩١٢ وجاء في اعلان تنازله انه يترك العرش بعد ان ظهر له ان الشطر الاعظم من شعبه يفضل حكومة جمهورية على حكومة ملكية. ولكن شاء القدر ان ينزل «پوي» عن عرش لم يكن قد ذاق بعد حلوه ولم يعرف مره لصغر سنه، فأذن له رجال الجمهورية ان «يعيش» وان يعطى ٤٦٠٠٠٠٠٠ رطل من الفضة راتباً سنوياً وان يبقى في احد قصور «بكين» اسيراً تؤدّي له كل المراسم الامبراطورية على ان طالع زحل قد ادرك الجمهورية ايضاً، فانها نبتت في ارض الصين كآنها نبات طفيلي من الفطريات، فكانت سريعة النمو سريعة الزوال. ذلك لان الجمهورية لم تلبث غير قليل حتى تفجرت من حولها الثورات والحروب الاهلية. وبدأت بوادر هذه الحرب تظهر في سنة ١٩١٧ عند هبوط شخص يدعى (شانج سون) كان قاطع طريق ورئيس عصاة خارجة على القوانين جاهلاً مسعياً ولكنه كان من انصار الملكية، وعلى الرغم من ان الجهر بالزعة الملكية كان عقابه الموت، فانه رفض ان ينزع عن برته الشارة الملكية، ومضى يسير مختالاً بها في شوارع بكين على ان هبوط هذا الرجل حاصمة الصين لم يكن «نذيراً» بالحرب الاهلية وحدها، بل كان نذيراً كذلك بان الراحة التي استمتع بها «پوي» سوف تعصف بها اهواء ذلك اللص السفاح. غير ان ما حدث بالفعل ليس من المستطاع معرفته على وجه التدقيق، بل الظاهر ان في احدى الليالي كان «شانج سون» يقصف مع رجاله عند باب من ابواب المدينة الجنوبية فاكل وشرب وذهب الى مسرح فشهد رواية تاريخية تقص طرفاً من عظمة الصين وجبروت امبراطورها فلما لعبت الحمر برأسه يم نحو المدينة «الحرام» واقتحم القصر الملكي ودخل الى الجناح الذي يشغله الامبراطور المعزول، وابقظ الامبراطور الفتى الذي لا يتجاوز من العمر اثنتي عشرة سنة وجره الى ردهة التتويج والبسه الاردية الامبراطورية الصفر وحياء التحية التقليدية التي كان يحسب بها الشعب ابناء السماء عند تبوئهم عرش التنين. ولكن ابن السماء كان مذعوراً. وكان يبكي بكاءً مرّاً

أما حاشية الامير فلم تكن اقل ذعراً منه ، لان رجالها كانوا يعرفون ما سوف يسفر عنه الغد القريب . ولم يطل انتظارهم ، ففي بكرة الصباح تحركت جيوش الحكومة وبعد معركة قصيرة انهزم « شانج سون » وتبددت قواته ، فاجأ هو الى السفارة الدنكرية ليحتمي بها . ولكن بقي بعد ذلك ما ينتظر من سخط الحكومة على الامبراطور الطفل . فلم يحدث شيء سوى ان ارجع الامبراطور الى الاجنحة المخصصة له في القصر وأغلقت عليه الابواب ، وعكف على عيشته الهادئة ، اللهم الا بعض ذكريات مؤلمة خلفتها تلك الليلة الرهيبة مرسومة على صفحات نفسه

وظل الامبراطور يطوي العمر في هدوئه وبين جنبات قصره الفسيح ، والمدافع من حوله تدوي والثورات تتوالى والحروب تأكل الاخضر واليابس ، فلا يسمع لها دويّاً ولا يابه شيء منها . وكانت موجة التجديد قد اجتاحت كل نواحي الصين ، حتى لقد استطاعت ان تقتحم جدران القصر الملكي الضخمة ، فدخل لأول مرة الى ذلك القصر معلم انكليزي يثقفه في المعرفة الحديثة . ولكنه اراد ان يجرع التجديد جملة بدل ان يأخذه اجزاء ، فتعلم اللغة الانكليزية ومرت على ركوب الدراجة وخلع ملابس اجداده ولبس الاردية الاوربية ، وتنصر باسم « هنري »

يا للاقدار : ايصبح آخر سلالة ملوك الصين وامبراطرتها ، ابناء السماء وظل الله فوق الارض ، « هنري النصراني » ؟ اهذا الشاب هو سليل اولئك الجبابرة الذين كانوا لا يستقبلون سفراء الدول الاوربية منذ مائة عام ، الا والسفراء راكعون ، ولا يتقدمون اليهم الا جثواً على الركب ووجوههم نحو الارض ؟ غير ان الحوادث لم تترك هذا الشاب المجدد عاكفاً على عيش الهدوء والتأمل والتطلع الى العلياء من غير ان تعصف بهدوئه . ففي سنة ١٩٢٤ هبت على الصين عواصف حرب اهلية انتصر فيها « فنج يوسيانج » . وكان هذا الثائر الجديد مزيجاً من نزعات مختلفة فكان نصرانياً شيوعياً عالماً وقائداً مدرباً ودسّاساً من اقدر من انبتت ارض الصين . فلما قبض على ناصية الصين واحتلت جنوده عاصمتها فكر في ان يقضي على ذلك الوهم الذي يدعي الملكية الصينية . وعلى حين غفلة ومن غير ان يعرف احد ذلك السر ثقل « پوي » من المدينة الحرام ومعه حاشيته الى « تنتنسن » ولجأوا الى السفارة اليابانية ، وساءت حاله ونقص معاشه الى ٥٠٠.٠٠٠ دولار كانت تعطى اليه كلما سمحت ظروف الخزنة ، واصبح يعيش سجيناً في بضعة امتار من ارض الصين وتحت ظل الراية اليابانية ، بعد ان كانت كلمة حدوده شريعة لاربعمائة مليون من النسمات البشرية

ومضى « پوي » يعيش عيش الفقر والذل في ظل الحماية اليابانية حتى هيباً القدر له ان تغزو اليابان منشوريا سنة ١٩٣١ وتجعل منها دولة مستقلة وتأخذ وديعتها في سفارتها الى عرش التين في الارض التي خرج منها آباؤه غزاة فأمحين قبل ثلاثة قرون . فهل يصدق عليه قول الشاعر

والقت عصاها وامتقر بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافر

ام ان القدر يجبا له من مفاجآته ما لا يدور بخلد انسان ؟

الديمقراطية في فرنسا

هل تتجه الى الفاشستية

في السياسة أزياء ، كما في الادب والملابس . فروما القياصرة أخرجت للعالم زي «الامبراطورية» فتبعه العالم ثمانية عشر قرناً . ثم انشأت انكلترا «الحكومة المسؤولة» فكانت مطلب الامم في القرن التاسع عشر . وكان الحكم بواسطة مجلسين يوافق مزاج اهلها . فلقبت في عهده إقبالاً ورخاءً فظنت الامم الاخرى ، ان هذا النوع من الحكم ، يوافقها كذلك

وتلا ذلك النجاح الذي اصابته الفاشستية ، في ايطاليا ، والقضاء على الحكم البرلماني في روسيا ، فأصبح من زي العصر التنبؤ بزوال الديمقراطية . ففي المانيا نظام فاشستي وزعيم يملك سلطة دكتاتورية . وها هو ذا الدكتور دولفوس حاكم بامره في النمسا . ولا ينكر ان ما يغذي الواحد قد يسمُ الآخر . ولما سئل صولون الحكيم ، هل منح اثينا الدستور الكامل قال : انه منح تلك المدينة أحسن دستور يلائمها في ذلك الزمن . اي ان «الكمال» في الاشكال السياسية نسبي . ولا ريب في ان هناك تحولاً مشهوداً في نظام الحكم في هذا العصر ، فهل هو يهدد الديمقراطية في فرنسا

اذا قلنا ان تيار الفكر ، الذي قلب انظمة الحكم في البلدان المجاورة لفرنسا ، لم يلق تربة صالحة في بعض الازدهان الفرنسية ، كان الامر باعناً على الدهشة والاستغراب . وقد مضت اشمهر والفرنسيون يقرأون الدعوة الى تأليف حكومة فاشستية وكانت الدعوة صادرة من ناحيتين من اليمين — تحس فيها احياناً بنزعة بونابرتية وحياناً بنزعة ملكية ، ولكنها لا تعدو كونها خطباً تبين ما للسلطة الحازمة من الشأن في تسيير سفينة الدولة — ومن اليسار تدعو الى فاشستية اشتراكية راديكالية على مثال من دكتاتورية الشيوعيين في روسيا والفاشستيين في ايطاليا في آن واحد

فما هو امل هاتين الدولتين في النجاح ؟ لا ريب في ان التنبؤ كثير المزالق . لانه قد تقع حوادث لا يستطيع العقل أن يتصورها ، فتقلب التيار ، وتجعل النتائج المبنية على مقدمات معينة ناقصة ، مشوهة . فلننظر في اهم العوامل التي يمكن ان يبني عليها حكم في هذه الناحية من الحياة الفرنسية الآن اولاً — ان قلب النظام الديمقراطي في فرنسا يحتاج الى زعيم والى حزب يستند الى جيش فاشستي . فقد كان لموسوليني او لهتلر ، الوف من الاتباع . وكانوا يطوفون بفرق اتباعهم المنظمة يعرضونها في كل مدينة . وكانت قوتهم معروفة . وكانت الحكومات الضعيفة في بلاديهما لاتستطيع ان تقف في وجوههم ، لصد تيارهم الجارف . ولسنا نجد في فرنسا شيئاً من هذا فليس في فرنسا حزب له جيش منظم على ما نعلم . فاذا حاول بعضهم تأليف ذلك الحزب ، وتنظيم ذلك الجيش ، فالراجح ان الحكومة مزيدة بالرأي العام وقوة البوليس السياسي لا تعجز عن كبجه وقعه

ثانياً — ان انشاء هذا النوع من الجيش يجب ان ينبع من وجود تبرم شديد او شكوى صادقة

يشكو منها الشعب . ففي البولشفية ، كان ذلك التبرم تبرم العمال والفلاحين . ولكن الحركة الفاشستية تنشأ في الغالب من الطبقات الوسطى الفقيرة والباعث عليها في نفوسهم ، اما فقرهم المدقع الذي لا يحتمل ، او خوفهم من ثورة العمال . وفي المانيا تحقق الامران بل تحقق امر ثالث كذلك هو الحق على معاهدة فرساي . اما في ايطاليا فان عنف الشيوعيين ومحاولتهم قلب الحكم واحداث الثورة ، كان الباعث الاول على انشاء الفاشزم ومحاربتهم كانت سبيلها الى النصر . أما في فرنسا ، فلسنا نجد أحد هذين الشرطين ، اللذين نكاد نحزم بأنه لا بدّ منهما لتلقى الدعوة الفاشستية آذاناً صاغية

ومع ذلك لن ينكر ان الديمقراطية في فرنسا معرضة لخطر كبيرة . ففي العاصمة وفي الارياف تألفت جماعات من دافعي الضرائب للاحتجاج على فداحة نفقات الدولة ، وعلى عبء الضرائب الذي يكاد يحني ظهورهم . وأصل هذه الحركة ، متغلغل في طبيعة الفرنسي وخلقها لانه يميل الى الاقتصاد . ولا بدّ للحكومات فرنسا من اعارتهم كل انتباهها وعنايتها . فهل يمكن ان تصبح هذه الحركة نواة لتنظيم فاشستي ؟ ليس من السهل ذلك . لانها تلتقي مقاومة شديدة من جميع موظفي الحكومة . وهذا يعني ان تبعة كبيرة تقع على عاتق هؤلاء . فخير لهم ان يتخذوا الحذر رائداً . فهم أول من ينتفع بالنظام القائم ، والحكمة واجب عليهم تقتضيه مصلحة الوطن من ناحية والمصلحة الخاصة من ناحية اخرى ثم هناك تبرم الشبان . خالة الشبان ، الذين اجتازوا امتحانات الطب ، او القانون ، او الهندسة تبعث على الاسى ، وباب الامل موصد في وجوههم . ففي عهد الوزير شيرون امتنعت الحكومة عن اتخاذ موظفين جدد . فالى م يتطلع الشباب المسلح بالشهادات العالية ، الخالي الوفاض ؟ ان في صفوف الشباب تبرماً وبعضهم يقترح نقص السن التي عندها يحال الموظف الى المعاش ، لكي تفتح امام طائفة كبيرة من الشباب أبواب العمل . وخير للموظف الذي قضى عمره في خدمة الدولة ، ان تزيد مدة معاشه بضع سنوات على ان يترك الشبان يقودهم القنوط الى الثورة

يضاف الى ذلك الخوف من التضخم . فالفرنسيون الذين جمعوا بجدهم واقتصادهم ثروة مايعتمدون عليها ، في الشيخوخة او أيام الضيق ، خسروا اربعة اخماسها لما وقع التضخم الاول ، وهوى الفرنك حتى جاء بوانكاره وثبته سنة ١٩٢٦ ومجرد التفكير في احتمال وقوع تضخم آخر يدفعهم الى الجنون . صحيح ان افراد هذه الطبقة مسالمون ، وليسوا في سن الشباب ، ولكن ما يمنع الدعاة البارعين من ان يستمدوا من صفوفهم قوة كبيرة ؟ فاذا عجزت الحكومات المتتالية عن حل هذه المشكلات التي تواجهها فرنسا ، فلا يبعد ان يشتد التبرم بالحال شدة تجعل انتشار الفكرة الفاشستية أمراً طبيعياً . والحال في باريس أوفق لنشوء الفاشستية منها في سائر المدن والمقاطعات الريفية حيث الديمقراطية فيها راسخة الاصول وفرنسا كبريطانيا تعودت الحرية وهي عادة يصعب الافلاع عنها

على ان هذا لا يمنع اقامة زعيم ومنحه السلطة اللازمة لمدة معينة حتى يعالج مشكلات خاصة لان كل الاعمال الصعبة تقتضي سرعة لا يستطيعها رئيس الوزارة في بلاد ديمقراطية كثيرة الاحزاب كفرنسا واقامة دومرج على رأس وزارة قومية تضم ستة من رؤساء الوزراء السابقين من هذا القبيل

ينبوع دم

للشاعر الفرنسي بُدَلير

كأني بدمي يسيل الحين بعد الحين مدرارا
مثل ينبوع له زفرات موزونة .

اني لا سمعه يسيل في جرسٍ مديد
ولكني ان تحسست الجرح لا أظفر به

ينطلق الدم في نواحي المدينة او حقلٍ مسور
فيحوّل الحجار التي تفرش الارض الى جزُر صغيرة
وينقع غلة الخلق واحداً واحداً
ويردّ الطبيعة حمراء ، حيث يمرّ

طالما رغبت الى خمورٍ خدّاعة
ان تكشف عني — مدى يومٍ واحد — الهول الذي يُضنّيني
الآن ان الحمر تزيد في صفاء العين ولطف الاذن !

تلمست في الحب نوماً غير ذكور
ولكن ليس الحب عندي الاً فراشاً من إبر
صنّع ليَسْتَقِي اولياء البغايا القاسيات !

[اختارها ونقلها الدكتور بشر فارس]

صاحب المسحاة

كتبها الشاعر الاميركي ادون ماركهام

على اثر رؤيته صورة لميليه المصور الفرنسي تمثل عاملاً اضناه العمل

« خلق الله آدم على صورته » حديث نبوي

أرأيتموه !! متوكئاً على نصاب مسحاته ، قد قوّست — ماسوَّى الله من
عوده — ائقالُ السنين ، فهو يُصوّب الى الارض من نظراته
أرأيتموه !! وفي محيّا يتراءى خواء الاجيال المتصرمة ، وعلى ظهره اعباء
الحياة الدنيا

ألا فن ذا الذي رده ميتاً لا تنبعث منه طافقة في طرب ، ولا تقشعر فيه
جارحة من يأس ؟ من ذا الذي صيره شيئاً لا تحزنه نائبة ، ولا يحركه امل . كأنما هو
نور أعجم في بلاده وحيرته ؟

من ذا الذي وطأ فككه الوحشي حتى استرخى ؟ ولئن كف دكت هذا الجبين
حتى انهزم ؟ ولئن نفّس عصف بشعلة هذا العقل حتى انطفأت
أهذا هو المخلوق الذي برأه الله وسوّاه وأخرجه ليكون له السلطان على البر
والبحر ؟ ولينتمسّ النجوم في افلاكها ؟ وليستنبط القدرة من بناء السماوات ،
ولينتفض احساسه بنشوة الخلود ؟ سبحانك الله فما نطقن ان في جهنم — ما بين
خافيا وباديا — صورة هي ابث للرعب والفرع من هذه الصورة . لا ولا صورة هي
افصح لساناً بخزي هذه الارض في حرصها الاعمى . او صورة هي اجمع للآيات والنذر
المرسلة لهذه النفس الانسانية . او صورة هي احفل بأشراط الدمار الذي يأتي على
هذا العالم

شئان ما هذا الحيوان الذي يحمل ائقال الحياة ، وما حَمَلَةُ العرش من الملائكة
المطهرين . ما لهذا العبد الذي يدبر طاحونة الحياة ، ولا فلاطون وفلسفته السامية ؟

ماله ولثريا وعنقودها الخافق في ارجاء السماء ؟ ماله ولسُبُحَات الاغاني المترامية ؟ ما لهذا العبد وتَنَفَّس الفجر الندي وانبلاجه ؟ ما له وللون الفاتن في الوردة الجميلة من خلال هذا الشبح المفزع تطل علينا الاجيال المعذبة ، وفي هذه القامة المقووسة تتمثل مأساة الحياة . بل من خلال هذه الصورة شكت الانسانية بشها الى القدرة العالية التي خلقت السموات والارض ، حين خدعت بالخيانة ، وسلبت بالمكر ، واذيلت باللؤم ، واستصْفِيَت موارِيثها بالمظالم . فكان بِشْها وشكواها شُعْبَةً من الوحي والنبوة

وانتم ، ايها الارباب والامراء والحكام في جنبات الارض . . . أهذا ما تُقَدِّمُهُ أيديكم من عمل الى ربكم سبحانه ؟ . . . هذا المسخ المشوه . . . وقد ذهبتم بنور النفس التي كانت تضيء في قلبه . . . ! ! تبَّأ لكم . . . كيف تقوِّمون مرة اخرى ما تقوِّس من هذا العود المعوج ؟ انقثوا فيه — ان استطعتم — روح الخلود . . . بل ردُّوا عليه النظرة السامية التي كانت له ، بل النور المبصر الذي كان في عينيه ، . . . ردُّوا عليه نَشْوَتَهُ للطرب ، ولذته في الاحلام . ارفعوا عنه ما نزل به من القُضُوح الباقية ، وأصلحوا ما كان من الخطايا الشائنة وامسحوا عن قلبه هموما لا طِبَّ لها

أيها الارباب والامراء والحكام في جنبات الارض

ألا خبرونا أين يضع الغيب المحجوب هذا الانسان ؟ وكيف يجيبه عن سؤاله المُتَوَتَّب الضاري يوم تزلزل الارض ، وتخزُّ الجبال ويتدافع الكون بعضها في بعض ! ألا وظنُّوا ما يفعل بهؤلاء الارباب الظالمين والملوك المتجبرين الذين نَسَكَّرُوا الصورة التي سوَّاهَا الله ثم صوروه في تجاليد هذا المسخ الهائل

ظُنُّوا . . . يوم تُبَدَّل الارض غير الارض والسموات

يوم يأتي القاهر الجَبَّار ليحاسب خلقه الجبارين

يوم ينطق الحقُّ الابدي ، ويسكت الزمن الفاني

« يومَ يَقُومُ الروح والملائكة صَفًّا لا يتكلمون الا من أذن له

الرحمن وقال صواباً »

« يومَ يَنْظُرُ المرء ما قدَّمَت يدهُ ويقولُ الكافرُ يا ليتني كنتُ تراباً »

ذئب البحرى

وليلٍ كأنَّ الصبحَ في أخرياته
تسرَّبلته والذئبُ وسنانُ هاجعُ
أثيرُ القطا الكدرى عن جثاته
وأطلس^(٣) ملء العين يحمل زوره
له ذئبٌ مثلُ الرشاء مجرَّه
طواه الطوى^(٧) حتى استمر مريره
يقضض عَصلاً^(٨) في أسرتها الردى
سما لي وبني من شدة الجوع ما به
كلانا بها ذئبٌ يحدث نفسه
عوى ، ثم اقعى فارتجزت فهجته
فأوجرته^(٩) خرقاء تحسب ريشها
فما ازداد إلا جرأة وصرامة
فاتبعها أخرى فأضلت نصلها
غفرٌ وقد أوردته منهل الردى
وقتُ خَمَمَتُ الحصى فاشتويته
ونلتُ خسيساً منه ثم تركته

حُشاشةُ نصلٍ ضمَّ إفرنده غمدُ
بعين ابن ليلٍ ماله بالكرى عهدُ
وتألفني فيه الثعالبُ والربدُ^(٢)
وأضلاعه من جانبيه^(٤) شوى نهد^(٥)
ومتنَّ كمتن القوس اعوجُ منادُ^(٦)
فما فيه إلا الروح والعظم والجلدُ
كقضضة المقرور أوعده البردُ
بيداء لم تُعرف بها عيشة رغدُ
بصاحبه والجيد يتعسه الجيدُ
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعدُ
على كوكب ينقض والليل مسودُ
وأيقنت أن الأمر منه هو الجدُ
بحيث يكون اللبُّ والرعبُ والحقْدُ
على ظمأ لو أنه عذب الوردُ
عليه وللرمضاء من تحته وقدُ
وأقلعتُ عنه وهو منعقر فرد

(١) الكدرى ضرب من القطا غير الألوان (٢) السباع : (سميت هنا بلونها) (٣) الأطلس الذئب الامعط في لونه غيرة الى السواد (٤) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (٥) نهد مرتفعه (٦) المناد المعوج والحنى (٧) الطوى الجوع (٨) العصل الانياب السود (٩) أوجره الرمع طعنه به

فضل المرأة

على المدينة الحديثة

محاضرة الأستاذة النابتة « مى »

في جامعة القاهرة الاميركية

جناب الرئيس المحترم ، أيها السادة والسيدات

للرأة سمعة غير حسنة منذ زمن بعيد ، منذ عهد الفردوس الارضي حيث جرت المفاوضات الشهيرة في شأن التفاحة بين الشيطان المتنكر في زي حية ، وبين حواء الام الاولى . فالى تفاحة حواء تُعزى جميع الشرور المنتشرة في العالم ، وبسببها طرد الانسان الاول من جنة الفردوس فخرج الى هذه الحياة الراهنة بما فيها من نكد وعناء وبغض وعذاب ومرض وموت وحرمان . فلو لم تكن تفاحة حواء ، او الثمرة المحرمة ، ما حكم علينا نحن بني آدم ، بكل ما نكابده من ألم وشقاء . وما كان لنا ان نتدرج في مراتب المدنية التي هي جهاد مستمر ضد الهمجية . فقضية مسلمة اذن ان المدنية كلها نجمت عن تفاحة حواء !

قلت المدنية كلها . لانكم تعلمون اننا عند ما نتكلم عن مدينة الماضي ومدنية الحاضر ، او مدينة الشرق ومدنية الغرب ، انما نفعل بداعي المعاني الموقوتة ولتقسيم الازمان . اما في الواقع فالمدنية واحدة منذ بدء التاريخ تطورت واتسعت وانتشرت دهرًا بعد دهر . اذ اخذ منها كل شعب ما يتفق وحاجته وطبيعته ، فزاد عليها اُبان نهضته وازدهاره بما ابتكرته عبقريته وحققته حاجته . فاقبست بعد ذلك عنه وعن غيره شعوب اخرى ناسخة ومكتفية بالنسخ ، او ناسخة فبدعة في الابتكار وتناج الجهود . وهكذا يسير موكب المدنية رحيباً مترامياً ، تشترك فيه جميع الشعوب اشراكاً سلبياً او ايجابياً ، وفقاً لذكائها واستعدادها ومواهبها قرناً بعد قرن . ليس هنا مجال البحث في هذا الموضوع الشائق الطريف ، ولكن الامناع السريع اليه كان ضرورياً لحديثنا

يقول السادة الرجال — عفى الله عنهم وعن ذنوبهم العديدة — : هذه المدنية انما هي صروح والأنظمة وتشريع وزراعة وصناعة وأدوات وآلات وثقافة وعلوم وفنون وآداب . فأين يد المرأة في كل ذلك ؟ الرجل هو الذي ابتكر وانتج ، وما فتى يبتكر ويفتج . والمرأة تستغل ذلك الانتاج وتستهلكه . فأني فضل للمستغل المستهلك ؟

فضل المستغل المستهلك أيها السادة والسيدات يقوم في كونه يمكن العامل المنتج من المضي في العمل والانتاج ، ويوحي اليه جديد ما يبتكر ، ويغذي حركة الصناعة والتجارة والعمران . فلو لم يكن للمرأة غير هذا الفضل على المدينة لكفى به فضلاً ! ولكنني اظن ان للمرأة بعض الافضل الاخرى غير الاستهلاك !

ويقول الرجل الراقي حقاً : — المدينة في أسمى معانيها هي شهامة وخلق ودين . فأين فضل المرأة في عالم الشهامة والخلق والدين ؟

مثل واحد لا غير ، في كل من الاديان الثلاثة الكبرى التي خرجت من شرقنا هذا الصغير فأسبغت النور على العالم . وكل من هذه الامثلة الثلاثة كافٍ ليشرف اسم المرأة على الدوام . فلولا ابنة فرعون ما خلص موسى من الغرق ، ولولا عناية ابنة فرعون ما شبَّ موسى فصار الكليم الذي يبصر وجه الله فيعود الى قومه بلوحي الوسايا . والسيد المسيح في ساعة الاهانة والغم والنظر ، عند ما توارى من حوله الرجال الصناديد تلاميذه واصدقاؤه — لم يرَ عند قدميه الا رجلاً واحداً هو تلميذه يوحنا ، وامرأتين اثنتين هما امه الوجيعة مريم ومريم اخرى هي المجدلية تلميذته . والنبي العربي ، فتى الصحراء الملهَم ، اول من آمن برسالة امرأة . وقد كافأ المرأة كريماً يوم قال كلمة تتجاوبها الاجيال : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء !

وهذا هو الشرق ، شرق المرأة ، الذي انال العالم بأسره ديناً وشرفاً اخلاقياً والهأ

تذكرون ، أيها السادة والسيدات ، ان الكاتبة الفرنسية العظيمة مدام دي ستايل ، سألت نابليون يوماً اي النساء أحب اليه . فأجاب لفوره : أحبهنَّ الى المرأة التي هي أم ابناء عديدين ، المرأة الولود . وتعلمون ان هذه الكلمة لم يقلها من نابليون الا القائد والامبراطور الذي لم يكن له من وسيلة لتوطيد عرشه الا التوسع في فتح البلدان وبسط نفوذه عليها . بالحرب اعتلى العرش وبالحرب وطد ذلك العرش . ولتغذية الحرب وضمان النصر لا بدَّ من عديد الجنود . فلا غرو اذا هو كان شديد الحاجة الى المرأة التي تعطيه رجالاً كثيرين يهلك منهم الهالك فريسة للسيف والنار ، ويحتل الباقيون البلاد مثبتين فيها نظام الفتح جاعلينها رقعة من الدولة النابوليونية . نابليون القائد والامبراطور هو الذي قال هذه الكلمة . اما نابليون الرجل فقد نقض هذه الكلمة لانه طول حياته أحب امرأة واحدة تغلب حبها عنده على كل حب ، وكان اسمها آخر كلمة تلفظ بها عند موته . وتلك المرأة هي جوزفين التي لم تعطه ولداً !

وهذا القائد والامبراطور العبقري حقاً ، الذي يودُّ ان يحصر عمل المرأة في اخراج الابناء ، هو الذي كان يحسب للمرأة حساباً في كل شأن فيقول . فتش عن المرأة !

الامومة هي اسمى قداسة في المرأة . فلولا امومة الام ما وجدت في العالم مدنية ولا همجية ، ولا كان للنوع الانساني اثر . بيد ان فضل المرأة لم يقف عند هذا الحد على جلاله . نحن نلبي دعوة نابليون نبحت عن المرأة في كل عمل وكل مسعى وكل زمن فنجدها ولا نخطئها . نبحت عنها في حين العالم كان فتية والنوع البشري كالنوع الحيواني يدب على اربع ، فنجد ما يقضي اليه بحث العلماء ، من ان ضعف المرأة عند الوضع ، والامها الجسدية ، والاضاع التي تفرضا عليها حالتها الخاصة فتعتمد اليها — كل ذلك كان الثمن الاليم الذي ادته المرأة الى الطبيعة لينتقل النوع البشري من الدب على اربع قوائم الى حالة الانتصاب على قدميه . ذلك الانتصاب النبيل الذي ينيل الحرية للبين وهو اول ما يميز بين الانسان والحيوان فيجعل الانسانية على الحالة التي نود ان نراها فيها . وزاد في تركيز الانسان على قدميه مع اطلاق الحرية ليديه ، ان المرأة اضطرت الى حمل طفلها بين يديها لتسير على قدميها تجلب الغذاء له ولها ، كما اضطرت الى الفرار به من العدو المهاجم او من الحيوان المفترس او من اي خطر آخر مداهم

وعند ما انبرى الرجل القديم يهاجم وحوش الغاب بغية الصيد والقنص ، ويقا تل الاعداء دفاعاً وهجوماً ، كانت المرأة تهيم له اسباب الراحة والرفاهية الميسورة في ذلك الزمن . فاذا عاد من الصيد بالغنيمة ، يد المرأة هي التي كانت تعد تلك الغنيمة طعاماً

وعند ما انقضى طور التشرد في الجبال والغابات واستقر الانسان في مكان ثابت على الارض ، فانطلق الرجل اشد شكيمة وامضى عزيمة الى الصيد والحرب ، كانت المرأة تفلح الارض وتزرع الحبوب وتجنّي الحصاد ، وتضرب اوتاد الخيمة او تشيد جدران المسكن ، وتمهد السبل ، وتقطع الغصون والاشخاب لتضرم النار ، وتنظم الحجارة موقداً تطهي عليه الطعام ، وتكيف الادوات المنزلية من الفخار والخزف . افلا ترون في كل ذلك المحاولات الاولى لوضع مبادئ الزراعة والصناعة والتجارة والبناء وتخطيط المدن وغيرها من الصناعات والعلوم والفنون ؟ وعند ما بكى الطفل فحاولت المرأة ان تنغم نبرات صوتها ملاطفة موسمية ، ألم تكن في ذلك ممهدة للموسيقى والرقص والشعر ؟ وعند ما رجع البطل المغوار من مغامراته ويده ملوثنان بدم العدو وبدم الحيوان ، أليست هي التي قالت له « تعال يا اخي ، اغسل يديك ! » فكانت ممهدة لقوانين النظافة والصحة ؟ وعند ما مرض الطفل او عاد البطل المغوار جريحاً ، أليس انها اضطرت الى ان تدرس ، لا في الكتب ولكن بالتجربة والاختبار ، مفعول الحشائش والنباتات وطريقة استعمالها ، فكانت العجائز القهرمانات طليعة الاطباء دون ان تحملن لقب الدكتوراه ؟ افلا ترون في كل هذا مبادئ علوم الكيمياء والطب والصيدلة ؟

وبعدئذ عند ما اصبحت مهمة الصيد او الحرب لا تتطلب اكثر من واحد في الخمسة او في العشرين او في المائة ، فكثرت اوقات الفراغ عند الرجل وتولى بحكم ذلك الفراغ الاعمال التي كانت

المرأة تقوم بها من قبل ، لم يتحوّل ذكاء المرأة داخل البيت الى ابتكار صناعات وفنون اخرى كالغزل والحياكة والنسج والتفصيل والخياطة وغيرها من الصناعات الضرورية والفنون الجمالية ؟ افلا ترون في كل هذا خدمة للصناعة والفن وفضلاً بيناً على تطور الحضارة ؟

المرأة التي غدّدت النوع البشري جنيناً قرب قلبها ، وحملت طفلاً على منكبها ، وواقفته على قدميه انساناً ، وقدّمت له الطعام يافعاً وكهلاً وشيخاً ، ودأوت مريضاً جريحاً ، وواسته حزيناً ، وزانت بيته بالاذوات والمعدات ، هي التي وضعت وهي لا تدري ، اسس العلوم والفنون والصنائع . كل خطوة خطاها الرجل في سبيل التقدم والحضارة ، قابلتها المرأة بخطوتين وكان عملها اشق من عمل الرجل واطول . افتنظنون مع ذلك انها صاحبة او شكت ، او تدمرت من فداحة العمل ومن شدة وطأته على ضعفها ؟ كلا ! هي تعتقد انها اذا هي القت عنها العبء الذي تحمله كانت جبانة خائفة لنوعها — شأنها شأن الرجل الذي يلقي السلاح من يده وهو في ساحة القتال . ان المرأة تحتمل عناءها كما تحتمل الجندي الباسل جراحه — في سكوت وتجلد !

فلا عجب ، والحالة هذه ، ان قيصر في غزواته وفتوحاته عند ما كان يفرض الرهينة على قبيلة او قوم ، كان يصر على ان تكون الرهينة نساء دون الرجال . لاعتقاده ان المرأة اوفر قيمة واغلى ثمناً . ومجرد وجودها في حدث اجتماعي يرجح الكفة الايجابية على الكفة السلبية . لقد كانت المرأة وسيلة فعالة في نجاح الفتوحات الاسلامية وتوطيد دعائمها من الناحية الاجتماعية . لان المسلمين زاءجوا الالهين في كل بلد فتحوه فاصبحوا من ابنائهم في اسرع ما يكون . بينما اليونان والرومان الذين كانوا قد سبقوا المسلمين الى فتح غربي آسيا وشمال افريقيا ، ظلوا بعد مئات الاعوام « الغاصبين » وظلت انظمتهم وعاداتهم بعيدة عن حياة الشعب ، لم يقتبس بعضها الا نقر من سكان المدن الكبرى . كذلك ظفر المسلمون بواسطة المرأة بما لم يظفر ببعضه اليونان والرومان بوسيلة من الوسائل

ايها السادة والسيدات

عند ما يتكلم كاتب او خطيب عن اثر المرأة في العالم يسارع الى الكلام عنها امماً وزوجة وسيدة بيت ومنقمة وممرضة ومديرة وناشرة في جو المنزل وفي جو الوطن وسائل السعادة والهناء . وكل ذلك حق . فاذا تكلم عن ذكائها وحميتها ومواهبها ذكر ابناء النساء جماعات وافراداً في ميادين الآداب والفنون والعلوم والتضحية والاستبسال والبطولة : ذكر مثلاً جان دارك في القروسية الحربية ، والآنسة بوستافوتيوف البولونية في الحماسة القومية ، واسبازيا اليونانية في النفوذ الاجتماعي ، وهيباثيا المصرية في العلوم الرياضية والفلسفية ، وفلورنس نايتنجيل في بسالة الرحمة ، ومرغريتا كيرش وكارولين هارشل في علم الفلك ، ومدام كوري في تفردها العلمي في عصرنا هذا ، وايي جونسن في منافستها الظافرة

لابطال الهواء.. وغيرهن ممن لا اعداد لهن في مختلف ميادين العلم والبسالة ، والفن والاجتماع والوطنية . حتى في الاعمال المتواضعة التي تتولاها اليوم المرأة في جميع نواحي الحياة . وهذا حق ايضا . ولو كان حديثي قاصراً على قطر واحد لاستطعت ان اشيد بذكر المرأة المصرية وبراعتها رغم حداثة عهدها بالحركة الثقافية والاجتماعية والقومية . بيد ان حديث هذا المساء هو عن المرأة عموماً ، يشمل الجنس النسائي كله في ملايينه الغفيرة التي تخرج الى الوجود مجهولة وتمضي عن الوجود مجهولة . ولكنها لا تمضي الا وقد ادت في دائرتها جميع الخدم المنوعة المطلوبة منها ، والتي لا استطراد للمدنية او لحياة المجتمع من دونها . وهذا التعميم يجعل الموضوع عسيراً ويرغمني على الاختزال مكتفية بذكر تلك الخدم التي قل من يذكرها او يابه لها . واذا ذكرها ذاكر فعل عرضاً وبغير كثير انتباه

ملايين القرون انقضت والمرأة تكذ وتنتج رغم انحطاطها في جهلها وانحذالها . انقضت القرون وجماهير النساء كرطب الرمال على الشاطئ يسير فوقها الرجل فيطبع فيها اثر قدمه ! والمرأة في خدمتها وفي عملها الشاق وموقفها العسير ، تنسى اهميتها وتجهل نفسها فلا تجد ما تباهي به سوى المكانة الاجتماعية والثروة والجمال ! اما ما يعتر به الفرد الانساني من الشخصية المستقلة المكونة من الارادة والضمير والمجهود ، فذلك ما لم تكن تعبا به المرأة ، ولا هي استطاعت ان تتخيل وجوده الا في حقبات خاصة من التاريخ وفي احوال معينة

ورغم الانحطاط والازواء ، ظلت المرأة مسلحة بسلاح لا يفل ، ظلت مسلحة بالحب الذي هو حياة الاجيال ومغزى الحياة ! بالحب اخرجت النوع البشري كله ، بالحب انجبت اشبال الوطنية وال عمران ، بالحب غدت الرجل وعظفت عليه ، بالحب حلتته وأوحت اليه ، وبالحب صانته من غوائل الايام . سواء اكانت المرأة سعيدة في حبها ام شقية ، سواء انصرها الحب ام خذلها ، هي دائماً مستودع الحب وكاهنة الحب والالهة الحب . وأياً كانت آلامها وغمومها في قومها فهي ، بالحب ، محتمل في ابناء وامثال ما دامت تلك الغموم وتلك الآلام ضرورة حياة القوم ولراحتهم . فاذا ما ثبتت من ناحية المرأة محاولة جادة في تعديل شؤونها فذلك الدليل القاطع على ان شؤون القوم آخذة في التبدل تبديلاً يفرض التغيير والتعديل في شؤون المرأة ، وان امتثالها القديم لم يعد ذا نتيجة حسنة في حياة القوم او الجماعة

رعدة جديدة سرت في العالم بأسره في هذه الاعوام الاخيرة . رعدة جديدة تناولت النساء والرجال والشيوخ والشبان كما تناولت عناصر الطبيعة على نوع ما ، وشؤون العمران جميعاً . رعدة جديدة قلبت ظروف المرأة بمقتضيات اقتصادية واجتماعية وروحية لم تعدها من قبل . ولأن المرأة غالبية رقيقة الشأن ، ترى الرجل وجلاً خائفاً من النتيجة يندد بشؤون المرأة وبما قد ينجم عن نفضها من الولايات . ولكن هذا التضعضع هو من مستلزمات الانقلاب العنيف الذي نحن

فيه ، وهذا الانقلاب هو الخروج من الجود . ستنتظم الشؤون شيئاً فشيئاً لتأخذ مجراها الطبيعي الذي يطمئن إليه الرجل ، ولكننا لا ندري هل فيه سعادة المرأة وهناؤها . بيد أنَّ للانسانية لها يراها ، وعند ما يشتد الضيق يقرب الفرج . هذا ليس مثلاً سائراً فحسب ، بل هو حقيقة ثبتت دائماً . وستظل المرأة دائماً — كما قال اناتول فرانس الذي ينعتهون بالجاف — « مهذبة الرجل ، تعلمه الفضائل الجميلة من التأدب ، الى التحفظ ، الى الالباء الذي لا يتعرض متطفلاً . تعلم البعض فن الارضاء وتعلم الجميع فن عدم الاساءة . منها يتعلم الرجل ان المجتمع ادق وأعوص مما يظنه وهو في الحانات السياسية . وأخيراً يقتنع قربها ان اشباح العاطفة ورؤى الايمان لا تُقهر ، وان علم المنطق ليس هو الذي يقود العالم . . . »

ستظل المرأة دائماً الوحي الاكبر والمنهل الذي تستقي من مياهه الآداب والفنون ومنه تتغذى . ولسنا هنا في حاجة الى ذكر تأثير المرأة في حياة عظماء الرجال . كل رجل عظيم في دائرته ، كل حامل في عمله عظيم ، والمرأة تحيط به من كل جانب أمماً وزوجاً وأختاً وابنة وغريبة . لذلك لولم يوجد في قوم سوى مدرسة واحدة لارتأيت ان تخصص تلك المدرسة للبنات دون الشبان . لان ما تعرفه المرأة يتعلمه الرجل بطبيعة الحال منذ الصغر . وأهم من كل شيء آخر هي العقلية التي يولد بها الطفل والنفسية التي يشب عليها ، وهي بالطبع عقلية امه ونفسية المرأة التي تحيط به . وانما عقلية المرأة وتوسيع نفسياتها انما هو بيد الرجل دون سواه لان المرأة تهذب الرجل وهي التي تضمن استمرار المدنية ونموها وازدهارها بالرجال الذين تنجبهم مهذبين بوسائل رشدين . اما الرجل فهو الذي يخلق المرأة خلقاً

وفي الختام ، لا يسعني الا ان اذكر تلك الاسطورة التي تجعل مصر تحت حماية المرأة وتحت نفوذ حبها وألمها . اذ تزعم الاساطير المصرية ان النيل الذي خاق الحضارة القديمة ومكنها من الارتفاع الى اعلى مراتب التقدم والمجد ، انما هو بعض نعم المرأة . ضاع الآله اوزيريس يوماً فجلست ايزيس تبكيه ، وتساقطت دموعها على الارض . فاهتزت احشاء الارض وارتعشت لدموع الآلهة الحزينة ، فتفجرت منابع النهر وجرى النيل المقدس مهرولاً الى البحر يرضع بمروره فسيح المروج ، ويشير على جانبيه رائع الهياكل والشخوص والآثار !

هذه المدنية التي غدتها دموع الوفاء ، هذه الارض التي احياها الحزن الخصب ، هذا النيل الذي خلقه حب الالهة المصرية — كل هذا سيكون خالداً في غده خلوده في امسه ، كل هذا سيعتز ابدأً مجيداً بابنائهم وبناته جميعاً !

أريد المرأة.....

بعيرة عن التصنع

أريد ان يكون جمالها طبيعياً لا مستعاراً . ففي كل فتاة وسيدة ما يستحسن وما يحترم لذاته اذا عرفت ما هو ، فتجري عند ذلك على مقتضى طبيعتها من دون كلفة او تصنع في حركاتها وسكناتها . ولست احسب من التصنع الثقيل على طبيعي ، مسح الوجه « ببودرة » ملائمة للون البشرة لتزيل تلتمع الجلد الناتج عن مفرزات الغدد الدهنية ، وبقليل من « الاحمر » على الخدين والشفتين يزيد الوجه نضرة واشراقاً ، لأنها اذا احسنت السيدة استعمالها ساعدت الطبيعة على اظهار ما تمتاز به . ولكنني امقت المغالاة في ذلك . بل امقت اكثر من المغالاة ، محاولة المرأة اخفاء بشرة سمراء جذابة ببودرة ناصعة البياض ، في حين ان لون بشرة العنق واليدين تتم عليها . ثم انني ارغب في ان توجه كل سيدة عنايتها الى ارتداء ثوب يناسبها لونه وتفصيله ويتفق مع قامتها ومقامها لانه من التصنع الممقوت ان ترتدي سيدة ثوباً لان سيدة جميلة او مشهورة سبقت الى ارتدائه . والمرأة ، بعد تثقيف الذوق بالاصول العامة ، اصدق صديق للمرأة العاقلة . وتعتقد بعض السيدات ان السمينة قبيحة فيلبسن ما يحسبونه يخفي السمينة بالتضييق على الاعضاء . ولكنني اعرف سيدة سمينة تعرف ان ترتدي الثوب الملائم فلا تعيبها السمينة . اما علاقة السمينة بالصحة فلها بحث آخر في العدد المقبل

ان تظهر بمظهر يتفق وسنها

ذلك أي احب الصدق في الجمال . ولا جمال حيث الغش والخداع وبوجه خاص بعد انقضاء السر وزوال الغشاء . كل امرأة تستطيع ان تكون جميلة في الستين على ان تظهر بمظهر يتفق وسنها فاذا حاولت ان تقلد ابنة العشرين او الثلاثين خرجت مسخاً يثير السخرية . فالتقدم في السن له رونق كرونق الشباب . والمرأة لا تتصف بنضارة الوجه فحسب ، او بسواد الشعر فحسب ، حتى نحسب الشيب او تغضن الوجه ، قاضياً عليها كأمرأة . بل للمرأة صفات اخرى تهتم الرجال وتستعري احترامهم وعجائبهم . تلك هي الصفات التي تنبع من العقل المثقف والرأي الحصيف والقلب الفتياض بلحب والرحمة والحكمة التي ترسلها بدايتها وتصلقها تجاريب الحياة

سألاً للنظافة الثامنة

لا اريد ان احكم حكماً جأراً على المساحيق والمطريات واللواتي يستعملنها ، لاني اعلم كما قدمت انه اذا استعملتها المرأة بحكمة وذوق واعتدال زادتها بهاءً . ولكن اذا خرجت في استعمالها عن حد الاعتدال كان ذلك منها خداعاً ظاهراً . ولكن بعض النساء يحاولن ان يعتصن بالمساحيق والاصباغ عن النظافة لانه قد تستسهل المرأة ان ترش على وجهها البودرة وعلى ثيابها قليلاً من الكولونيا بدلاً من الذهاب الى

الحمام واغلاء الماء وتنظيف الجسم . ولا بدّ من القول هنا ، بأن عناية المرأة بنظافتها ، ونظافة جسمها ، وحسن ترتيبه وزينتها التي تلائمها يجب ان تكون وهي باقية في البيت بقدر ماتكون وهي مدعوة الى سهرة حافلة

انه تملأ ثم المقام

الاملاس امير الجواهر وغريزة المرأة تدفعها الى التزيّن والتجلي به وبغيره كالياقوت والزمرد واللؤلؤ ولكنني امقت ان ارى سيدة تتناول طعام الغداء وعقد الماس في عنقها وأصابعها مختمة بأغلى الجواهر البراقة . ذلك ان جمال بعض الجواهر يزداد اذ يكون النور صناعياً ، فيعكس عنها ويزيدها سناء . ولذلك فالماس يجب ان يتقلد في الحفلات الساهرة . ويكتفي في حفلات النهار بعقد بسيط ، وخاتم من فص واحد ، ويفضّل ان يكون من حجر ثمين ملوّّن كالياقوت الازرق او الزمرد او العقيق . وكثيرات من الفتيات الخادومات يستطعن ان يضاھين سيداتهنّ جمالاً ورشاقة ولكنهنّ يخطئن القصد اذا ارتدين ثياب السيدات وتزينّ زينتهنّ حين قيامهنّ بأعمال البيت . ثم ان بعض النساء يلبسن ثياب الرجال او ما هو شبيه بها في الصيد والقنص فيبدو منظر هذه الثياب جميلاً حينئذٍ لانها تناسب المقام . ولكن من يستحسنهنّ اذا ذهبنّ بها الى حفلة ساهرة او الى كنيسة ؟ فجمال المرأة يزداد اذا لبست لكل حالة لبوسها

انه تبرز فلنراها تبغى انه تسر الرجال

المرأة بغريزتها تميل الى استمالة الرجل واسترطاع نظاره ، والرجل يسرّه هذا ، وانا اودّ ان ارى كل امرأة اقبلها تهتمّ باستمالاتي اليها ، ولكن يجب ان تحذر كل فتاة وكل امرأة من التطرف في هذا الامر ، وعليهنّ ان يقيدنّ هذه الغريزة بما يقتضيه شرف النفس وآداب السلوك

انه تكونه بشوشاً

ترى كثيرات من النساء على اوفى استعداد لبذل كل شيء في سبيل ازواجهنّ الاّ بسمة لطيفة او كلمة عذبة او بشاشة في قسمات الوجه تخفف عنه اعباء الحياة . اتخافين يا سيدتي من مناظرة تناظركِ في زوجك ؟ من هي ؟ . ليست مناظرتك المرأة الجميلة ولا المتعلمة ولا السريعة الخاطر ولا الحسنة الهندام فقط ، بل مناظرتك فوق اولاء جميعاً ، هي المرأة البشوش التي يحسّ الرجل انه يستطيع ان يلقي باعبائه عند اقدامها قد تتعجبين لماذا يهتمّ زوجك بهذه الفتاة او بتلك اكثر من اهتمامه بك والتفاتك اليك . هل تذكرين انك لا تحدينّه الاّ فيما يقلقك ويكربك ويثقل صدرك فاذا زاركم زار هشت وبشت . انا لا أنكر ان على الزوجين ان يتشاطرا همومهما . وان الزوج هو سند المرأة تعتمد عليه في المعامات . ولكن لكل امر وقتاً . وهنا يجب ان تحكي عقلك ، في اختيار الوقت الملائم لبث الكرب . وانما يجب ان تتخذني البشاشة دستوراً لك . فاذا لم تفعلني شرع يبحث عن اخرى تبشّله وتبسم . هذه هي المناظرة التي يجب ان تحشها . قد يوافقني بعض السيدات على ما أقول . وقد لا يوافقني . ولكنني أمثل في قولي هذا طائفة كبيرة من الرجال يرون هذا الرأي وينظرون هذا النظر

التدخين والصحة

ضعف القابلية وقوتها — جفاف الفم — تقرح المعدة — عناصر الدخان وفعلها

يتعذر في الغالب على الباحث في مسألة التدخين ان يتجرد عن هواه ويتناول البحث من وجه علمي بحت. لأنه اما ان يكون مدخنًا او غير مدخن. فاذا كان مدخنًا حرًا كما عامل خفي إلى القول بأن ما يُلذُّ له مفيد، او انه على الأقل غير ضار. واذا كان لا يدخن صعب عليه ان يمنع نفسه عن القضاء على عمل يكرهه هو ويمارسه غيره. اما كاتب هذه المقالة، وهو طبيب مشهور ومن اعضاء الجمعية الطبية البريطانية، فاعتدل في التدخين، ومن الطبيعي انه لا يجد سببًا يحمله على التمهيد بالاعتدال في التدخين، ولكنه مع ذلك يحاول ان يتناول الموضوع من وجه علمي مجرد.

✽ عناصر دخان التبغ ✽ ما العناصر التي في دخان التبغ ولها اثر في الجسم؟ يسهل قسمة هذه العناصر او المواد الى ثلاثة اقسام: الاول — غاز الامونيا ومعه مادة عضوية طيارة تدعى بيريدين ومواد اخرى تماثلها. هذه المواد تهيج الاغشية المخاطية وهي سبب الالتهاب المزمن في الحلق والفم والسان الذي يصاب به مدمنو التدخين وما يتبع ذلك من سعال شديد في الصباح، وبلغم ينقثونه حين السعال. على ان الامونيا والبيريدين لا يزيدان التدخين لذة ما ولا نعرف سببًا يمنع استنباط وسيلة علمية صناعية لاستخراج هذه المواد من التبغ من غير ان تغير طعمه ورائحة دخانه وفعله.

✽ استنشاق الدخان وفعله ✽ والعنصر الثاني في الدخان هو اكسيد الكربون الاول وهو غاز سام نجده في غاز الفحم كما تجده في الدخان الذي يخرج من انابيب السيارات الخلفية. وفعل هذا الغاز سببه انه يتحد بمادة الهيموغلوبين التي في كريات الدم الحمر، والتي وظيفتها الاتحاد باكسجين خلايا الرئتين ونقله الى كل اعضاء الجسم. ولما كان اتحاد غاز الكربون الاول بمادة الهيموغلوبين أسرع واقوى من اتحاده بالاكسجين فالنتيجة الاولى التي تنجم عن استنشاق غاز الكربون الاول مع دخان التبغ هي منع الهيموغلوبين من نقل الاكسجين الى اعضاء الجسم. فاذا حدث ما منع ١٥ في المائة من هيموغلوبين الدم عن الاتحاد بالاكسجين ونقله الى الاعضاء ظهرت على الجسم الطبيعي آثار التسمم. على ان هناك انساناً شديداً الانفعال بقله الاكسجين حتى اذا امتنع ١٠ في المائة من هيموغلوبين دهم او اكثر من ذلك عن الاتحاد بالاكسجين ظهرت عليهم آثار التسمم.

أما مقدار هذا الغاز في دخان «السيجار» فيبلغ نحو ٨ في المائة، وفي دخان البية نحو ١ في المائة وفي دخان السجائر من نصف الى واحد في المائة. فاذا دخل دخان لفائف التبغ على اختلافها الفم اختلط بالهواء فقل مقدار اكسيد الكربون الاول كثيراً، واذا كان المدخن لا يستنشاق الدخان المنزج بالهواء لم يستطع هذا الغاز السام ان يتصل بكريات الدم الحمر ولا ان يتحد بمادة الهيموغلوبين.

فالتدخين من غير امتشاق الدخان ودخوله الرئتين لا يضر من هذا القبيل

ولكن اذا كان المدخن ممن يستنشق الدخان الى رئتيه فلا مندوحة حينئذ عن ان يتصل هذا الغاز بالكريات الحمر ، ويفعل فعله فيها ، وبعض مدمني التدخين يمنعون نحو عشرة في المائة من هيموغلوبين دمهم عن القيام بعمله الطبيعي (الاتحاد بالا كسجين ونقله الى الاعضاء والنسج) لكثرة ما يستنشقونه من دخان التبغ ، ولا يقوم دمهم حينئذ بعمله الطبيعي قياماً وافياً الا في فترة النوم ﴿النيكوتين﴾ والعنصر الثالث الذي يتكوّن منه دخان التبغ هو مادة النيكوتين الذي سمي كذلك نسبة الى جان نيكو Nicot سفير فرنسا في اسبانيا (١٥٣٠ - ١٦٠٠) لانه كان يزرع التبغ في حديقة داره وكان شديد الاعتقاد بفائدة اوراقه في العلاج . ومادة النيكوتين هذه هي مصدر الفعل الذي يطالب التدخين من اجله . ولا ريب في ان مادة النيكوتين سم مميت سريع الفعل في سيجار واحد من النيكوتين ما يكفي لقتل رجلين . على ان جانباً من نيكوتين التبغ يتبخّر بفعل النار حين اشعال السيجارة او السيجار او الببية . وعليه فمقدار النيكوتين الذي يستنشقه المدخن اقل من المقدار الذي يوجد في التبغ حقيقة ثم ان هذا المقدار لا يتصل بالرئتين الا اذا استنشق المدخن الدخان . وقد حسب احد الباحثين انه اذا دخن احد مدمني التدخين عشر سيجار الواحدة في اثر الاخرى ، استنشق مع دخانها مقداراً من النيكوتين يساوي عشر جرعة مميتة . ومتى اتصل النيكوتين بالرئتين وسرى فعله في الجسم ظهر له اثر مخدر في بعض الاجسام ومهيج في البعض الآخر . ويوضع النيكوتين ، في نظر بعضهم ، مع المخدرات كالمورفين والكوكايين ، في صف واحد ويقولون ان ادمان التدخين وادمان المورفين او الكوكايين من قبيل واحد ، يضران الجسم ضرراً بالغاً على ان مسألة الادمان مسألة نسبية ، وقل بين الناس على كثرة من يدخن المصاب منهم بضرر كبير من جراء التدخين . وعلى الضد من ذلك نجد ان مدمني المخدرات عبيد لها فلما يستطيعون التحرر من عبوديتها ، وهم في الغالب ضعاف الاجسام والاخلاق

﴿النيكوتين والمعدة﴾ وللنيكوتين اثر كبير في الجهاز الهضمي والغدد المتعلقة بها . ومن آثاره الظاهرة اثره في غدد افراز اللعاب فاذا توقف المدخن عن التدخين ، توقفت هذه الغدد عن افراز مفرزاتها ، وبذلك يعمل جفاف فم المدخن في الصباح

ومن افعاله ايضاً التأثير في غدد المعدة فتفرز العصارة المعدية ، ولذلك يصاب الذين يتأرون كثيراً بفعل التدخين بمحموضة المعدة لان تدخينهم يزيد افرازها للعصارة التي تحتوي على الحامض الايدروكلوريك . ويقول بعض الثقات انه اذا اتصلت بعض محتويات المعدة الحامضة بالامعاء الدقيقة ، كان ذلك مدعاة لتقرّح الامعاء ، ولذلك يحذر المصابون باي تقرّح في المعدة من التدخين . ويفعل النيكوتين ايضاً بالمعدة فيمنع عضلاتها من التقلّص فيقل الشعور بالجوع لان تقلص هذه العضلات يحدث الشعور بالجوع . لذلك تضعف قابلية مدمني التدخين ، ثم تقوى اذا انصرفوا عنه

العادة والتربية

ليس يقصد بالعادة ، كما تذكر في الخطب والمواظ ، العادات الادبية فحسب بل ان ناموس العادة شامل لكل قوى الجسد والعقل يتناول أبسط الاعمال المعروفة بالفعل العصبي المعكوس واكثرها تعقيداً وتركيباً كالمشي والكتابة والعزف على الآلات الموسيقية وامثالها . وانما نذكر العادات الادبية على الغالب لان لها اكبر علاقة بشخصية الانسان ومقامه الاجتماعي فاليد التي بها احمل قلبي لا كتب لا تستطيع ان تقوم بهذا العمل الا باتباع ناموس العادة ، والعقل الذي يمي علي المعاني والعبارات ما كان قادراً ان يفعل ذلك لو لم يدرس موضوع العادة قبلاً فاعتادت خلاياه العصبية فهم عباراته وادراك معاني مصطلحاته والنفس التي تهتز لذكر المحامد والفضائل الآن لا تفعل ذلك الا لانها اعتادته منذ طفولة صاحبها — وكما في الناس من نفس لا تسر الا بالشر ولا تفرح الا بالذيلة !!

❦ اساس العادة الفيزيولوجي ❦ لا يلبث الماء المنحدر من اعالي الجبال ان يحتقر له مجرى يسير فيه المرة بعد الاخرى فيعمق ذلك المجرى ويتسع ويسهل على الماء الجري فيه هذه هي الحال مع الرسالة العصبية التي نستطيع ان نشبهها بمجرى الماء . فحينما تسير الرسالة العصبية من اليد الى الدماغ تتخذ لها مجرى من الاعصاب تسير عليه . وحينما تنتقل هذه الرسالة ثانية من اليد الى الدماغ لا تبحث عن مجرى جديد تجري فيه بل — بالطبع — تسير في المجرى القديم ، ولما كانت حياتنا العقلية قائمة على نظامنا العصبي فنناموس العادة اذ هو : ميل كل اتصال عصبي الى التكرار ، وارجحية تكرره تتوقف على درجة تكرره قبلاً وعلى حداثة الوقت الذي كرر فيه اخيراً وعلى الاثر الاول الذي تركه حين حصوله للمرة الاولى . ولنضرب لذلك مثلاً للايضاح نتلفظ امام ولدٍ صغير بكلمة « كلب » فتسير موجات الصوت في الهواء فتلتقطها الأذن الخارجية فتحرك الطبلة وما يليها من العظام فتسير على عصب السمع الى الدماغ . فالرسالة العصبية التي نتجت عن هزّ طبلة الاذن تسير من خلية عصبية الى اخرى حتى تصل الى الدماغ . والاتصال الذي يحصل بين هذه الخلايا من سير الرسالة العصبية هو المراد بالاتصال العصبي المذكور في التحديد آنفاً

تفسر للولد معنى « كلب » دون ان يريه اياه بل يريه صورته ونكرر اللفظة على مسامعه مرات فاذا يفعل الولد حينما يري كلباً ؟ انه لا شك يعرف الكلب اذا كان يشبه ما رآه في الصور وينطق باسمه والسبب في ذلك عائد الى تكرّر لفظه « كلب » على مسامعه ولكن اذا علمناه عن حيوانات عدة وكان الكلب آخر حيوان ذكر امامه فالراجح انه يذكر

الكلب قبل سواه اذا عرضت امامه جميع الحيوانات التي تعلم عنها بشرط ان تتساوى بقية الشروط. فالتذكر هنا عائد الى حادثة وقوع الامر (اي قرب الوقت الذي حصل فيه الاتصال العصبي) ولكن اذا اتفق وجود الولد وحده في حديقة وهجم عليه كلب هائج ففر الولد من الخوف والهرب ودخل البيت. ثم سأل عن اسم ذلك الوحش الهائج فقيل له انه «كلب» فمن الراجح ايضاً ان يذكر الكلب بوضوح وجلاء ولو لم يذكر اسمه امامه سوى مرة واحدة والسبب في ذلك شدة الأثر الذي تركه منظر الكلب الهائج في جهازه العصبي

❖ فائدة العادة ❖ للعادة فائدتان خطيرتان: ذلك انها تمكننا من ان نعمل اعمالنا العادية دون ان ننتبه الى تفاصيلها وهذا يساعد على اتمامها بسرعة ودقة فائقة

نضرب لذلك بعض الامثال. اخذت القلم في يدي لا اكتب ما يملئني عليّ فكري عن العادة. فلولا انني تعودت الكتابة، اي تصوير الحروف العربية المعلقة لكان عليّ ان انتبه الى كل حركة من حركات يدي واصابعي وكيفية تصوير الحروف حتى تأتي مشابهة للحروف المتعارفة بين الذين يقرأون العربية ويكتبونها — حتى يتمكن مصصح المسودات المسكين من حل رموزها! ولو لم افعل ذلك لما تمكنت من كتابة صفحة واحدة في اقل من ساعتين او اكثر، والبرهان بسيط. لنأت بولد صغير لم يتعلم الكتابة العربية ونضع امامه صفحة من كتاب عربي ونطلب اليه ان ينسخها. فعليه اذاً ان يصوّر الحروف والكلمات تصويراً لان يده لم تعتد كتابتها فيقضي وقتاً طويلاً قبل ان يبلغ ضالته المنشودة. وما يقال عن السرعة يصدق على الدقة فاذا قابلنا بين خط ذلك الولد وخط احد الذين اعتادوا الكتابة وجدنا الفرق بين الاثنين عظيماً

وهكذا يقال عن المشي والتكلم والاعجاب بمنظر الطبيعة في آن واحد. فلو اراد الانسان ان ينتبه الى عمل كل من العضلات التي تحرك الرجلين والعينين والرأس والظهر والايدي وسائر الاعضاء التي يستعملها الانسان خلال المشي لما تمكن من ان يتكلم مع صديق يرافقه ولا ان يعجب بمنظر الطبيعة بل لما تمكن من السير الا مسافة قصيرة جداً. والبرهان يتم بالمقابلة بين ولد صغير ورجل بالغ السن. فالولد الصغير الذي لا يزال في اول مشيه لا يقدر ان يوازن نفسه ولا ان ينقل رجله بسرعة الرياضي الذي اعتاد العدو وسائر الالعاب

وما يقال عن الكتابة والمشى يقال عن الموسيقيين الذين برعوا في النقر على البيانو او الايقاع على سائر آلات الطرب. نرى الواحد منهم ينقل أصابعه بسرعة مذهشة ودقة فائقة ويأتي بعجائب الالحان والانغام. اما الذين لا يزالون في دور التمرين فلا يقدر ان ينقلوا اصابعهم الا بتهمل وما اكثر ما يخطئون توقيع اللحن الصحيح لان اصابعهم تخطيء النوتة الصحيحة. ولكنهم اذا قضوا الساعات الطوال في التمرين حتى تصبح عضلات اصابعهم رهن اوامر عقلهم وحواسهم اصبحوا من البارعين فنرى ان اكثر العادات التي لها الساطة النامة على حركاتنا وسكناتنا ابتدأت كأعمال صعب

انماها ، اختارتها الارادة وبذلت الجهد بالتمرن عليها حتى اصبحتنا نقوم بها دون انتباه الى تفصيلاتها ، وهذا يبين لنا شأن الارادة في اختيار كل ما هو حسن وجميل وصالح حتى اذا مرّناها على ذلك اصبحت الحسن والجميل والصالح جزءاً من طبيعتنا

﴿قوة العادة وتأثيرها﴾ يقول المثل العادة خامس طبيعة وما اصدق هذا القول ! قيل ان جندياً متقاعداً كان في احد الايام حاملاً طعام الغذاء من التكنة الى بيته وفيما هو ماشٍ في الطريق سمع صوتاً يقول - Attention وهو الامر العسكري لكي يكون الجنود على تمام الاستعداد للقيام باحد الاعمال العسكرية - فللحال وقف منتصباً ويداه الى جانبيه بعد ان وقعت قصعة الطعام من يديه على غير انتباه منه . وكان الصوت الذي سمعه من بيناه يردد صوت صاحبه الذي كان ضابطاً في الجيش ألم تسأل في حياتك مدخناً قد ادمن التدخين « لماذا لا تعافه وانت تعرف انه يضرّ بك » . وماذا كان جوابه يا ترى - « اني اعتدته ولا اقدر ان احيا بدونه » . وقد يكون في هذا الجواب نية من ضعف الارادة ووهن العزم ولكن للعادة سلطان عظيم قلّ من يقدر ان يسقطه عن عرشه بعد ان اجلسه عليه زمناً طويلاً ينقاد لامره انقياد العبد للسيد

يعزم السكير ان يعاف المسكرات ويعلن عزمه فيفرح بذلك اصدقاؤه ومحبوه وحينما يراه احدٌهم جالساً مع رفاقه الاول يعاقر بنت الخان يذكره بعزمه ، فيجيبه - وانا فاعل ما عزمت عليه ولكنني اشرب هذه المرة بملء ارادتي ، ولست مدفوعاً بعادة السكر ، وزد على ذلك هذه مرة ولا نحسب . قال ولیم جيمس - هو لا يحسبها وقد يتناساها اصدقاؤه ومحبوه وقد يغفر له الاله السماوي الرحيم زلته اذا تاب ولكن خلاياه العصبية وجواهرها الفردة لا تغفر ولا ترحم ، لا تنسى ولا تتناسى ، بل هي تسجلها في ذلك السجل العظيم ، الجهاز العصبي

﴿القضاء على العادات القديمة﴾ كتب الفيلسوف الاميركي ولیم جيمس فصلاً في العادة في كتابه مبادئ علم النفس ، جدير بأن ينقش بماء الذهب على جدران البيوت وفي الاماكن العمومية حتى يقرأه الزائع والغادي ويستفيد منه . وقد ذكر فيه اربعة قوانين للذين يريدون ان يتخلصوا من بعض عاداتهم المستهجنة وهي فيما يلي

١ - اعزم عزمًا صادقاً على ترك العادة التي تود التخلص منها واذا امكنتك ان تعلن عزمك هذا امام عدد من اصدقائك اصبحت للعزم عليك سلطان لا تقدر ان تقاومه لثلاث ايطالبك اصدقاؤك بوعدك ان خالفته

٢ - ابدأ بتنفيذ عزمك في الحال ولا تؤجل

٣ - ابدأ بتأسيس عادة طيبة وتمرن عليها لئلا الفراغ لثلاث تعود الى العادة القديمة

٤ - لا تقوم بعمل ما يخالف عزمك قبل ان تتمكن منك العادة الجديدة الطيبة وتستأصل العادة القديمة

باب المراسلة والمنظرة

العاطفة والعقل في الشعر

أحول « ديوان الكروان »

ببشم فارسي

قرأت في « مقتطف » فبراير الماضي نقداً لديوان الكروان بقلم (خ . ش) . فاصبت فيه ما أريد التعليق عليه

قال : « ولعل فكره (يعني فكر الاستاذ العقاد) يثير عاطفته أكثر مما تثير عاطفته فكره . فهو كأنما ينقل قلبه إلى رأسه أكثر مما ينزل رأسه إلى قلبه »

فمثل هذا التمييز بين العاطفة والعقل ثم رجوع صنوف الشعر إلى كل منهما مما لا اذهب إليه . وكأن (خ . ش) ينظر إلى الشعر بعيني « الرومانتي » romantique الذي لا يرى العاطفة إلا حيث يصيب الوان الاحساس مبسطة مستفيضة . وكأنه يرى العقل حيث يصيب هذه الالوان مردودة او مكبوحة او مستورة . والتحقيق ان العاطفة تبرز في اشكال شتى : فتارة في غلو و جلبة ، شأنها عند (هوغو) و (لامرتين) . واخرى في تحفظ ومغالطة ، شأنها عند (دي ليل) ، وثالثة في خفة ومداورة ، شأنها عند (فرلين) . والغالب في الظن أن العاطفة التي يعينها (خ . ش) هي عاطفة (هوغو) و (لامرتين) . ولولا ان يكون الامر هكذا ما ميز بين القلب والرأس مثل ذلك التمييز وسواء أحادثة كانت العاطفة او متئدة فهي ملاك الشعر . فلا شعر حيث لا عاطفة . وربما اتفق للعاطفة ان تفور وربما اتفق لها ان تزن . فان اتزنت كانت طوع امر العقل . لان العاطفة المتحفظة أو العاطفة الخفيفة لا تبلغ مبلغها من التحفظ أو الخفة إلا اذا تخللها العقل . فالعقل مذهب العاطفة لا مثيرها ، وبالتالي ليس للعقل ان يرسل الشعر . فمن الغريب اذن ان يقول (خ . ش) « ولعل فكر العقاد يثير عاطفته أكثر مما تثير عاطفته فكره »

بل اذا خلّى القلب وشأنه زلّ واورط صاحبه . وإلى هذا نظر أبو الطيب حين قال :

ولا بدّ للقلب من آلهٍ ورأيٍ يصيدع صمّ الصفا

على ان اعمال العقل في الشعر ليس بمستقبح . فالعقل يصفي الوان الاحساس ، اذ يخفف من فوران العاطفة ويرد من نزوان القلب . ولكنه يحق له ان يعتاض عن شدة الفوران وفرط النزوان تارة طلب الفن للفن والدقة في التعبير كما فعل اهل البرناس Parnassiens ، وتارة الوصف الصادق والكف عن الغلو كما صنع الواقعيون Réalistes وتارة الرمز والموسيقى والانفعال كما فعل الرمزيون Symbolistes والعقاديين اهل البرناس وبين الواقعيين

مكتبة المقتطف

النثر الفني في القرن الرابع

تأليف الدكتور زكي مبارك : جزآن . مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٢ يطلب من المكتبة التجارية
مما ابتلي به النقاد في هذا العصر كثرة الكتب وضيق الوقت فما اظن ان ناقداً ينصف نفسه
وقراء كلامه يدعي انه حين يضع بين يديه كتاباً كالنثر الفني الذي نتكلم عنه بعد ، يأخذ في
قراءته وتتبعه يستطيع ان يكتب عنه كلمة وافية في ساعة او ساعتين او يوم او يومين ، ثم هو
بعد ذلك لا يستطيع ان يجعل كل ما يريد ان يقوله في صفحات ثلاث من مجلة كهذه المجلة ، فربما كانت
كلمة واحدة مما عرض في الكتاب تستنفد في نقدها او نقضها كلمات تضيق بها عشر صفحات . هذا
ما زرد في نفسي حين حملت القلم لا كتب عن كتاب النثر الفني في القرن الرابع
ولا يعني في هذه الكلمة ان اقول ان في الكتاب كيت وكيت من الابواب والفصول فان
المطالع قد سهلت على كل احد ان يطلع على ما شاء من الكتب مبتدئاً وعزيزها ، وانما يعني ان
اقول كلمة عن أهم ما عرض في هذا الكتاب من الآراء التي ينبغي للقارئ ان يحصنها قبل ان يأخذ
بها او يعتقد في نفسه امرها او صحتها

فن اول ذلك قول المؤلف في ص ٣٣ من الجزء الاول « هل كان للعرب نثر فني في عصور
الجاهلية ، وهل كانوا يفصحون عن اغراضهم بغير الشعر والخطب والامثال ؟
» لقد اتفق مؤرخو اللغة العربية وآدابها كما اتفق مؤرخو الاسلام على ان العرب لم يكن لهم
وجود ادبي ولا سياسي قبل عصر النبوة ، وان الاسلام هو الذي احياهم بعد موت ونهبهم بعد
غول . وهذا الاتفاق يرجع الى اصلين : فهو عند مؤرخي الاسلام والمسلمين تأييد لنزعة دينية
برادها اثبات ان الاسلام هو الذي خلق العرب خلقاً وأنشأهم انشاءً ، فنقلهم من الظلمات الى
النور ، ومن العدم الى الوجود . وهو عند مؤرخي اللغة العربية ، وآدابها يرجع الى الشك في كثير
من النصوص الادبية التي اُثرت عن العرب قبل الاسلام من خطب وسجع وامثال »

ولا اريد في هذه الكلمة ان اعترض على صاحب الكتاب في وصفه النثر بقوله (الفني) ولا ان
أطالبه بحكمة هذا الوصف وان كنت قد جهدت ان اجد لها معنى يقوم عذراً له في وضعها فأعياني
الطلب . والواقع اني قرأت الكتاب فلم اعثر فيه على حدٍ او تعريف لما سماه النثر الفني ، وكلما
لذت ان اجمع له حدّاً او تعريفاً من معنى كلامه وجدت في غيره من معاني كلامه ما يتفارض عنده

ما جمعت له من الرأي . وكان صواب التأليف غير ذلك ، لأنه جعل هذه الكلمة (النثر الفني) موضع الجدل بينه وبين خصومه في الرأي من المستشرقين ومن تابعهم في هذا الشرق العربي . وما يقوم الجدل عليه ويقصد القول فيه ، لا يصح ان يكون موضع شك او غموض او ابهام او اضطراب

يقول صاحب الكتاب « هل كان للعرب نثر فني ؟ » ونحن نجيب عن هذا السؤال بما نضمنه ما نوافق فيه وما نخالفه عليه . فقد كان العرب امة امية لا تقرأ ولا تكتب الا قليلا من اهل المدن كمكة والمدينة (يثرب قديماً) واطراف اليمن ومشارف الشام ونواحي الحيرة ، وهؤلاء الكتاب لم يكن لهم تأثير بيتن في الامة العربية لان جماعة العرب لم تكن لذلك العهد (قبل الاسلام) تعرف الكتابة والخط ولا كان من همهم ذلك ، ولو افترضنا ان هذا العدد القليل الذي وصف بالكتابة كان يكتب وعيننا انه كان يؤلف ، بقي الأمر على ما هو عليه اذ كانوا — على ذلك — يؤلفون لمن لا يقرأ ولا يكتب . ومع هذا فقد كان العرب يتخذون الكتابة في بعض الاغراض كالعهود والرسائل العظيمة الخطر كالذي يروون مما كتبه لقيط بن يعمر الايادي الى قومه إياد بالحيرة يحذرهم كسرى (سابور ذا الاكتاف) وكان قد اجمع على غزو إياد فأرسل لهم لقيط — وكان كاتباً بديوان كسرى — قصيدته المشهورة التي يقول فيها

يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غُيْرًا
على نسائكم كسرى وما جمعا
قوموا قياماً على امشاط ارجلكم
ثم افرعوا ، قد ينال الامن من فزعا

ويقول في آخرها

هذا كتابي اليكم والنذير لكم
ان رأى رأيهم منكم ومن سمعا
وقد ورد في ذكر العهود المكتوبة شعر جاهلي كثير منه قول الحارث بن حنظلة البشكري في الحرب التي كانت بين بكر وتغلب

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المهارق الاهواء

وبعني بالمهارق كتب العهود والمواثيق التي كانت بين بكر وتغلب ايام الهدنة والصلح فنحن لا نستطيع ان ننكر ان العرب كانوا يكتبون ويتراسلون في بعض الاحايين ، ولكننا نستطيع ان ننكر انهم كانوا يصنفون الكتب ويؤلفون الرسائل في الاغراض الكثيرة . ويجب على المفكر في هذا الامر ان يعلم ان كلام العرب في محاوراتهم ومجالسهم وخطبهم كان هو الكلام المتخذ في الرسائل والعهود وغير ذلك اذ ان هذه اللغة العربية التي بين ايدينا والتي نزل بها القرآن والتي كان يتكلم بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم كانت الى القرن الثاني والثالث من الهجرة تؤخذ من افواه العرب البداءة . فلا يعقل بعد ذلك ان يكون في الجزيرة العربية كتاب قد

تفرغوا للكتابة حتى نسأل هل كان هناك (نثر فني) أو لم يكن فإن هذا السؤال يقتضي ان يكون في الجزيرة فئة قد تجردت للكتابة فعلت على غيرها من طامة الناس في الاسلوب البياني . هذا والرسول نفسه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يعد افسح العرب ، وكان من اصحابه من يحمي الكتابة كعمر وعلي وزيد وعثمان رضي الله عنهم ومن يتدبر هذا يجد ان النثر على المعنى المعروف عندنا لم يكن مما تتطلبه العرب وتفرغ له وتتفوق فيه وانما كان كلامهم كله مراسلاً على سجية واحدة الا الشعر فان الذي ميزه هو الوزن والقافية

أما قول صاحب الكتاب ان مؤرخي الاسلام اتفقوا على ان العرب لم يكن لهم وجود سياسي او ادبي قبل النبوة فهذا قول مرسل لا حدة له وهو كلام لم يقل به احد من العلماء وانما كانوا يعنون بما يصفون به العرب من الجهل والضلال ما يتصل بأمر الدين والتوحيد والا فانهم قد استشهدوا في تفسير القرآن نفسه بنوع من كلام العرب وهو الشعر . أما المسألة السياسية والكتلة الدولية فانهم يعنون بذلك ان لم تكن امة متازرة ذات حكم واحد وسيادة متصلة من أعلى الجزيرة الى اسفلها بل كانت قبائل متنازعة يأكل بعضها بعضاً حتى جاء أمر الله ونزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون مبشراً ونذيراً وهادياً الى الله بأمره وسراجاً منيراً فألّف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمته اخواناً وقاتلوا في سبيل الله حتى فتحوا الارض واستولوا على ملك كسرى وقيصر . وليس في هذا موضع للجدال... ولا اتفاق — كما يقول صاحب الكتاب — يرجع الى ان مؤرخي الاسلام يقولون ذلك تأييداً لنزعة دينية يراد بها اثبات ان الاسلام هو الذي خلق العرب خلقاً وأنشأهم انشاءً فأخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن العدم الى الوجود . . هذا على ان القرآن قد اخرج العرب حقيقة من الظلمات الى النور

ثم ان المؤلف اراد بعد ذلك ان يجعل القرآن أثراً جاهلياً « فانه — نسأل الله المغفرة — من صور العصر الجاهلي ، اذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعايره » ص ٣٨ فلو كان ذلك كذلك لما فعل القرآن بالعرب حتى اخرجهم من الظلمات الى النور وكيف يجيء ما هو من عند الله مطابقاً لتصورات العرب وتقاليدهم على ما فيها من الطبيعة البشرية الضعيفة الهالكة الجاهلة وهذا القرآن الذي يعدّه صاحب الكتاب أثراً جاهلياً هو الكتاب نفسه الذي أعجز عرب الجاهلية جميعاً وتحداهم وظالمهم وسخر منهم ووضع من آلهتهم وحقّرها وأثار أحقادهم وأضعفهم . ولو كان هذا القرآن قريباً من كلامهم او شبيهاً به لما أعجز بعض باغاتهم عن الاتيان بمثل سورة من سورهم كما طالهم بذلك وتحداهم . ونحن لا ننكر ان كل ما في القرآن من لفظ انما هو من الفاظ العرب كما ان اكثر الفاظ كتبنا الآن بل كتبنا القرن الرابع الذي يتكلم عنه صاحبه انما هي الفاظ عربية ، ونحن لا نعدّه

أسلوبنا أو أسلوب القرن الرابع في النثر مقارباً أو شبيهاً بالنثر الجاهلي فكذلك القرآن من النثر الجاهلي بهذه المنزلة ، فالفاظ القرآن هي الالفاظ العربية ولكن نظمه وسياقه وبلاغته ومواقع كلماته المعجزة لا صلة بينها وبين أي كلام من كلام البشر في جاهلية أو اسلام ولماذا يعدُّ صاحب الكتاب هذا القرآن من النثر الجاهلي ، ويتخذ دليلاً على وجود النثر في الجاهلية مع ان الحديث النبوي وكلام الصحابة المروي بالاسانيد الصحيحة الثابتة هو أقرب في الأدلة وفيه بغية صاحب الكتاب . فأنت اذا قرأت السيرة وجدت كثيراً من كتب الرسول الى القبائل والامم وولاة جيوشه ووجدت اكثر من ذلك في كلام ابي بكر وعمر وعلي وعثمان وغيرهم من اهل الجاهلية الذي اسلموا واتبعوا الرسول النبي الامي صلى الله عليه وسلم القرآن كتاب الله ، فاذا أردنا ان نبحث عن الأدلة عن النثر الجاهلي فهو في كلام الصحابة والرسول نفسه

هذا ونحن نعتذر الى القراء عن تقصيرنا في الكتابة عن كتاب النثر الفني فان لهذا موضعاً آخر إن شاء الله
محمود محمد شاكر

رحلة صيف

تأليف توفيق حبيب « الصحافي العجوز » — صفحاته ١٦٠ مزين بالصور
يطاب من مكتبة الفجالة المصرية والتمن خمسة قروش

اصحُّ طريقة للحكم على كتاب من كتب الرحلات والاسفار هو ان ترحل الى بلاد وتشاهد آيات عمرانها واجتماعها ثم تطلع على ما كتبه احد الكتاب فيها . وقد اتيح لكتاب هذه السطور زيارة تركيا في الصيف الماضي ، ومشاهدة بعض اعلامها التاريخية ومنشأتها الاجتماعية ، ثم اطلع على ما كتبه « الصحافي العجوز » في « رحلة صيف » فوجده فيها قد اجاد الوصف ، وبسط الحقائق التاريخية والاجتماعية ، في خفة روح لا تجارى ، وبساطة أسلوب يحسد عليها . وعندى ان مقياس الكاتب البارع هو قدرته على ان يعي التفاصيل المنوعة في ذهنه ، ثم يتناولها في كتابته تناولاً لطيفاً ، من دون ان يظهر على كتابته أثر للكدر والاجهاد . والصحافي العجوز في فصوله اليومية التي ينشرها في الاهرام ، وفي « رحلة صيف » كاتب بارع حقاً . وقد اجاد الاستاذ فكري ابظة في مقدمته اذ قال : « لذلك اقرر ان ذخيرة « توفيق حبيب » التاريخية ذخيرة ضاعت من ايدي زملائي جميعاً وتجمعت بكليتها في يديه . ولهذا سهل عليه ان يكون فيضاً عند ما يعرض للتعليقات التاريخية »

والكتاب عدا كونه رحلة اخاذة يصف لك نواحي النهضة التركية الحديثة وصفاً ليس فيه افراط ولا تفريط يحف به اطار لطيف من مشاهد اليونان ويوجسلافيا وايطاليا

فيصل الاول

لامين الريحاني — ص ٢٣٤ — طبع بيروت

صدر هذا الكتاب النفيس — وقد اطلع قراء « المقتطف » على نموذج من فصوله نشر في عددي يناير وفبراير ١٩٣٤ فرأوا ان الريحاني قد جمع فيه الى البحث التاريخي الدقيق ، الاسلوب الادبي اللائ — في الشهر الماضي ، فكان درة من هذه الدرر الغوال التي يزين بها الريحاني جيد التاريخ العربي الجديد من وقت الى آخر . وقد اهداه الى جلاله الملك غازي « المتمم بعون الله الرسالة العربية العراقية ، رسالة ابيه وجده رحمهما الله » . واستعرض به سيرة فيصل في العراق ، وقد ابتدأها في كتابه « ملوك العرب » فكان حلقة جديدة تضم الى الحلقة الاولى ، وبشرنا بان هنالك كتاباً ثالثاً بعد المعدات لاصداره وهو « الشعب العراقي » فنرجو ان لا يطول الزمن قبل ان يحلّي لقراء العربية فهم معجبون بكل ما تنتجه يراعة الريحاني مرتاحون الى مباحثه واساليبه

كشف الريحاني في كتابه الجديد عن حقائق كانت مجهولة في تاريخ الدولة العراقية الفتاة واماط اللثام عن كثير من الاسرار خفاء آية في دقة البحث والاستقصاء ، كما جلا كثيراً من نواحي فيصل الاجتماعية والعلمية والخلقية مما لم يسبقه اليه سابق وقد لا يلحقه في هذا المضمار لاحق ، فقد افرد في بعض فصوله ابواباً خاصة حلل فيها شخصيته من كل النواحي تحليلاً فلسفياً وعلمياً ومنطقياً ، تحليل الناقد الخبير ، الذي يزن الكلمة قبل ارسالها ويقلب الرأي قبل تدوينه فلا افراط ولا تفريط ولا غلو ولا اغراق قال في الصفحة ١٦٥ بعنوان « مناقب » « كان فيصل مسلماً سنياً حنفياً صادقاً وكفى ، وكان بصورة ايمانه سطوح متعددة تنعكس فيها انوار المذاهب الاسلامية الاخرى انعكاساً صافياً ، وقد كنت اشعر في محادثته ان لعقيدته الدينية بطانة من التساهل الذي تخله الاحترام لسائر الاديان في العالم . هو رجل من رجال العالم الكبار ، وهو مسلم يندر مثله بين حكام المسلمين ، فقد كان في عقله واعتداله مثل الحكمة العالية ، وفي رحابة صدره وتساهله مثال الحب والاخلاص » ثم قال « يصح ان نقول انه ما كان من رجال الحرب الكبار ، بل كان اولاً وآخرآ رجلاً مفكراً ، والفكر وليد السلم ووالده الاكبر ، وقد كان الملك فيصل في حبه للسلم وفي جهاده من اجل السلم شجاعاً غير هيب ، وشهماً لا يندكر الحساب ، شهماً كريماً ، ينسى ولا يلوم ، لقد كان فيصل بعيد عن المحافة ، بعده عن العنجهية وكان حب الذات عنده رمزاً لحب أسمى ، رمزاً لحب قومي ، رمزاً لحب امته العربية . في سبيل هذا الحب ، وفي سبيل السلم المؤيد له ، كان يتحمل فيصل ما لا يتحملة رجل آخر في منزلته ، كان يكظم الغيظ وينكر النفس ، توصلاً الى اغراضه »

وفي باب المناقب كثير من « مناقب » الملك فيصل الغر مما لا يتسع المجال لنشره هنا . وهناك ابواب اخرى تناول فيها ايضاً شخصية الملك بالتحليل . منها « فوز الملك فيصل » و « شغل الملك فيصل » و « نحن وهارون الرشيد » وهي مكتوبة بأسلوب يستهوي النفس فيغري القارىء بالمطالعة فلا يكاد يبدأ فصلاً حتى يتمه وهكذا حتى يأتي على الكتاب برمته . فهو منسجم منسق في ابداع صورة وتكوين

وقد ختمه برسالة وجهها الى فيصل وضمنها آماله وآمانيه . ثم اثبت كلمته في « النسر العربي » وقد قالها فيصل حين وفاته وتليت في حفلات الاربعين ونشرها المقتطف وسجل تاريخ الحوادث البارزة في حياة الملك فيصل مسلسلته وبالاجمال فهو من الكتب النافعة المفيدة التي يجدر بكل عربي دراستها واقتناؤها

امين سعيد

مناجاة

بقلم حسين عفيفي الحامي — ١٥٢ صفحة من المقاس الصغير — مصورة بصورة طبيعية فنية بالالوان
بريشة شعبان زكي — طبع مطبعة سابا بمصر — الثمن ٥ قروش

« مناجاة » هي قطع متخيلة تشبه في تسلسلها الرواية وتتضمن تحليلات عامة في قالب غرامي وأسلوب من النثر الشعري . مؤلفها شاعر يستعمل النثر اداة في التعبير عن افكاره ولكنه النثر الذي جاهد في نشره جبران والريحاني واخوانهما في المهجر ، ذلك النثر الشعري الذي يحرص على الموسيقى . والاستاذ عفيفي يشبه في اسلوبه عند تأدية اغراضه شاعر الهند طاغور في كتابيه « هبة العاشق » و « وجيتنجالي » فهو يمزج الفلسفة بالعاطفة مزجاً موفقاً ، ولكن للبيئة المصرية رأياً كبيراً في المؤلف يحسه القارىء في نواحي الكتاب منبثاً ، فهو حائر قلق ، يبحث عن مثل أعلى ... فيه حيرة المجتمع المصري وفيه قلقه ، وهذه الحيرة وهذا القلق هما اللذان يجعلانه ينظر الى الحب نظرة الحائر فكان العالم لا يملأ قرارة نفسه حتى نسمعه يناجي حبيبته قائلاً « لك قلب يا حبيبتي ولي قلوب ، فأحبيني إن شئت وحدي ، اما انا فلا بد ان أشرك في قلبي غيرك » . ثم يخاطبها في ناحية اخرى قائلاً « دعيني اقلب بين الحسان حتى لا يفوتني شيء من الجمال الذي من اجله احيا ، ولا تكفيني الى عبث الغناء قبل ان احقق منه الاماني ، فان حياتي حلم لا يعمود »

بهذا الاسلوب الشعري الجميل يتغلغل المؤلف الى صميم الحياة فيتناول موضوعات تحسها بعيدة عن الشعر ولكنه يتركها تلبس رداءها مطرزاً بثوب الخيال ومعطراً بنفحات موسيقى عذبة ولعل حبه للحياة الشعرية هو ما يدعوه الى الرغبة في حياة الطبيعة حتى يكاد يرى ما رأى جان جاك روسو ، وهو من اجل ذلك يهدي كتابه الى رعاة الغنم ، لانهم اكثر الناس تمتعاً بالأم الحنون
حسن كامل الصيرفي

أبو علي : عامل ارتست

وقصص أخرى — تأليف محمود تيمور — صفحاته ١٦٢ — طبع بالمطبعة السليمانية

بين دفني هذا الكتاب صور حية لخاصة من الناس يعيشون في ريف القطر المصري وحواسره
فئة صورة الشيخ رأى شيطاناً في ابنته لأنه فاجأها مراراً « وهي تنظر الى عزازي نظرة كلها فجور
واشتهاء » . وادرك ان هذا الشيطان لن يخرج من جسمها الا بعذاب اليم خبسها وقلل طعامها وبدأ
يعذبها حتى ماتت وهو مقتنع انه في عمله هذا ليس الا محارباً للشيطان . هذه الصورة نموذج لعقلية
ما تزال في القرن العشرين « قطعة متلكئة من الزمن » على حد تعبير المازني . ثم هناك حلمي الاديب او
النأب الذي يلوك الفاظ الحضارة والاشتراكية ويذكر العلوم ويهول بسهره للتبحر فيها وجني
ثمرات العقول من المؤلفات المشهورة ، وهو يموه بذلك على نفسه ويكشفها لآخوانه ، وينغمس في
الشهوة على حساب ذوي النجدة من أصحابه ، ويحاول ان يداري ما يفعل وراء ستار شفافية
قوامه : « انني ادرس هذه الاوساط . ادرسها جيداً »

اما قصة « ابو علي عامل ارتست » فصورة بديعة لنموذج آخر من الناس . وقد ابدع المؤلف
في تحليل نفسية الرجل . وتطورها وعمد الى السخرية آناً في رسم بعض خطوطها ، فوضع على
لسان الرجل وهو يودع بيت عمه عبارات جوفاً ولكنها رنانة — كقوله يودع حجرته « وداعاً
يا حجرتي المحبوبة . يا مستودع اسراري ومهبط وحي . يا مرتع احلامي ومنبع عبقرتي » او كقوله
متعالياً على مدير فرقة تمثيلية عند طرده منها . « اذن انت تخشى منافستي لك . يا للضعف . . . »
او « صرّح لي يا سيدي بكل شيء فازلت مستعداً للتفاهم معك »

والقصص تبدو كما قال المستشرق السويسري ويدمار ، بسيطة « ولكن هذه البساطة هي
السر في قوتها وتأثيرها . . . فالمؤلف يتغلغل في اعماق نفس الشخص الموصوف لكي يبرز
عقليته الحقيقية »

أما أسلوب المؤلف الكتابي ، فيكاد يكون قنطرة بين اللغة الدارجة واللغة الصحافية الفصيحة
وهذا لا بد منه في بعض نواحي الكتابة القصصية . لانك لا تستطيع ان تنطق العامل العامي
بلغة الجاحظ . فتفسد بذلك الجو الذي تحاول ان تخلقه في القصة باستعمال الفاظ العمال وعباراتهم .
أما العبارات التي ترد على لسان المؤلف ، كوصف مشهد او تحليل شعور او سوق جكة ، فيجب
في رأينا ، ان يكون بأسلوب لا غبار عليه . ونحن واثقون من ان جو القصص التي في هذا
الكتاب لا ينقصه شيء اذا جاء في عباراتها « حماسة » بدلاً من « حماس » و « قابض للنفس » بدلاً من
« مقبض للنفس » و « في تراخ » بدلاً من « في تراخي » . فهذه هنات هينات ونفضل ان
نحسبها من قبيل الخطأ المطبعي وما اكثره في مطبوعاتنا

جولة في ربوع الشرق الادنى

بين مصر وافغانستان

تأليف محمد ثابت — طبع بمطبعة سعد مصر — صفحاته ٢٩٤ بالقطع الوسط

لمحمد ثابت مدرس الآداب بمدرسة الأمير فاروق الثانوية عناية عظيمة بالسياحة وكتابة ما يشاهده في البلدان التي يزورها في كتب جامعة للذة والفائدة. وكتابه هذا هو الكتاب الرابع في هذا الباب وصف فيه فلسطين وسورية وتركيا والعراق وافغانستان ويران وخص اليزيدية او عبدة الشيطان والشيعة والصابئة والمشاهد المقدسة بفصول . فهو يصف كل بلد يمرُّ به كما يشاهده في رسم للقارئ صورة مجملّة لحالة البلاد وشكلها ويصف اهلها وحالة بؤسها أو نعيمها وعزها أو شقاءها ثم هو يتبع ذلك بفصل يجمل فيه تاريخ البلد والادوار التي مرّت به والاحداث التي انتابته وهو بارع في هذه الابواب لانه خبرها عملياً في تدريس مواد التاريخ والجغرافيا ثم هو كثير الاطلاع يطبق الامور على حقائقها ويعنى بنشر صور كثيرة في كتبه تصف للعين حالة البلاد فترسخ الصور الذهنية على الصور الفتوغرافية وتزيد القارئ اقبالاً على القراءة . وجلة القول ان المؤلف أفاد القراء بكتبه هذه وسهّل عليهم المباحث التاريخية القديمة بما اضاف اليها من الوصف الحاضر فهو يجمع بين حالة البلدان قديماً وحديثاً وينتقل بالقارئ من أوصاف السكان ولهجاتهم واحوالهم الى وصف ما طرأ على المدن من حوادث واحداث مستخلصاً العبر وبذلك جعل لرحلته منزلة ممتازة في نفوس القراء . وكما كان يود كاتب هذه السطور ان يكتب لنا المؤلف الفاضل رحلة في مصر على نسق رحلاته هذه فنحن في شوق لمعرفة قطرنا عواصمه وقراه واحواله قديماً وحديثاً م . ر

جداول تحويل النقود

أهدى الينا حضرة الفاضل سليم أمين حداد استاذ الرياضيات التجارية بمدرسة التجارة العليا كتابين الاول ويحتوي على جداول تحويل النقود المصرية والانكليزية والفرنسية باللغة الفرنسية والثاني دليل باللغة العربية يشرح فيه المؤلف كيفية استعمال هذه الجداول والغرض من عمله هذا هو تسهيل عمليات تحويل النقود وضبط الحساب . وقد اطلع على الجداول مدير الهيئات المالية في مصر فارسلوا اليه كتباً يثنون فيها على عمله العظيم ومجوده الشاق وفائدة جداوله العملية والمؤلف في غنى عن الشهرة وهو صاحب المؤلفات الرياضية والتجارية والمالية الراقية المقررة رسمياً من قبل وزارة المعارف بمدرسة التجارة العليا فنكرر لحضرة الشناء ونوجه الأنظار الى هذه الجداول المفيدة

مطبوعات جديدة

وجيولوجية العراق ومعادنه ومنابعه المعدنية وأردفه بمعجم للاسماء العربية وبترجتها بالانكليزية. طبع بمطبعة الاهالي ببغداد

✽ سلاطين بني عثمان الخمسة ✽ تأليف الدكتور هادي ماري ملز باتريك وترجمة حنا غصن وكامل مروه وكامل صموئيل مسيحه — وهو كتاب تلد مطالعته ويحتوي على خلاصة تاريخ السلاطين العثمانيين الخمسة الذين حكموا تركيا اخيراً وشرحت حياتهم شرحاً دقيقاً وتحديث عن الذين كانوا يخشون منهم النور ويريدون ان يظلموا دائماً في الظلام وذكرت حوادث تطور حركة الاصلاح وكيف تنهض الشعوب وكيف انتقلت تركيا من حالة التأخر والاتضاع الى مركز تحسدها الدول عليه . طبع بمطبعة صادر ببيروت

✽ قاموس لبنان ✽ جمعه الاديب وديع نقولا حنا صاحب مجلة المعارف وهو يحتوي على اسماء مدن جمهورية لبنان وقراها مع تفصيل واف عن عدد سكان كل واحدة منها ولاية ومديرية ومحافضة مع وصف معاهدها وتجاريتها وحاصلاتها ومن اشهر رجالها ونساء — ثمثة ليرة سورية ويطلب من جامعة بيروت

✽ موجز الاغاني العراقية ✽ وضعه محمد القبنجي — كتاب تاريخي فني موسيقي مصور يبحث عن المقامات التي هي غناء مدينة بغداد والعتابة والنائل وهي غناء المدن التي في غرب دجلة والابودية والتوشيح وهو غناء مدن شرقي الفرات وفيه لمحة من تاريخ الغناء العربي. طبع بمطبعة الايتام ببغداد

✽ تاريخ نابليون بونابرت ١٧٦٩ — ١٨٢١ ✽ كتاب نفيس بقلم الاديب الياس ابو شبكة افرغه في قالب يحبب الى القارئ مطالعته وذكر فيه تاريخ حداثه البطل والاعمال المجيدة التي عملها والحروب العظيمة التي قام بها وحسبه ان قال عنه شاتوبريان عقب رسالة حمل بها على نابليون ما يلي « ليس بونابرت كبيراً بكلماته وخطبه وكتاباتاته وشغفه بالحرية التي لم يوطىء لها السبيل يوماً ، بل هو كبير بخلقه حكومة منظمة قوية ومجموعة قوانين درجت عليها ممالك كثيرة ودور عدل ومدارس وادارة حازمة ما زلنا نعيش في كنفها » والكتاب مطبوع بمطبعة صادر ببيروت ويطلب من مكتبتها

✽ الجغرافية العامة الحديثة ✽ الجزء الاول تأليف سعيد الصباغ « يحتوي على مباحث اوربا وآسيا وأفريقيا وفصول مطولة من جميع الاقطار العربية

وللفائدة ذكر المؤلف مع المباحث الجغرافية لمحات عن حياة الشعوب النائية الموطن الغربية الهبئات والاطوار ونبدأ تاريخية عن هجرة القبائل العربية الى افريقيا وانتشارهم فيها والكتاب محلي بكثير من الرسوم والخرائط التي تعين الطالب على فهم مادته وتقربها الى ذهنه وهو مطبوع بمطبعة العرفان وثمانه ١٠ قروش مصرية عدا اجرة البريد

✽ الجغرافية الطبيعية ✽ تأليف ابراهيم شوكت مدرس الجغرافيا بدار المعلمين ببغداد — وهو كتاب مدرسي بهم طلبة المدارس العراقية يشرح فيه المؤلف حالات الجو والارض

باب الاختصار في العلمانية

الاشعة الكونية وانفجار النجوم

يرى العالمان زوكي Zwicky وباد Baade من معهد باسادينا العالمي بكليفورنيا ان انفجار النجوم ، حين تولد « النجوم الجديدة » ، قد يكون مصدراً للاشعة الكونية التي تفرغ العلماء للبحث فيها في العهد الاخير ويقصد بالنجم الجديد ، نجم يتحول فجأة من قدر صغير الى قدر كبير ، لانفجار يحدث فيه . فيزداد لمعانه حتى لقد يفوق اسطح الكواكب وأبهاها . ولكن ذلك لا يدوم طويلاً فلا يلبث ان يخف بهأوه ويقل اشراقه ويعود الى ما كان عليه او اخفى قليلاً . والنجوم الجديدة تسترعي الانظار لانها تظهر اما في مكان من السماء لم يكن فيه نجم من قبل او كان فيه نجم لم ير قبل اشراقه لا بالعين ولا بالصور الفوتغرافية . مثال ذلك ان النجم الجديد الذي رآه الدكتور توماس اندرسن اللاهوتي في اواخر يناير سنة ١٨٩٢ في صورة ممسك الاعنة لم يظهر في الصور الفوتغرافية التي صورتها الدكتور مكس ولف في ٨ ديسمبر سنة ١٨٩١ اي قبل اشراقه بشهر او شهرين ، وبعد شهرين من اكتشافه ظهر في صورة فتوغرافية صورتها الاستاذ بكرنج فكان من القدر الخامس اي زاد اشراقه نحو مائتين وخمسين ضعفاً في يومين .

وكذلك النجم الجديد الذي اكتشفه اندرسن في صورة فرساوس فانه لم يظهر في صورة فوتغرافية صورت في ٢ فبراير سنة ١٩٠١ ، مع انه ظهر فيها نجوم من القدر الحادي عشر ، وبعد يومين صار نوره اسطع من نور النجوم التي من القدر الاول دلالة على ان اشراقه زاد ستين الف ضعف . والنجم الجديد الذي ظهر في صورة الدجاجة سنة ١٩٢٠ كان تحت القدر السادس عشر قبل ١٦ اغسطس سنة ١٩٢٠ فأصبح في ٢٤ اغسطس في نحو القدر الاول او اقل قليلاً فزاد اشراقه نحو اربعمائة الف ضعف في اسبوع . وقد يزيد اشراق نجم من النجوم الجديدة نحو عشرين الف ضعف في بضعة أيام فتعرف حينئذ بالنجوم الجديدة الكبيرة Super-novae

فالدكتور زوكي يذهب الى ان نجماً جديداً كبيراً يطلق من الاشعة التي فوق البنفسجي عشرين مليون ضعف ما يطلقه من اشعة الضوء اي انه يطلق من الطاقة في ثانية ما تطلقه شمسنا في مائة مليون سنة . واذاً فهو لا يجب ان يكون جانب كبير من هذا الاشعاع القصير الامواج اشعة كونية

وهذا الرأي يقتضي ان يكون انطلاق الاشعة الكونية متقطعاً ، لا متصلاً ، لان ظهور

(رابعاً) الايدروجين الثقيل وهو صنف من الايدروجين وزن ذرته ضعف وزن ذرة الايدروجين العادي . وقد كشف عنه في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٣٢ ودعي باسماء مختلفة فتارة « نظير الايدروجين من كتلة ٢ » وتارة « دوتريوم » وتارة « دبلوجين » وهو اسمه في بريطانيا

اما غنيل الرواية فيبتدىء باطلاق النيوترونات من عنصرى البولونيوم والبريليوم على البرافين فدهش العلماء الذي راقبوا هذا الاطلاق والاصطدام اذ شهدوا اشعاعاً من قبيل اشعة غمما وهي احد انواع الاشعة التي تنبعث من المواد المشعة كالراديوم . وهم يعلمون ذلك باصطدام النيوترون ببروتون الايدروجين (الذي في ذرة البرافين) اولاً . ثم ان النيوترون والبروتون يتحدان لتوليد ذرة من ذرات الايدروجين الثقيل . وهذا الاتحاد لا بد ان يسفر عنه انطلاق طاقة في شكل اشعة غمما تعدل مقدار الكتلة التي تفقدها الدقيقتان في اتحادهما . على ان التحول من الكتلة الى الطاقة يجب ان يطلق اشعة غمما من قوة مليون فولط وهذا يقتضي ان تكون طاقة النيوترونات المنطلقة من رتبة ستة ملايين فولط وهو قريب من طاقتها الحقيقية فعلاً

الصودا وجنس الموالي

من غرائب ما ذاع في الولايات المتحدة الاميركية في العهد الاخير ، ان الام الحامل التي ترغب في ان يكون وليدها ذكراً ، عليها ان

النجوم الجديدة الكبيرة نادر ، ويقول الاستاذ زوكي انه لا يزيد على واحد في المجرة الواحدة في الف سنة من الزمان . وهذا يعمل عدم انطلاق اشعة كونية من مجرتنا التي ينذر ظهور النجوم الجديدة الكبيرة فيها والنظرية الجديدة لا تزال قيد البحث بين العلماء

زيت كبد الحوت في الشكولاته

زيت كبد الحوت يحتوي على فيتامين يمنع الكساح في الاطفال . فاذا تعذر على طفل تجرع هذا الزيت لانه لا يسيغ طعمه فالراجح انه لا يمنع عن تناوله اذا كان مختلطاً بكأس من الشكولاتة او اللندرمة . وقد ابتدع المستر دنتورث احد موظفي مصلحة الاسماك في كندا ، طريقة لمزج خلاصة كبد الحوت بكأس من الشكولاتة الساخنة من دون ان يفقد خواصه الفيتامينية او يجعل للشكولاتة الساخنة طعماً زيتياً كريهاً

احدث الروايات الذرية

اذا اصطدم نيوترون ببروتون تولدت ذرة من ذرات الايدروجين الثقيل وبعض اشعة غمما . فليتلون في هذه الرواية هم (اولاً) البروتون وهو نواة ذرة الايدروجين العادي (ثانياً) الالكترون وهو وحدة الكهرباء السالبة وأحد البنات الاساسية في بناء الكون . (ثالثاً) النيوترون وهو دقيقة متعادلة الكهربائية يظن انه مركب من الكترون وبروتون محشوكين معاً في حيز ضيق وقد كشف عنه في بريطانيا سنة ١٩٣٠

والعشرين من عمره عين في منصب مساعد في المعهد الكيميائي الفني بكارلسروهيه حيث بدأ عمله الكيميائي العظيم . وقضى هناك سبعة عشر عاماً . وفي سنة ١٩٠٦ عين مديراً لمعهد القيصر غليوم للطبيعة والكيمياء والكيمياء الكهربائية فنظمه وبلغ هذا المعهد بارشاده أعلى مرتبة بين معاهد البحث العلمي في العالم قاطبة

ولما نشبت الحرب الكبرى ادرك شدة حاجة المانيا الى التعاون بين منشآتها الصناعية ومعاهد البحث العلمي فيها فعرض خدماته على وزارة الحربية فعين رئيساً لقسم « وسائل الحرب الكيميائية » وكان لأرائه وعلمه أكبر مقام في تلك الناحية من الحرب

فلما وقع الانقلاب السياسي في المانيا سنة ١٩٣٣ واضطهد اليهود فيها ومنهم علماء أعلام، استقال هابر من منصبه وذهب الى جامعة كبرج حيث ظل مقيماً حتى قبيل وفاته . وكان قد سافر في اجازة الى سويسرا انتجاعاً للصحة فمات في مدينة بال في ٢٩ يناير سنة ١٩٣٤

ومباحث هابر الكيميائية خطيرة ومنوعة في آن واحد، ولعل أشهر ما يقترن باسمه اكتشافه طريقة صناعية تجارية مكنته من تثبيت النتروجين فاستطاع ان يجهز المانيا بالمواد اللازمة لصنع الاسمدة الكيميائية والمواد المفرقة في خلال الحرب . ومن مباحثه في الكيمياء الصناعية بحثه في كيمياء الغاز وطلي الحديد وتحليل الكهربائية التدريجي في النتروبوزول وعليه يتوقف تركيب الانيلين الى حد بعيد في صناعة الاصباغ . وقد زار مصر في اواخر سنة ١٩٢٨

تضيف الى غذائها بيكربونات الصودا ، وقد عني الاستاذ دامور D'Amour في جامعة دنفر بولاية كولورادو بامتحان هذا القول في الجرذان فوجد ان بيكربونات الصودا لا اثر له على الاطلاق في جنس المولود على ما جاء في مجلة « العلم » الاميركية . فاخذ خمساً وثلاثين زوجاً من الفئران وغذآها بطعام يحتوي على بيكربونات الصودا . فلما ولدت الاناث احصى مواليدها فاذا الاناث فيها ١١٥ والذكور ١١٠ . وكان في الوقت نفسه قد اخذ ٣٨ زوجاً من الفئران وغذآها بطعام يحتوي على اللبن الحامض فلما ولدت احصى مواليدها فاذا الاناث فيها ١١٣ والذكور مائة . وأخذ كذلك ١٤ زوجاً من الفئران وغذآها بطعام مألوف واحصى مواليدها فاذا الاناث ١٠٣ والذكور مائة . وكانت الصودا التي اضيفت الى غذاء الفريق الاول $\frac{2}{3}$ في المائة وزناً واللبن الذي اضيف الى غذاء الفريق الثاني ٥ في المائة وزناً

وفاة هابر الكيميائي

فقدت الكيمياء ب وفاة الاستاذ فرتز هابر Fritz Haber عالماً من اكبر اعلامها في هذا العصر فقد كان من اعلام الكيمياء النظرية والصناعية في آن واحد . وظل حتى آخر ايامه ابعد الناس عن الدعوى ومن ادمهم خلقاً . ولد في برسلو في ٩ ديسمبر سنة ١٨٦٨ وحضر دروس الكيمياء في برلين وهيدلبرج وشارلو تنبرج وزورخ وبيننا وتماخذ لعلماء كبار مثل هوفنر وهلمهتير وقضى في شبابه شهوراً في المصانع ولما كان في السادسة

الهليوم في ايطاليا

الهليوم يلى الايدروجين في خفة الوزن بين العناصر . على ان الايدروجين غاز يلهب ولكن الهليوم لا يلهب . ولذلك يفضل الهليوم في ملء اكياس البونات . وقد كانت الولايات المتحدة الاميركية اكبر منتج لهذا الغاز الثمين فلأت جميع بلوناتها التابعة لجيشها وأسطولها به . ولكن جاءت الانباء في الشهر الماضي بأن الايطاليين عثروا على هذا الغاز في آبار الغاز البركاني في (الارداليرو) وهم يستخرجون منها الآن نحو اربعة آلاف متر مكعب كل سنة . وانما ينتظر ان يزداد ما يستخرج منها حتى يصبح كافياً لاستعماله في ملء اكياس البونات الايطالية

الايدروجين الثقيل والحياة

لما كشف الايدروجين الثقيل في اميركا ، بدأ العلماء يتكهنون بخواص الماء الذي يصنع منه . وقد قال الاستاذ يوري Urey احد مكتشفيه ان الماء يهمننا من الناحية الكيميائية لانه افضل المواد المذيبة المعروفة . وكثير من التفاعلات الكيميائية تحصل في الماء . ثم ان الايدروجين يلى الكربون في عدد المواد التي يدخل في تركيبها . فالمعروف ان الايدروجين يدخل في تركيب نحو ٣٠٠ الف مركب عضوي او اكثر علاوه على الكربون والنتروجين والاكسجين . ولما كانت المواد التي يدخل الايدروجين الثقيل في تركيبها تختلف في خواصها عن نفس المواد اذا كان ايدروجينها عادياً فاكشاف هذا النظر

لايدروجين يفتح امامنا باباً لتركيبات كيميائية جديدة

وقد ثبت من تجارب جرّبت في احدى كليّات اميركا ان الماء الثقيل (اي المركب من اكسجين وايدروجين ثقيل) يفتك بحياة بعض الحيوانات المائية . ثم ان الخنّار لا تنمو فيه بنفس السرعة التي تنمو بها في الماء العادي . ووجد الكيميائي الاميري الكبير الاستاذ غلبرت لوس ان يزور التبغ لا تنبت بعد نقعها في الماء الثقيل . ثم اذا نعتت في ماء عادي ، تنبت انتاشاً ضعيفاً غير سوي . اما الديدان المسطحة فتكاد تموت اذا نقلت ثلاث ساعات في ماء ثقيل ثم تعود الى الحياة اذا نقلت الى ماء عادي . وقد وجدت طائفة من اساتذة جامعة برنستن ان دعاميص الضفدع الخضراء لا تستطيع ان تعيش في الماء الثقيل اكثر من ساعة

وقد عاد الاستاذ لوس حديثاً الى تجربة اثر الماء الثقيل في حياة الفئران . فاخذ فأرة وسقاها الماء الثقيل بقطارة لان ثمن الرطل منه يبلغ ١٥٠٠ جنيه لندرة الايدروجين الثقيل ولشدة العناية في تحضيره . وسقى فأرين آخرين ماء عادياً . وكانت النتيجة ان الفأرين اللذين سقيا الماء العادي ظلّا يتصرفان تصرفاً سوياً في اليقظة والنام . اما الفأر الاول فتصرف تصرفاً غريباً . اذ جعل يقفز قفزاً عجيباً ويلحس الجدار الزجاجي في قفصه . وكان كلما سقى الماء الثقيل يزداد ظمأه . ولو لم ينفد الماء الثقيل عند الاستاذ لوس لمضى هذا الفأر يشرب وهو لا يرتوي

الجزء الرابع من المجلد الرابع والثمانين

صفحة	
٣٩٣	العلم والفلسفة
٣٩٥	اصلاح أشكال الحكم : حاجتنا الى التجانس : للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٤٠١	العلم والحياة الجنسية : مناظرة
٤٠٨	السيكولوجية الحديثة . ليعقوب فام
٤١٣	الحرير وتركيبه الذري
٤١٧	الاستعمار والحضارة . لمعاوية نور
٤٢٣	معجزات السفانة . لعوض جندي
٤٢٨	صور التجديد . لنقولا شكوي (مصورة)
٤٣٤	الدكتاتورية والرجل العظيم . لاندره موروي
٤٣٨	شمشون (قصيدة) لالياس ابو شبكة
٤٤١	الحضارة الفرعونية . للدكتور حسن كمال
٤٤٦	البصريات عند العرب . لقدري حافظ طوقان
٤٥٠	مصطلحات علم النفس . لمحمد مظهر سعيد
٤٥٣	كيف تطور الانسان . للسر ارثر طمسن
٤٥٩	الآثار الاسلامية القديمة ببغداد . لمصطفى جواد
٤٦٣	القضاء في السودان . لخليل الخوري
٤٧٠	نهضة التعليم في العراق . لامين سعيد
٤٧٤	عودة الروح : نقد وتحليل لمحمد علي حماد
٤٨١	سير الزمان : مشكلة النمسا : هنري پويي : الديمقراطية في فرنسا
٤٩٣	حديقة المقتطف : ينبوع دم : لبودلير : صاحب المسحاة : لادون ماركام : ذنب البحري
٤٩٧	مملكة المرأة : فضل المرأة : محاضرة للآنسة « مي » : اريد المرأة بعيدة عن التصنع : التدخين والصحة : العادة والتربية
٥١٠	باب المراسلة والمناظرة * العاطفة والعقل في الشعر . لبشر فارس
٥١١	مكتبة المقتطف * النثر الفني في القرن الرابع . رحلة صيف . فيصل الاول . مناجاة . ابو علي : حامل ارتست . جولة في ربوع الشرق الادنى . جداول تحويل النقود . مطبوعات جديدة
٥٢٠	باب الاخبار العلمية * وفيه ٧ تبذ